

رواية

كعابيش

عماد سالم

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع



رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادي

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى

الكتاب : كعابيش

المؤلف : عماد سالم

تصنيف الكتاب : رواية

تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم

المقاس ٢٠ × ١٤

رقم الإيداع : ٢٠١٦ / ٢٦٧٨١

الترقيم الدولي : 0 - 340 - 776 - 977 - 978

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email: yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مفتح

«ثقتى بنفسى - هى فى نهاية الأمر - ثقة بالإنسان
وبمقدرته على تجاوز ذاته وعلى الإصلاح والتحوُّل وعلى
معرفة حدوده، فهى ثقة لاينتُج عنها غرور وخُيلاء وإنما
اعتزاز بالإنسان ومقدرته».

عبدالوهاب المسيرى

أما قبل..

سيدي القارئ

حين ابتدأت فى كتابة هذه الرواية ، كنت أرى شخصية د. عبدالحميد محمد كعابيش - العالم، الفيلسوف، رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة - أمامى، ينظر إلىّ، وأنظر إليه دائماً، فأجده ثابتاً لا يتحرك، صامتاً لا يتكلم، لم أستطع أن أضخ فى قلبه الدماء، ولا فى روحه الصفاء، ولا فى عقله الفكر والفلسفة، فيتحرك، وينطق، فيراه الناس كما رأيته فى خيالى، إلا بعد أن قرأت وذاكرت مجموعة من الكتب التى أدين لمؤلفيها بالشكر والعرفان، وبالفضل والجميل، وهى : مذاهب فلسفية : محمد جواد مغنية، المعجم الفلسفى : د. مصطفى حسبية، عالم صوفى : للكاتب النرويجى جوستاين جاردر، الموسوعة الفلسفية السوفيتية.

المؤلف

جامعة القاهرة

فى كلية الآداب جامعة القاهرة، الساعة دقت لتوها العاشرة صباحاً، وفرحة - التى تشبه اسمها إلى حد التطابق- تتحرك بين الطلبة، تدعوهم للانضمام إلى أسرة الصحوة، فلا بد من توقيع خمسة عشر طالباً، وموافقة أحد الأساتذة على أن يكون مشرفاً على الأسرة، الطلبة الموقعون حتى الآن أربعة عشر، مازالت تحتاج إلى اثنين، إلى طالب وأستاذ، ليتحقق حلمها بتكوين أسرة تنافس أسرتها السابقة، التى فصلت منها منذ ثلاثة أيام.

— إيه رأيك لو تنضمي معانا فى أسرة الصحوة؟ أرجوك ياخلود، عشان خاطرى يا حبيبتي، أقول لك : اشتركي دى الوقت وبعدين اخرجي، المهم ناخذ الموافقة، فاضل لى مشترك واحد يا قمر.

— بس أنا ماليش فى الأسر وتضييع الوقت ده، طب ماتقولى لسماح. وأشارت إلى زميلتها الواقفة معها.

— قلت لها، وقالت لى نفس كلامك.

- طب كلميني عن نشاط الأسرة.
- تردد وكأنها ببغاء:
- نشاط ثقافى ورياضى وفنى وإعلامى.
- انتِ حافظة بقى.
- باقول لك إيه؟ انتِ صاحبتى ، وغصبِ عنك هتشتركى ، هتشتركى يعنى هتشتركى.
- أمرى لله.
- واشتركت خلود كى يكتمل النصاب ، لتبدأ فرحة رحلة البحث عن أستاذ فى الكلية يوافق على أن يكون مشرفا على الأسرة ، تبادر إلى ذهنها د محمود سراج فانطلقت إليه :
- إيه رأى حضرتك يادكتور؟
- أنا الحقيقة مشغول جدا ، وكان بودى أساعدكم ، ولكن الوقت ضيق جدا.
- أنا مقررة الأسرة يادكتور ، وهاقوم بكل شى ، بس القانون بيشرط وجود دكتور مشرف على الأسرة.
- دى مسؤولية ، قلت لى اسمك إيه؟
- فرحة.

— دى مسؤولية يافرحة، وأنا باشرف على رسائل دكتوراة هامة جداً وماعنديش وقت، آسف يافرحة.

وانسحب د. محمود وتركها واقفة تستظل بخيبة الأمل.

لم تياس فرحة وواصلت البحث حتى اهدت إلى حقيقة واحدة، هى أن كل الأساتذة الذين يوافقون على الإشراف على الأسر جميعهم مشرفون بالفعل، ولا يجوز لأى منهم الإشراف على أسرتين، والمهمة أصبحت صعبة جداً، فكل الأساتذة رافضون أصلاً وبنسب متفاوتة، وليس أمامها إلا أن تعيد العرض على الأساتذة الذين رفضوا الإشراف على أسر أخرى، وتعرف سبب الرفض وتزيله من أسرتها، وبذلك يشترك الأستاذ ويقبل الإشراف على الأسرة.

— مساء الخير يادكتور، أنا فرحة من تانية فلسفة.

— أهلاً بيك.

— احنا عاملين أسرة اسمها الصحوة، وكنا عاوزين نتشرف بإشراف حضرتك كرمز هام، ومش هنعطل حضرتك أبداً، أنا هاقوم بكل النشاط.

— أسرة بعد شهرين من الدراسة؟! دا كل الأسر اتجمعت وعملت نشاطها، وانتم لسه هتبدأوا؟!!

— احنا بقى لنا شهر بنعمل الإجراءات، وياريت حضرتك تقبل عشان نبتدى.

— اكتبى لى تلات ورققات عن أهداف الأسرة، وطرق تحقيقها، وهاتيها لى أقرأها، وبعدين نتكلم.

وتركها الدكتور سمير الببلى فى حيرتها.

— لسه هنكتب، ولسة هيقرأ، دا إيه الأسرة الجملى دى؟!
دا احنا عملنا أسرة صوت الجامعة فى تلات ساعات، أنا وهند وحسام، بس هما الللى تآمروا علىّ وفصلونى من الأسرة، مع إنى أنا أول المؤسسين، لكن ماشى، بكرة يشوفوا أنا هاعمل إيه لوحدى.

دقت ساعة الجامعة الثالثة بعد الظهر، فهرعت فرحة إلى باب كلية التجارة، فأخوها سيمر عليها بالسيارة كى يأخذها معه إلى البيت، خرجت تنظر يمينا ويسارا فلم تجده، رمت النظر إلى الجهة المقابلة فوجدته فاتصلت بهاتفه المحمول.

— إيه يامصطفى؟! مش احنا قلنا قدام باب تجارة؟! إيه الللى موقفك عند مطعم صبرى؟!
— قلت آكل سنندوتش لحد ماتطلعى.

— تمام، بالهنا والشفاء، أنا قدام باب تجارة، خلص وتعالى.
أخذ مصطفى أخته التى لاحظ عليها أنها فى حالة نفسية سيئة:

— مالك يافرحة؟!
١٠

— موضوع الأسرة اتعقد قوى ، وكدا يبقى هند وحسام
انتصروا علىّ.

— هو إيه سبب المشكلة أصلاً؟

— الرحلة اللي قلت لكم عليها بتاعة تيران وصنافير،
انت عارف المشكلة، ناس بتقول سعودية، وناس بتقول
مصرية، وأنا ولا تفرق معايا الحكاية دى أصلاً، بس
قلت استغل الموقف واعمل رحلة، أكيد كل الطلبة
عاوزين يشوفوا تيران وصنافير اللي بيسمعو عنها ليل
ونهار فى التليفزيون والجرايد، وأعلنت عن الرحلة،
جالى أمم يا ابنى، أكثر من خمسين طالب فى نفس
اليوم، وجالى كمان استدعاء من العميد، وتهديد بالفصل
ليّ أنا وهند وحسام.

— وهما عملوا إيه؟

— قالوا للعميد إن دا قرار فردى من فرح، وإن الأسرة
معملتش رحلة لتيران وصنافير، حتى هند بنت اللثيمة
قالت له : يا افندم دا تيران وصنافير حبة رمل لا فيها
معالم سياحية ولا فنادق ولا أى شئ، وحتى لو فيها،
دى سعودية، إزاي نروح السعودية بدون تأشيرة؟

— والعميد قال لها إيه؟

— قالها: ما أنا كمان استغربت، إزاي الطلبة عاوزين يروحوا

تيران وصنافير، يعنى خارج البلاد، بدون إذن من الجامعة.

— وحسام؟

— حسام قال إنى مفصلة من الأسرة بسبب موضوع الرحلة دى، فرحب العميد بالقرار.

— طب انتِ هتعملى إيه دى الوقتِ؟

— هاعمل أسرة جديدة، وأوريهم النشاط يكون إزاي، وهارشح نفسى فى انتخابات اتحاد الطلبة السنة دى ضد حسام، وبدال ماكنت هادعمه، هاتحدها، وأرشح نفسى وامسحه، عشان يندم على تصرفه معاى.

— ربنا يوفقك يا أميرة الانتقام.

كتبت فرحة ثلاث ورقات عن الأسرة وأهدافها وسبل تحقيقها لتقدمها للدكتور سمير البيلى، عله يوافق على أن يشرف على الأسرة، ويخرجها إلى النور:

— صباح الخير يادكتور، أنا كتبت التلات ورقات.

— صباح النور.

راح ينظر إلى ماكتبته فرحة، وما إن مرت دقيقة واحدة حتى بدأ وجهه يتلون ويظهر عليه الغضب.

— أنا آسف يافرحة، مش موافق.

- ليه حضرتك؟!؟
- مصممة تعرفى السبب؟
- ياريت يادكتور، أنا كتبت الأهداف وسبل تحقيقها، ولو فيه حاجة مش واضحة، حضرتك اسألنى.
- للأسف، أنا مش موافق إن انت تكونى مقررة لأسرة يشرف عليها الدكتور سمير البيلى، انت ماتعرفيش الدكتور سمير البيلى؟!؟
- طبعاً عارفة، نار على علم يادكتور، بس نفسى أفهم حضرتك اتغيرت كدا ليه لما قرئت الورق؟!؟
- كل سطر فيه غلطة أو اتنين فى الإملا، انت ماتعرفيش تكتبى، مستواك مستوى تانية إعدادى مش تانية جامعة.
- احمر وجه فرحة، ولكن إصرارها على تكوين الأسرة أمدها بشئ من الصبر:
- مش مهم الإملا دى الوقت يادكتور، المهم الأهداف واضحة قدام حضرتك؟
- أنا ممكن أوافق على الإشراف بس بشرط واحد.
- موافقة يادكتور قبل ما اسمعه.
- إنك انت ماتبقيش مسؤولة عن أى حاجة فى الأسرة،

وترشحي لى أى حد تانى يكون بيكتب كويس ولغته جيدة، لأن نشاط الأسرة دى هيتحسب علىّ، وأنا مش ممكن أغامر باسمى معاكم.

انسحبت فرحة وشعرت بالشعور نفسه الذى انتابها حين أبلغها حسام بقرار فصلها من أسرة صوت الجامعة: — حاضر يادكتور، هاشوف لك حد يكون بيعرف يقرا ويكتب، حاضر.

وما إن تركته بثلاث خطوات، حتى انفجرت بالبكاء، فتجمعت الطالبات حولها، يحاولن أن يهدئن من روعها، ويعرفن السبب.

— إيه اللمة اللى هناك دى؟! شوف لى مين الطالبة اللى بتعيط هناك، وهاتها لى على مكتبى. — حاضر يادكتور.

انطلق موظف الأمن الداخلى إلى فرحة.

— مالك يابنتى؟! حد ضايقتك؟

— لأ أبدأ.

— الدكتور عبدالحميد كعابيش رئيس قسم الفلسفة شافك، وطلب منى أبلغك تروحي له المكتب حالاً.

— حاضر، أنا جاية مع حضرتك.

استخدمت فرحة منديلها، وأزالت الدموع، ولكن الحزن والهزيمة مازالا فى عينيها، ولا يمكن إزالتهما بسهولة، فرأت صديقتها خلود ألا تتركها تذهب وحدها:

— صباح الخير يادكتور.

— صباح النور يافرحة، وانت اسمك إيه.

— خلود يادكتور، فى أولى فلسفة، وفرحة فى تانية.

— إيه اللي حصل يافرحة؟

رأت خلود أن تحمل عن صديقتها عبء الحوار المحزن والمؤثر، فقصت على الدكتور كعابيش كل ماحدث.

— دى حكاية بسيطة قوى، خلاص ياستى، أنا هاشرف على أسرتك بنفسى، مع إنى رفضت ثلاث أسر قبل كده.

— والله يادكتور؟ حضرتك؟

تتلعثم وابتسامتها تقهر الحزن واليأس، فيهربان من عينيها.

— شفت بقى؟! يعنى الدكتور سمير رفض، ورئيس القسم التابع له قبل، وهيبقى معاك فى الأسرة، ممكن تهدى بقى وتكلمينى بنفسك عن الأسرة، هى اسمها إيه؟

تتمالك فرحة نفسها وتنظر إليه باسمه:

— أسرة الصحوة.

وبدأت تشرح له الأهداف ، وكيف ستحققها الأسرة.

— كل دا عادى يافرحة ، رحلات ومسابقات ، كل الأسر
شبه بعض ، مافيهاش جديد ، أنا عارف إنك انت
عاوزه تنجحى ، وتثبتى لزملائك إنك كنت مكسب كبير
ليهم ، وهما اتنازلوا عنه ، ولازم يندموا.

— تمام.

— اسمعيني ، ونفذى كل اللي هاقول لك عليه ، معاك ورقة
وقلم؟

— أيوه.

— اكتبى.

— أسرة ألوان الطيف.

— نعم؟! ألوان الطيف!؟

— أيوه ، ألوان الطيف ، يعنى التنوع ، وهتكون من ناس
متنوعين ، مختلفين ، واختلافهم دا هيخليهم متكاملين.

— مش فاهمة حاجة.

— قالتها فرحة ، بينما خلود سعيدة جداً ومنبهرة بشخصية
و حوار كعابيش.

— الأسرة تمثل مصر بتنوعها ، يعنى الأعضاء هيكونوا

متنوعين ، مسلم سنى والتانى شيعى ، مسيحي ، بهائى ،
من اتجاهات سياسية مختلفة ، ليبرالى ، يسارى ، يمينى ،
ثورى ، إصلاحى ، وبعد ما نتأكد من تحقيق التنوع ده
نعمل للأعضاء محاضرات فى التثقيف الفلسفى ، لأن دى
هتبقى أسرة مهتمة بالفلسفة ، وبيشرف عليها الدكتور
كعابيش رئيس القسم .

— يعنى إيه - حضرتك - التثقيف الفلسفى؟!!

— يعنى ندرس تاريخ الفلسفة ، ونعرف فلسفة التاريخ اللي
احنا جزء منه .

تتابع خلود كلمات الدكتور كعابيش بإعجاب ، فهى
قد دخلت الأسرة إرضاءً لصديقتها دون رغبة منها ، لكنها
وجدت ماكانت تبحث عنه حين التحقت بهذه الكلية .

— يعنى الأسرة دى هتبقى أسرة فلسفية ، مش للرحلات
والمسابقات والحفلات؟

— هيبقى فيها نشاط اجتماعى لكن أقل ، لأن النشاط
العلمى هيكون أوسع ، كل أعضاء الأسرة هيعرفوا يعنى
إيه فلسفة ، وهيعملوا أبحاث ودراسات عن الفلاسفة .

— الله يادكتور ، حضرتك عظيم .

قالتها خلود منفعة ، بينما كانت فرحة تتابع برفض
كل مايقال ، فهذه الأسرة ستكون طاردة للطلبة ، فمن الذى

يلتحق بأسرة تكلفه بمذاكرة إضافية، فالطلبة ينتمون للأسر من أجل الرحلات والحفلات والترفيه.

— خلاص يافرحة جهزى كل شئ، وأنا معاك.

خرجت فرحة وخلود من مكتب الدكتور كعابيش:

— دا راجل عبقرى.

— دا راجل مجنون.

— إزاي بقى؟! دى فكرة عظيمة، دا انت مش عارفة، الأسرة دى ممكن يطلع منها فلاسفة كبار، يغيروا كل شئ فى الدنيا.

— دا بيحلم يابنتى، الأسرة دى مش هتجمع ولا صوت فى الانتخابات اللي جاية.

— انت عاملة الأسرة دى عشان تعملى نشاط محترم، ولا تجمعى أصوات؟

— أجمع أصوات، واثبت لحسام وهند إنى أحسن منهم.

— وهتعلمى إيه مع د. كعابيش؟

— هاطنشه.

— إزاي يابنتى، دا رئيس القسم، وهيدرس لك فى رابعة، وانت كدا، كدا، جاية له، جاية له، لا مفر.

خلود

لم تفلح فى إقناع والدها بأن تدخل القسم الأدبى ، فوالدها يرى فى ذلك إهداراً لطاقتها وذكائها، فهى إذا اختارت القسم العلمى سيؤهلها لدخول كليات القمة التى تستحقها، ولكن الرياح -هذه المرة- أتت بما تشتهى السفن، ف٨٥٪ لن تؤهلها إلى كلية أعلى من كلية الآداب، وبذلك جاءتها الفرصة لدراسة الفلسفة التى تستهويها.

وخلود صاحبة القوام النحيف والوجه الجميل تحب أن ترتدى دائماً ملابس الذكور (تى شرت، وبنطلون جينز)، ولا تستخدم أية مساحيق للتجميل، فهى بيضاء وجميلة وعيناها العسليتان لا تحتاجان إلى كحل، فهى جذابة بفطرتها دون تدخل، لم تقع فى الحب حتى الآن، أو بالأحرى لم تفكر فى هذا الموضوع، فهى تبحث عن دور كبير، وعلم، ومكانة تصل إليها لإثبات ذاتها.

تعرفت فى أول يوم من الدراسة على فرحة، النشيطة، الدؤوب، التى تستقبل الطلبة الجدد الذين أتوا لتوهم من الثانوية العامة، تستقطبهم للدخول فى أسرتها، فهى تسعى

دائماً للوصول لكل الطلاب قبل أن يصل إليهم الآخرون، حتى إن نكتهما الشهيرة ملازمة لها دائماً وهى دائماً ماتكررها:

— مرة واحد فى الجامعة مايعرفش فرحة، وتضحك..

تسكن خلود مع أسرتها فى شارع الطوبجى فى بين السرايات، القريب جدا من الجامعة، ويعمل والدها فى سنتر يملكه لتصوير المستندات والرسائل العلمية، فكل سكان هذه المنطقة تقريبا يعملون فى خدمات خاصة بطلبة الجامعة، فعمرو وأخوها الذى حرمه سوء حظه من إكمال دراسته يعمل مديراً للسنتر ويحمل كل الأعباء عن والده الذى يجلس على مكتبه لتحصيل الإيراد فقط.

لم تكن صورة الجامعة المرسومة فى ذهنها قريبة من الواقع الذى رأتها، فالصورة لم تتطابق إلا اليوم حين رأت الأستاذ الجامعى المثالى كما كانت تتصوره دائماً، الدكتور عبدالحميد محمد كعابيش.

«لن أتركه أبداً حتى أتعلم منه كل شئ، وسأكون تلميذته حتى بعد الليسانس، سأكمل دراستى العليا وأكون دكتورة فى الفلسفة، أخيراً سيتحقق حلم حياتى».

— ألوه، ازيك يافرحة، انت وصلتِ ولا لسة فى العربية؟

— أنا لسة مشوارى طويل، فى المعادى، ياريت بابا

يشترى لنا شقة فى بين السرايات جانبك، يابختك
ياست خلود، البيت جنب الجامع.

— أنا مش فاهمة انت ليه مش سعيدة، مع إنى انا فى
قمة السعادة وباحمد ربنا إنه وفقنا، وكوننا الأسرة.

— إيه وفقنا دى؟! هو انت جيبِت الحماس دا منين؟!
يعنى انت هتبقى مسؤولة معاى عن الأسرة؟
— ياريت.

— طب أقول لك على حاجة، وابقى افتكريها كويس،
الأسرة دى هتفشل فشل ذريع، وبكرة أفكر.
— لأ، أبدأ بالعكس.

— اسمعى منى، أنا عندى خبرة أكبر منك، وعارفة الطلبة
كويس جدا، هتفشل يعنى هتفشل.

— فال الله ولا فالك، دى هتبقى أهم أسرة فى جامعة
القاهرة، ويمكن فى جامعات مصر كلها.

— خلاص، ماشى، مع إنى مش مقتنعة، بس خلىنى
معاك، انت هتبقى مسؤولة عن طلبات الدكتور
كعابيش وموضوع التثقيف الفلسفى، والخيبة السودا
اللى هو عاوزها دى، وأنا اشتغل بطريقتى، رحلات،
ومسابقات، وحفلات، وأولعها، ويبقى ضربنا عصفورين
بحجر واحد.

- والدكتور كعابيش هيوافق؟
- لازم يوافق، لأنه لو ماوافقش؟ أنا هانسحب، لأنى ما أقدرش أفضل وأشمت هند وحسام فيّ.
- بدأت خلود تجمع الأطياف المختلفة، وتأتى بطلاب متحمسين أغلبهم من الفرقة الأولى، مطابقين للمواصفات المطلوبة بعدما وزعت فرحة المهام، فصارت خلود المقرر الثقافى للأسرة ومسؤول ملف التثقيف الفلسفى.
- صباح الخير يادكتور.
- صباح النور ياخلود، أمال فين فرحة؟
- فرحة مكلفانى برجاء لحضرتك، وخافت تيجى معاى لتتعرض لصدمة تانية.
- أبداً، هى حساسة قوى زيادة عن اللزوم، والموضوع بسيط.
- هى بتقترح إن الأسرة تبقى زى كل الأسر التانية، فيها كل النشاط، ومشروع التثقيف الفلسفى يكون اختياري، مش إجبارى على كل الطلبة.
- طبعاً موافق، أنا ضد القهر، كل إنسان حر، وأنا مش عاوز أجبر حد على دراسة حاجة مايبحبهاش.
- أنا هاكون مع سيادتك يادكتور فى برنامج التثقيف

الفلسفى لأنى بقيت المقرر الثقافى للأسرة، لحد ما
نعمل الانتخابات الداخلية.

— دا خبر جميل، أنا ملاحظ حماسك، وإيمانك بالفكرة.

— دا حلم حياتى.

— دى مبالغة ياخلود؟

— لا يادكتور أبدا، أنا كان نفسى أدرس الفلسفة، ودخلت
الكلية باختيارى، وكان ممكن أدخل تجارة، زى ما كان
بابا عاوز، ورفضت.

— انتِ عارفة أنا جايب كم فى الثانوية العامة؟

— كام يادكتور؟ مع إنى عارفة الدكتور عبدالحميد كعابيش
العبقرى أكيد كان يقدر يدخل أى كلية هو عاوزها.

— أنا أول الجمهورية فى أدبى ٩٩,٨٪، وأربع سنين
امتياز، ودكتوراة امتياز مع مرتبة الشرف.

— ما شاء الله، والدكتوراة كانت فى إيه يادكتور؟

— كانت فى تاريخ الفلسفة وتأثيره فى تاريخ البشر.

— دا موضوع صعب قوى، بس أنا لى رجاء عند حضرتك.

— اتفضلى.

- أنا آسفة، وأتشرف، إن حضرتك (تتلعثم خلود فى الكلام) زى والدى (وهى مترددة).
- اتفضلنى، مع إن زى والدك دى مش ممكن، لأنى ما اتجوزتش أصلاً فبالتالى ما عنديش أولاد.
- أنا آسفة.
- لأ، أبداً، كنتِ عاوزة تطلبى حاجة من والدك، إيه هى؟
- نفسى حضرتك تميزنى عن باقى الأسرة فى الكورسات.
- مش فاهم.
- حضرتك، أنا المقرر الثقافى، وممكن أتعرض لأسئلة من الأعضاء، فلأزم أعرف أرد.
- يعنى انت عاوزة تتأهلى عشان تبقى مقرر ثقافى ناجح، برافو عليك، أنا موافق طبعاً، تحبى نبتدى من إمتى؟
- فرحت خلود وصرخت ببهجة قائلة :
- دى الوقتِ حالاً.

أسرة أفكار فلسفية

لم تستطع خلود أن تصل إلى شيعى واحد أو بهائى أو صاحب عقيدة وفكر مختلف كى تنفذ وصايا كعابيش فى مواصفات أعضاء الأسرة.

— أنا عارفة إن فيه شيعة فى مصر، لكن مستخبين، وبيخافوا من الظهور، من ساعة حادثة أبو النمرس الشهيرة، دى كانت حادثة بشعة.

— أيوه، أنا كنت فى فرنسا وقتها، وتابعت الموضوع فى الجرايد، أهالى قرية أبو النمرس - فى ضواحي الجيزة - قتلوا زعيم الشيعة حسن شحاتة، ومريديه، ومثلوا بجثثهم فى مشهد بشع، والحوادث دى بتحصل عشان الناس الجهلة المنتشرين للأسف فى كل مكان، والمصممين على غياب لغة الحوار، ورافضين دايماً التواصل مع الآخر، عموماً هما لما يعرفوا إننا بنقبلهم فى أسرتنا هينضموا لينا، خليها فى الوقت المناسب.

— بس البهائيين دول يادكتور؟! أنا أول مرة أسمع عنهم.

- دول مجموعة من المصريين، أقول لك؟ خدى الكتاب دا فيه كل حاجة عن البهائيين.
- وأعطاها كتاباً يحمل اسم «أسرار واعترافات البهائيين» (قصة أشهر بهائى فى مصر).
- متشكرة قوى يادكتور، أنا هاقراه الليلة دى، بس أنا كدا شايفة إن اسم ألوان الطيف مش هيبقى مناسب للأسرة.
- ليه؟ انت عندك اتجاهات سياسية مختلفة، اليمينى، واليسارى والوسطى، والليبرالى.
- حتى الاتجاهات دى غير محددة دى الوقت، ممكن يشتركوا معانا فى الأسرة بعد كده.
- طب عندك اسم مناسب؟
- بعد إذن حضرتك، أنا شايفة إن الاسم المناسب للأسرة يشرف عليها د. كعابيش رئيس قسم الفلسفة هو «أسرة أفكار فلسفية».
- جميل ياخلود، موافق.
- قالها ووجهه قد استولت عليه ابتسامه عريضة.
- صحيح يادكتور؟!!

— مش بس كدا، دا أنا باترجم حالياً رواية بتتكلم عن تاريخ الفلسفة للروائى النرويجى جوستاين جاردر وهاسميها بنفس الاسم (أفكار فلسفية) دا بعد إذذك طبعا يا صاحبة الاسم.

ابتسمت خلود..

— طبعا موافقة، ومتشكرة جدا يادكتور، حضرتك بترفع من معنوياتى، وأنا ممكن اقرأ الرواية دى إمتى؟ أنا باحب الروايات جداً، خاصة المترجمة عن الأدب العالمى.

— خلصى الأول الكتاب اللى فى إيدك، وبعدين الرواية.

— حاضر، على فكرة أنا باكتب على الكمبيوتر كويس، وعندنا سنتر هنا قدام الجامعة، ممكن أنسخ لحضرتك الرواية.

— أشكرك يا خلود، انتِ فعلاً مساعدة ناجحة، وأنا طول عمرى نفسى يبقى عندى حد يساعدى.

— دا شرف كبير يادكتور، اعتبرنى من النهاردة سكرتيرة لحضرتك.

كعابيش ينظر لخلود بإعجاب ودهشة، ويتساءل : لماذا رفض الإشراف على الأسر الثلاث السابقة؟!، ولماذا بكت فرحة ولفقت نظره وجعلته يقبل الإشراف على أسرتها؟!،

ولماذا تتنحى فرحة عن النشاط الثقافى وتتركه لخلود
ليكون التواصل بينها وبينه مباشراً كل يوم لساعات غير
قليلة؟!، لعل القدر يفعل بى كل هذا حتى أكتشف هذه
البنيت الرائعة التى عشت طول العمر أبحث عنها، يكفى
أن أكون أستاذها، فهى نموذج لطالبة رائعة، وأعرف أننى
لن أستطيع أن أحلم بأكثر من ذلك، لأنها جاءت متأخرة
عشرين عاماً.

بيكار

أخذت خلود الكتاب وبدأت تقرأ :

فى شهر فبراير عام ١٩٨٥ ضبطت مباحث أمن الدولة تنظيمًا بهائياً، وتم تحويل المتهمين إلى نيابة أمن الدولة للتحقيق، كانوا ستة عشر رجلاً وامرأتين، وتم تقديمهم للمحاكمة (ماعدًا زعيم التنظيم وأربعة آخرين تم الإفراج عنهم)، وأخذت القضية رقم ٢٢٦٦ لسنة ١٩٨٥ جنح قصر النيل، وبمجرد الإعلان عن هذا التنظيم ثار صخب وضجيج فى المجتمع وفى وسائل الإعلام المصرية والعربية لسببين : السبب الأول: أن ملف البهائية الذى كان قد أُغلق منذ ١٣ عاماً بعد الحكم فى قضية مماثلة اشتهرت باسم قضية طنطا تفجرت سنة ١٩٧٢، عاد ليفتح من جديد، فبدا الأمر وكأن هناك ميثاً يفتح باب القبر بعد انصراف مشيعيه عنه، ويخرج ماشياً على قدميه !

والسبب الثانى والأهم: أنه كان هناك شخصية شبه عامة على رأس التنظيم، وهو الرسام والصحفى حسين بىكار،

والذى أفرج عنه ولم يقدّم للمحاكمة هو وأربعة آخرون ، لكن محاكمة مجتمعية عقدت لبيكار تولتها الصحافة نيابة عن الناس.. فماذا قال بيقار؟ وما الذى أدلى به من اعترافات فى غرفة التحقيقات نيابة أمن الدولة العليا؟

— خلود انتِ بتعملى إيه؟ هى المذاكرة هتطير يابنتى تعالى اتعدى الأول، وبعدين ذاكرى زى ما انتِ عاوزة.

— أنا مش جعانة ياماما، كلت فى الجامعة.

— خليكِ كدا، دا انتِ خاصة قوى يابنتى، تعالى كلى لقمة واحدة وارجعى.

— حاضر، حاضر، بس سيبينى دى الوقتِ.

وعادت خلود لتقرأ بحرص، كى تجمع كل التفاصيل وتظهر بمظهر مشرف أمام الدكتور عبدالحميد كعابيش، فهذه أو مهمة يكلفها بها، وهى تريد أن تكون مستعدة للمناقشة.

« فى مقر نيابة أمن الدولة العليا بمدينة نصر وفى ملف التحقيقات الرسمية قال حسين بيقار عندما سئل عن البهائية : هى عبارة عن ديانة مستقلة مثل ديانة الإسلام والمسيحية واليهودية ومثل كل الديانات الأخرى، أو هى جوهر وحقيقة كل هذه الديانات، فهى حلقة من سلسلة الرسالات السماوية بدءاً من آدم عليه السلام إلى أن يشاء الله، ولم تختلف رسالة عن أخرى فى هذه المبادئ الأساسية،

إنما الاختلاف فى العبادات والتشريعات، والبهائية جاءت لتنسخ ما قبلها من رسالات، وهى رسالة سماوية تنتظرها جميع الأديان، فاليهود ينتظرون «جيسية»، والنصارى ينتظرون عودة المسيح، والمسلمون ينتظرون «المهدى المنتظر»، والبهائية هى التى ينتظرها هذا العصر، بدأت عام ١٨٤٤ ميلادية على يد «على محمد» ونسميه «الباب» أى الشخص المؤدى إلى الله، وقد بشر بمجئى موعود آخر يظهره الله ليضع أساس الديانة الجديدة التى تكمل الديانات السابقة، ويسير العالم عليها إلى أن يجئ آخر يبشر، وقد جاء ابنه حسين وأطلق على نفسه «بهاء الله»، وقد أعدم الباب نبى هذا الزمان فى إيران بمجرد إعلان دعوته واتهام علماء المسلمين له بأنه جاء ليهدم الإسلام، ونحن نعتبره رسول العصر الذى أتى ليصحح المفاهيم العقائدية فى مختلف الطوائف، ولذلك نسبت إليه البهائية باعتبارها ديانة عالمية، ومن ضمن البلاد التى طبقت فيها مصر منذ ١٠٠ سنة، حيث كان يوجد مجتمع بهائى، وسجلت بالمحاكم المختلطة وكان مقرها بحظيرة القدس بالعباسية، إلى أن صدر القانون رقم (٦٢٣) لسنة ١٩٦٠ بحظر نشاط المحافل البهائية فى مصر ومصادرة جميع أملاكها ووقف نشاطها.

وإذا ما توقفنا هنا للحظات وأعدنا قراءة أقوال بيكار التى سجلتها النيابة وحولناها إلى عناوين رئيسية فسوف نلاحظ التناقض الآتى:

أحضرت خلود دفتراً، وأخذت تكتب كى تستطيع أن
تفند ما قاله بيكار، وتؤهل نفسها لأى مناظرة محتملة:

— التناقضات.

ووضعت خلود خطأ أحمر أسفل الكلمة.

— أما أن البهائية ديانة مستقلة فهذا تبجح واضح من
البهائيين، لأننا يمكن أن نسألهم: ما هو الجديد الذى
جاءت به هذه الديانة؟

— وأما أنها تنسخ ما قبلها، فهذا ما ينكره البهائيون
كثيراً، بل أنكروه بيكار نفسه حين قال إنها تكمل ما
قبلها، لا تنسخ، وفى وصفه لمؤسس الطائفة (الباب)
قدمه مرة على أنه جاء يبشر بالمنتظر، ومرة على أن
هناك فى كل دين من يُنتظر مثل الباب، وأنه نبي
هذا الزمان!! فهل جاء الباب بالدين؟ أم أن الدين هو
الذى جاء بالباب؟ وإذا كان البهائيون يؤمنون بأن كل
دين لديه عقيدة فى شخص منتظر، فلماذا يجب أن
نصدق أن الباب أو البهاء - أو أيهما - هو المنتظر الحق
الذى سوف يرفع الظلم عن العالم؟! ما هذا؟

جرس الباب يرن.

— ياخلود قومى افتحى يابنتى.

— حاضر.

قالتها، لكنها لم تتحرك.

— خلود....

لا ترد خلود على أمها، فلم تجد الأم سبيلاً إلا أن تفتح هي الباب.

— كويس إنك جيت، شوف لك صرفة مع بنتك دى، أنا مش قادرة عليها، مذاكرة، مذاكرة، ولا أكل، ولا نوم، بنتك عدمت، وبتموت نفسها.

— مساء الخير ياروح بابا.

— مساء الغل يا حبيبي.

— إيه الكتاب دا؟

— دا كتاب إداهولى الدكتور بتاعنا فى الكلية.

يمسك والدها بالكتاب ويبتسم، فتسأله :

— هو انت قريت الكتاب دا يابابا؟!

— أيوه، مرة جالى واحد فى السنتر، وقال لى : صور لى عشر نسخ من الكتاب ده، وادانى فلوسهم، وبعد يومين اتصل بى وقال لى : وزعهم على حبايبك فاستغربت ودفعتنى فضولى لقراءة الكتاب.

— وحضرتك رأيك إيه؟

— حركة خبيثة لنشر الكتاب، عموماً أنا فهمتها وحرقت
النسخ كلها، دول ناس مخهم ضيق، تخيلى يابنتى
كانوا رافعين قضية على الحكومة عشان يشيلوا خانة
الديانة من البطاقة.

— إزاي؟

— أديكِ قلتِ، أفكار غريبة، وطلبات غريبة، وفى الآخر
المحكمة حكمت لهم - هما بس - يحطوا شرطة مكان الديانة.

— طيب والجواز والطلاق والميراث؟ كل دا بيختلف من
دين لدين.

— ربنا يهدى الجميع يابنتى، صليتِ العصر؟

— أيوه يا حبيبى، عقبال ما تصلى أكون حضرت لك
الغدا، ونتغدى سوا.

— لأ أنا صايم، كلى انتِ وريحى أمك اللى تعبت معاكِ دى.

— أه أنا ناسية إن النهاردة الاتنين.

وما إن تركها والدها حتى عادت لقصة بيكار :

قال بيكار فى تحقیقات النيابة إنه انتخب عضواً فى
المحفل المركزى، ثم صار نائباً لرئيس المحفل المركزى
المصرى السودانى وشمال إفريقيا، إلى أن مُنع نشاط البهائية
فى عام ١٩٦٠، وكان لابد أن يعقدوا محفلهم فحولوها إلى

زيارات بينهم كأصحاب عقيدة، وكان طبيعياً أن نتزوج (بيكار هو الذى يقول) من بعضنا دون النظر إلى الديانة، وكنا نقرأ المناجاة الخاصة بالبهائيين، وهى عبارة عن الأدعية التى نزلها حضرة «بهاء الله» والكتاب الأقدس تجمعت فيه الأحكام البهائية التى قال بها بهاء الله، وهى منزلة عليه من الله سبحانه وتعالى، أما الألواح فهى كتب تضم خطابات كان يكتبها بهاء الله تتضمن مبادئه وتعاليمه ونصائحه للأحياء فى العالم، والكتابان هما مصادر التشريع فى البهائية !!

— وفى رده على سؤال : هل أنت بهائى بالوراثة، يجيب بىكار :

«لقد نشأت نشأة إسلامية محافظة ومتدينة وحوالى سنة ١٩٢٨م حضرت إلى القاهرة للالتحاق بكلية الفنون الجميلة، وكان للعائلة صديق يدعى محمد زين العابدين، وكان بهائياً فكنت أحضر جلساته وأستمع إلى ما يقال فيها، وقد كانت تضم مسلمين ومسيحيين كانوا يأتون بأدلة من القرآن والكتاب المقدس على أن هناك ظهوراً جديداً سيأتى، وفى الكتاب ما يؤكد مجئ محمد عليه الصلاة والسلام، وكذلك فى الكتب السماوية كلها ما يؤكد بأن بعد محمد سيجئ ظهور إلهى آخر وهو ما يطلق عليه المهدي المنتظر وهو ما يتمثل حالياً - حسبما نعتقد - فى بهاء الله ورسالته، وكنت أولاً أعترض على هذا الفكر اعتقاداً بأن محمداً هو خاتم

الأنبياء، وأن الإسلام هو خاتم الأديان، إلا أنه عن طريق قراءتى المتأنيّة فى الكتب المقدسة سواء الإنجيل أو التوراة أو القرآن الكريم آمنت بما لا يقبل الشك وباليقين الكامل بأن محمداً حق وموجود وموعود فى جميع الرسالات السماوية السابقة، كما أن بهاء الله أيضاً موجود بنفس الوضوح فى جميع آيات الكتاب المقدس والقرآن الكريم باعتباره الظهور الإلهى الذى سيأتى بعد محمد، وإن من يكفر بهذا الظهور الإلهى الجديد المتمثل فى شخصية بهاء الله الجديد المتمثل فى شخص بهاء الله كأنه كافر بجميع الديانات السابقة، إذ إن بهاء الله حق وارد فى هذه الديانات».

وعند هذه النقطة تتوقف مرة أخرى قليلاً مع قصة السيد بيكار وتكتب ملاحظتها التالية :

إن هناك من كان يمارس عملية غسل مخ منظم للسيد بيكار، كان هو على استعداد لقبولها رغم المقاومة الأولى، ولم يكن الذى يقوم بهذه العملية شخص واحد فقط، ولكن أكثر من شخص بدليل قوله (كانوا) التى تشير إلى الجمع وليس المفرد، ولك أن تتصور من يجلس فى جلسة مع من يتعاطون المخدرات أو يزنون ويقنعون شخصاً ما بأن يمارس ما يمارسونه ليحس اللذة التى يحسونها أو على الأقل يمر بها، ويلجّون فى هذا ويزينونه، ألا يكون مثل هذا الشخص عرضة للاقتناع والوقوع فى الرذيلة؟! .

يدخل عمرو فلاتشعر به خلود التى تركت الشاى حتى
أصبح بارداً.

— انتِ عارفة إن ليبتون نزلت شاى بارد زى البيبسى
اسمه آيس تى؟!!

مازحاً ، وهو يأخذ الشاى ويشربه .

— انت مش عاتق يا ابنى ، حتى الشاى البارد؟!!

— قومى اعملى لى الأكل .

— كلها نص ساعة وتاكل مع بابا .

— أنا إيه اللى يخلينى أستنى لغاية المغرب ما يأدن؟! دا
بابا صايم يا بنتى .

— حل عنى بقى ، وسيبنى أخلص اللى فى إيدى .

— وربنى بتكتبى إيه .

ويقراً عمر مادونته فى دفترها :

«وإذا كان بيكار قد ردد أقوال المنظرين للبهائية ، من أن
هناك أعداداً أخرى فى الكتاب المقدس تشير إلى أن هناك
ظهوراً آخر جديداً سيأتى ، فأنا أقول له إن المسيحيين
واليهود قد أخرجوا من الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل)
كل ما يمكن أن يشير إلى هذا ، وأستطيع أن أعدد لك تلك
الأعداد نقلاً عنهم ، ولكن اليهود يقولون إنها تشير للمسيح

المخلّص، بينما يقول المسيحيون إنها كانت تبشر بمقدم عيسى بن مريم سلام الله عليه، ولم يقل أحد إنها تشير للبهاء، وبالناسبة، نسأل البهائيين: هل هى تشير إلى الباب أم إلى البهاء؟! أم أن الله فتح عليكم فأرسل لكم فى بضع سنين المخلّص والنبي والرسول وتجسد لكم بشراً (بالمرة)؟ اتقوا الله يا من غابت عقولكم.

أذن المغرب فقامت خلود لتحضر طعام الإفطار لوالدها وأخيها الذى لم يتناول الغداء.

— العصير يا بابا، صوماً مقبولاً إن شاء الله يا حبيبى.

— وما فيش غدا مقبول؟!

— لأ.

— ولا جيد؟ ولا أى حاجة جاية منك لأخوك، حبيبك؟

— بالهنا والشفاف يا أستاذ عمرو.

— انتوا هتفضلوا كدا ناقر ونقير؟

— لا أبدا يا بابا، دا خلود دى سكر.

— يبقى أكيد عاوز حاجة.

— والله أبداً يا بنتى، دا انتِ أختى الوحيدة، هو بس عشرين

صفحة وورد، وانت بتكتبى بسرعة (ويلتفت لأبيه) بتكتب

حلو قوى على الكمبيوتر، وإيه؟ خطها حلو قوى يا بابا.

فيضحك الأب والأم، وتضحك خلود التي تجيبه :

— من عينيَّ ياعمرو، بس أما اخلص الكتاب اللي فى إيدى.

تركت خلود أمها كى تحمل الأطباق للمطبخ، وذهبت
هى للكتاب وعاودت القراءة ثم بدأت تكتب :

والخلاصة أن السيد بيكار وقع فى براثن الذين غسلوا
مخه ولم يشأ الله أن يهديه لأنه اختار هذا الطريق، ولو
كان لديه بعض التبصر والبصيرة لاهتدى إلى كتب البهاء
والباب وقرأ فيها ما يضحكه، لأنه كلام لا يصدر إلا عن
المخابيل.. لقد نسب البهاء الألوهية لنفسه وقرنها بالنبوة
وبصفة القدم والوحدانية والتثنية فى ذات الوقت، وهو فى
هذا التشويش قد أخذ ما يدعو إليه الإسلام من الوحدانية
وأخذ شيئاً من طبيعة المسيح - كما تدعو المسيحية - وأخذ
صفات أخرى من فلسفات يغلب عليه الطابع اليهودى !!

قررت خلود ألا تكمل الكتاب، فهى وصلت لقناعة
راسخة، وهى أن هؤلاء بعض المختلين عقلياً اختاروا لهم
إلهاً غير الله، ونبياً غير النبى، فكيف يوافق الدكتور
عبدالحميد كعابيش على أن يضم مثل هؤلاء للأسرة التى
يشرف عليها.

— ألو، مساء الخير يادكتور.

— مساء النور.

- أنا قرّيت الكتاب، الناس دول خُلل.
- أنا معاك، بس لما يكون عندنا أخ أو أخت أو ابن أو ابنة أصابه مرض عقلى نقتله، ولا نحتويه ونتكلم معاه، ونحاول نفهمه؟ احنا فى الأول وفى الآخر لازم نفضل نحبه ونشفق عليه.
- نحبه إزاي وليه يادكتور؟!
 - لأنه أخوك أو أبوك أو أمك، لكن أفكاره غير صحيحة، يبقى مافيش حل غير الحوار، بس أنا مبسوط منك جداً، كتاب ١٢٠ صفحة وقرّيته فى نفس اليوم، ومستعدة للمناقشة فيه كمان، انتِ هايّلة ياخلود.
 - أنا متشكرة يادكتور، وإن شاء الله هابذل كل جهدى عشان أكون دايمًا عند حسن ظنك.
 - طب بالنسبة لباقي التنوع؟
 - قصدك الشيعة؟
 - مع إنى عارفة ومتأكدة إن مافيش ولا شيعى ولا بهائى فى الكلية عندنا، ولو فيه حد شيعى أو بهائى أكيد هيخبي عقيدته، دى كل الطلبة عندنا مسلمين سنة ومسيحيين.
 - انتِ تعبتِ من أولها، وفقدتِ حماسك بسرعة كدا ليه ياخلود؟

- لا، حضرتك أبدا، أبدا، أنا جاهزة، فاضل الشيعة.
- هابعت لك ورقتين صغيرين على الإيميل، اقريهم بس قبل النشر، حاجة بسيطة ياستي ورقتين مش كتاب.
- تمام يادكتور.

مصطفى محمود

رغم أن هذا الاسم يوحي دائماً بالعلم والإيمان، إلا أن مصطفى لا يشبه أخته فرحة فى أى شئ، فهو لا يقدر العلم، ويؤمن بأن الحياة لهو ومنتعة، ولا يشغل نفسه بأى شئ إلا ملذاته الشخصية، فهو بلا أحلام، بلا رؤية، حتى الأحلام البسيطة ليس لديه لتحقيقها رغبة أو إرادة أو قدرة، لذلك فهو يتركها تموت وحدها غير آسف عليها.

بعد أن حصل على الثانوية العامة بأعجوبة بعد رسوب سنتين ونجاح غير مشرف فى السنة الثالثة بمجموع ٥٣ ٪، أدخله والده جامعة خاصة منذ خمس سنوات، ومع ذلك فهو مازال فى الفرقة الثالثة بكلية التجارة.

مصطفى يشبه زهور الزينة الصناعية التى عادة ما يكون شكلها جميلاً، ولكن ليس لها رائحة، فهو أبيض طويل وبنيانه قوى وسيم، يرتدى ملابس غالية الثمن، ماركات عالمية، حتى إن فرحة كانت دائماً تلومه.

— يامفتري، حد يلبس جزمة ب٩٠٠ جنيه؟!!

— انتِ جاهلة، دى إيطالى، «سينييه» يامتخلفة.

عندما اشترى والده سيارة لانسر جديدة، استولى عليها مصطفى دون أى مقدمات، وترك السيارة القديمة ملقاة فى الشارع أمام المنزل دون رعاية حتى هلكت.

يستخدم الفيس بوك فى الإيقاع بالفتيات، فهو مولع بنصف الجنس، يحب ممارسته مع بنات بكارى فى حدود المسموح، ويفضل هذه الممارسة عن الجنس الكامل مع نساء عاهرات.

— أنا يا ابنى ما ألمشش إلا واحدة تكون بنت ناس، وبتحببنى أنا لوحدى، ولازم اقنعها عشان أكون الفارس الأول فى حياتها.

— حرام عليك، دا أنا لو ربنا إدانى النعم اللى إداها لك دى كان زمانى الأول على الدفعة، بس الشغل مع الدراسة مأتريين على الواحد مش عارف يركز.

— ياعم شريف دا انت جايب جيد تلات سنين، أمال لو ركزت هتعمل إيه؟! أمال أنا أعمل إيه اللى سقطت سنتين والتلاتة اللى نجحت فيهم طلعت بمادتين.

— احمد ربنا، انت لو معانا فى جامعة القاهرة كنت اترفدت من زمان، هى الدراسة عندكم دى دراسة؟

رغم أن شريف يعرف أن مصطفى يستغله، وكثيراً ما يوحى للآخرين بأنه سكرتييره الخاص، فيتعمد أن يأمره

ببعض الأوامر، ويكلفه بمهام تافهة أمام الناس، إلا أنه موافق، فهو يأخذ مقابل ذلك ملابسه الرائعة بالنسبة لشريف والقديمة بالنسبة لمصطفى، الذى لا يظهر بملابس واحدة أكثر من يوم واحد.

كانت فرحة تشبه شبكة الصياد بالنسبة لأخيها، فهى فتاة تزورها زميلاتهما، وهذا يكفى، فهو جذاب وأنيق، ويكفيه مجرد فرصة، رغم أنه يخسر كثيراً من رصيده عندما يبدأ فى الكلام، فهو سطحى جداً وتافه إلى أبعد الحدود.

— مش هتظبطينى مع صحبتك الجديدة خلود؟

تصعق فرحة، وتغضب، ويبدو عليها الاستغراب:

— خلود؟! هو انت اتيهلت يا ابنى؟! انت ما بتفهمش؟!!

فهمنى يعنى، ما عندكش تمييز كدا خالص؟!!

— ليه يعنى هى تطول؟ دا أنا مصطفى محمود السراج،

صاحب أكبر شركة استيراد فى مصر.

— انت مصطفى الساقط اللى بقاله خمس سنين وفى سنة

تالته، يافاشل، وقبلها خمس سنين فى الثانوية العامة، أولى

وتانية نجحت بالفلوس، وتالته قعدت فيها ثلاث سنين.

— هى الشهادة إيه يا حمارة؟! الشهادة دى مؤهل لوظيفة،

وأنا صاحب شركة، وشغلى محفوظ، وبعدين، أنا مش

طالب منك إلا إن انت تعزمينى أنا وهى فى الجامعة،
أو تعزميها عندنا هنا، ادينى فرصة، وأنا أخلص.

— فرصة إيه، وتخلص إيه يا متخلف؟! خلود دى حاجة
تانية خالص، وانت بالنسبة لها صرصار، مجرد حشرة.

— ليه بقى، هى فاكرة نفسها إيه؟

— لأ، هى مش فاكرة نفسها حاجة، هى بتقول عليك
وعلى أمثالك عار على مصر، وإنكم سبب ضياع البلد
وخروجها من التاريخ.

— يعنى إيه؟! مش فاهم حاجة، هى تعرفنى وكلمتك
عننى؟

— لا طبعاً، النوعية الجاهلة من الشباب اللى انت بتنتمى
ليهم، خلود باختصار بتحتقرهم.

— ليه، هى فاكرة نفسها إيه؟!

— بص يامصطفى، خلود متربية كويس قوى، وعندها
ضمير حى، وأخلاق ومبادئ، فالحركات بتاعتك دى
ما تمشيش معاها، تمام؟ يبقى مش فاضل قدامك غير
الطريق الوحيد اللى يمشى معاها، وهو إنك تتقدم لها،
وفى الحالة دى هترفضك وهتخرج نفسك، أنا أختك،
وبانصحك تشيل الموضوع دا من دماغك نهائى.

دخل مصطفى على صفحة أسرة أفكار فلسفية على
الفيس بوك وكتب تعليقا:

— عاوزين تنوع فى الصفحة مش كله فلسفة كدا.

— تنوع زى إيه؟

— فن، أغانى مثلاً.

— الأغانى منتشرة على اليوتيوب، ادخل براحتك واسمع،
أحنا هنا أسرة أفكار فلسفية، اللي عاوز ينضم لينا
ويستفيد أهلاً وسهلاً.

— ألف شكر.

مع أن الرد على التعليقات يظهر باسم أسرة أفكار
فلسفية، فمصطفى يعلم عن طريق فرحة أن خلود هي
«الأدمن» على الصفحة، وهي التي ترد فاتصل بها.

— مساء الخير.

— مساء النور، مين معاى؟

— أنا اللي كسفتيه دى الوقت قدام الناس؟

— مين حضرتك؟!

— أنا مصطفى.

— مصطفى مين؟! أنا كسفت حضرتك امتى وفين؟

— على الصفحة، ما هو أنا الطائر المغرد، على فكرة أنا أخو فرحة صحبتك.

— أهلاً وسهلاً، ماعليهش، أنا مضطرة أقفل حالاً، سلام.
— سلام.

اندهش مصطفى من حديثها معه فى الكلام.

— إيه المعاملة دى ياترى فرحة قايلة لها إيه عنى!؟

ولأن كل ما يمنع يرغب، ويغلو ثمنه، ويرتفع قدره، فصار شغل مصطفى الشاغل كيف يجعل خلود تحترمه وتقدره أولاً، ثم تقع فى غرامه، وهذا بالنسبة له شئ طبيعى، وسيحدث أكيد وقتما يزيل أثر كلام فرحة عنه، وتتغير صورة الشاب التافه فى عين خلود.

الموالة والنصرة

فتحت خلود الإميل ، واستقبلت الملف الذى أرسله لها
الدكتور عبدالحميد كعابيش ومعه رسالة :
الباحثة المجيدة خلود.

«أرى فيك مستقبل هذا الوطن الذى لو أصبح شبابه كله
مثلك ، لعادت مصر سيدة العالم».

تأثرت خلود بالرسالة ، وشعرت بالفخر وأيقنت أنها فى
أول طريق طويل ، ولا بد أن تكمله حتى النهاية.
حملت الملف على جهازها وفتحت الورقتين :

« إن الشيعة كفكر وعقيدة لم تولد فجأة، بل إنها أخذت
طوراً زمنياً، ومرت بمراحل.. ولكن طلائع العقيدة الشيعية
وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب
الشيعة التى قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض
إمامة على ، وأن علياً وصى محمد، وهذه عقيدة النص على
على بالإمامة، وهى أساس التشيع كما يراه شيوخ الشيعة،
وشهدت كتب الشيعة بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من

أظهر الطعن فى أبى بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرحامه وخلفائه وأقرب الناس إليه - رضى الله عنهم - والطعن فى الصحابة الآخرين، وهذه عقيدة الشيعة فى الصحابة كما هى مسجلة فى كتبهم المعتمدة.

كما أن ابن سبأ قال بتخصيص على وأهل البيت بعلوم سرية خاصة. وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة، وقد ثبت فى صحيح البخارى ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت فى وقت مبكر، وأن علياً - رضى الله عنه - سئل عنها، وقيل له: هل عندكم شيء مما ليس فى القرآن ومما ليس عند الناس؟، فنفى ذلك نفياً قاطعاً

— كفاية يا بنتى، مققت عينيك من القرية.

— خلاص يا بابا، قربت أخلص.

— هو انتِ خلصت الكتاب؟!!

وهو ينظر فى اللاب توب ويرى ماتقرؤه، الشيعة.

— هو فيه إيه ياخلود؟! البهائيين وبعدهم الشيعة؟!!

مخك هيضرب يا حبيبتي، اقللى الكمبيوتر دا، ونامى من فضلك.

— حاضر يا بابا.

طبعت خلود الورقتين وأخذتهما معها فى السرير كى تقرأهما قبل أن تنام، وبذلك تكون جاهزة لمقابلة الدكتور عبدالحميد كعابيش غدا فى الكلية.

«ولم يكن استعمال لقب «الشيعة» فى عهد على - رضى الله عنه - إلا بمعنى الموالاتة والنصرة، ولا يعنى بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة اليوم.. ولم يكن يختص إطلاق هذا اللقب بعلى - رضى الله عنه - يدل على ذلك ما جاء فى صحيفة التحكيم من إطلاق اسم الشيعة على كل من أتباع على وأتباع معاوية.

فإذن كانت الأحداث التى جرت على آل البيت (مقتل على، مقتل الحسين، وغيرهما من المآسى) هى من العوامل المؤثرة للاندفاع إلى التشيع لآل البيت، وكان التعاطف والتأثر لما حل بالآل هو شعور كل مسلم، ولكن قد استغل هذا الأمر من قبل الأعداء الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر فدخلوا من هذا المنفذ، وأشاعوا الفرقة فى صفوف الأمة، وحققوا بالكيد والحيلة ما عجزوا عنه بالسلاح والسنان، ودخل أتباع الديانات الأخرى، والمتآمرون، والمتربصون فى التشيع، وبدأوا يضعون أصولاً مستوحاة من دينهم، ألبسوها ثوب الإسلام.

— نمتِ ولا لسة ياخلود؟!!

— أيوة يابابا نمت، نمت وباحلم كمان.

وعادات للقراءة:

«إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعي، وهو حب لا يفرق بين الآل، ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص أحداً من الصحابة، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع، وقد نما الحب وزاد لآل بعدما جرى عليهم من المحن والآلام بدءاً من مقتل علي، ثم الحسين».

— اطفى النور ونامى.

— حاضر يا بابا، والله هانام على طول قدامى دقيقتين يا حبيبى، حاضر.

وعادات للقراءة:

«هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين، فدخل الحاقدون من هذا الباب، ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم؛ لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث.. لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على علي، والرجعة، والبداء، والغيبة، وعصمة الأئمة.. فلا شك أنها عقائد طارئة على الأمة، دخيلة على المسلمين، ترجع أصولها لعناصر مختلفة، ذلك أنه قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام وأهله، وكل من احتال ليعيش فى ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودى، ونصرانى، ومجوسى، وغيرهم.

فدخلت فى التشيع كثير من الأفكار الأجنبية والدخيلة، ولهذا ذهب الإمام ابن تيمية إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم، واليونان، والنصارى، واليهود، وغيرهم أموراً مزجوها بالتشيع، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم، وساق بعض الأحاديث الواردة فى أن هذه الأمة ستركب سنن من كان قبلها...، وقال بأن هذا بعينه صار فى المنتسبين للتشيع».

أدرك والدها أنها لن تستجيب له وتطفئ النور وتنام،
فقام وأطفأ النور قائلاً بغضب:

— مش قلت لك نامى.

— حاصر يابابا، حاضر.

نامت على الفور، فقد أدركت أنها تجاوزت مساحة السماح التى يمنحها والدها لها دائماً، وعلى كل حال، فهى قد ألت بالمسألة، وصارت جاهزة لأى نقاش غداً مع الدكتور كعابيش.

د. عبدالحميد كعابيش

لم تستطع نظارته السميقة أن تحجب لون عينيه الزرقاوين الصافيتين، ولا وجهه الأبيض وملامحه التركية، هو ليس طويلاً، ولكنك لا تستطيع أن تصفه بالقصر، أما بالنسبة إلى الكرش فهو دائماً يلبس بدلة كاملة تعمل على مداراة مثل هذه العيوب الصغيرة التي كانت تزعجه منذ خمس سنوات، ولكنه الآن بلغ السادسة والأربعين، ولا يفكر إلا فى رسالته العلمية.

فى مدينة الصحفيين بجوار مدينة الطلبة التابعة لحي المهندسين استأجر والده الذى كان وزيراً للصحة شقتين كبيرتين بمبلغ ثلاثين جنيهاً للاثنتين معاً، كل شهر، شقة كى يتزوج فيها وشقة يعيش فيها مع الأسرة التى تبقى منها أمه ورحمة أخته بعدما تركهم الأب الذى ذهبته روحه لتلقى ربها تاركاً اسماً نظيفاً وسمعة طيبة ومالاً يستر أسرته.

— إيه حكاية أسرة أفكار فلسفية دى يا عبده؟

— يا بنت احترمى نفسك، دا انا عندى طلبة أكبر منك.

— فيها حاجة لما أخت تدلّع على أخوها العظيم المشهور؟

- المشهور؟! وإيه عرفك ياست رحمة بموضوع الأسرة، وعرفت اسمها إزاي؟!
 - انت تعرف واحدة اسمها خلود الشرقاوى؟
 - أيوة، دى طالبة عندى.
 - دا البننت دى مولعة الدنيا على الفيس بوك.
 - عملت إيه؟
 - عملت صفحة اسمها أسرة أفكار فلسفية.
- وبدأت تنظر إلى الصفحة عن طريق «التابلت» الخاص بها:
 - بص ياسيدى، أسرة أفكار فلسفية بكلية الآداب جامعة القاهرة برعاية الدكتور عبدالحميد كعابيش، مقرر الأسرة فرحة محمود، والمقرر الثقافى خلود الشرقاوى.
 - جميل، البننت دى ممتازة.
 - فعلاً الصفحة نشيطة جداً، وناس كتير طالبة تشترك فى الأسرة، من الكلية ومن خارجها من كليات تانية، وفيه ناس من خارج الجامعة وشغالين فى وظائف، وأنا بعنت لها طلب انضمام للأسرة وقلت لها أنا فى الثانوية العامة، قالت لى هاخذ تأشيرة بالموافقة من الدكتور كعابيش.
 - والله برافو عليها، وهو يضحك، لازم أكلمها حالاً.

«هذا الهاتف ربما يكون مغلقاً».

— التليفون مقفول.

— طب ماهى قدامك أهى، على الصفحة.

وتعطى له التاب.

— إزيك يا خلود، برافو عليك، أنا كعابيش.

— الدكتور عبدالحميد كعابيش؟!

— أيوة.

— بس دى صفحة الأنسة رحمة محمد، أنت تعرفها؟!

— رحمة أختى الصغيرة، وأنا هنا عايش مع أمى وأختى

وهى دى عيلتى، أيوة أنا عارف انك مستغربة، أنا

اسمى عبدالحميد محمد كعابيش، ورحمة ياستى ما

بتحبش كعابيش.

— أيوة فهمت خلاص، بلغها حضرتك إنها معانا فى الأسرة.

— حاضر ياسيادة المقررة الثقافية.

استطاعت خلود أن تبهر كعابيش بقدرتها وإرادتها

الفولاذية، فهى تعمل ليل نهار، تقرأ وتخطط وتفكر وتنشر

على الفيس، وتروج للأسرة.

— ربنا يخليك.

— مش قلت لك؟ دى فكرة جديدة، والطلبة بيحبوا الأفكار الجديدة.

— أنا متشكرة إنك كتبت اسمى مقرر الأسرة.

— أيوة ما هى دى الحقيقة، انت نسيت الاتفاق اللي بينى وبينك؟!

— لأ، ما نسيتش، بس أنا ما عملتش حاجة، وفى نفس الوقت اتريقت عليك وعلى الدكتور كعابيش.

— بأقول لك إيه، سيبك من الكلام الفارغ دا، انت فاكرة أنا دخلت الأسرة دى ليه أصلاً.

— أيوة طبعا عشان خاطرى، والدكتور كعابيش برضه دخل لما لقانى باعيط، دخل هو كمان عشان خاطرى.

— احنا الاتنين كان عندنا سبب واحد وهو إننا ننصرك على الاتنين اللي باعوك وظلموك وفصلوك من الأسرة ظلم، بعد التعب والشقا والوقت الكثير اللي ضاع، بدل ما تقولى لى الكلام الفارغ ده، اتصلى بيهم ووريهم نجاحك.

— نجاحنا ياخلود.

— نجاحنا يافرحة.

الخميس، الساعة الثانية بعد الظهر، دكتور كعابيش المتحمس يعقد أول اجتماع لإدارة الأسرة.

- بداية مشجعة جدا.
- كله بتوجيهاتك يادكتور، ولا انت رأيك إيه يافرحة؟
- طبعا طبعا، بس أنا شايفة إن الاسم صعب قوى «أسرة أفكار فلسفية»، هو أى نعم شد الطلبة وخلاهم عاوزين يشتركوا من باب الفضول بس.
- أنا معاك يافرحة، بس لازم تعرفى إن كل شئ جديد بتبقى الناس القائمين عليه متوجسين منه، ودا طبيعى. قالها كعابيش، وهو ينظر إلى خلود.
- احنا ناقصنا حاجة واحدة، وهى اللى هتقضى على كل الهواجس دى.
- إيه هى ياخلود؟
- إننا نكمل، يعنى نطرح فعلاً أفكار فلسفية، وننزلها على الصفحة.
- تمام، وكمان أسماء لفلاسفة عظماء، ونبذة عن حياتهم، وناقش آراءهم، ونعمل حالة من الجدل.
- أنا هاجهز لك كل أسبوع موضوع جديد ننزله على الصفحة، وبعدين نناقش كل النتائج فى اجتماعنا الأسبوعى كل يوم خميس الساعة اتنين بعد الظهر.
- ممكن أعرف شخصية أو فكرة الأسبوع دا يادكتور؟

عشان ابتدى أجمع صور مناسبة انشرها مع الموضوع
تقرب الفكرة وتدعمها.

— بعد ساعتين تقريبا هتلاقى الموضوع على الإيميل ، اقريبه
الأول قبل النشر وممكن نتناقش لو حبيت ، اتفقنا ياخلود؟
— تمام يادكتور.

خرجت خلود وفرحة من مكتب الدكتور كعابيش.

— ساعات باحس إن الدكتور كعابيش دا مش فاهم أى
حاجة ، وساعات باحس إنه عبقرى.

— عشان انت ساعات بتفهمنى ، وساعات بتبقى حمارة.

— خلاص بقيت فيلسوفة انت ياست خلود؟

قالت ذلك وهى تضحك.

— بكرة هتشوفى خلود وفرحة والدكتور كعابيش هيعملوا
إيه فى الجامعة ، وفى مصر كلها.

— يسمع من بقك ربنا ، يابختك ، بيتك أهو - وهى تشير
بيديها - قدام الجامعة على طول يابنت المحظوظة.

— ماشى ياست فرحة ياللى العربية وأخوك مستنيين
حضرتك طول فترة الاجتماع.

— دا نق بقى؟!!

— بصراحة آه ، سلام ياقمر.

قالت ذلك وهي تبتسم.

— مع السلامة يا حبيبتي، أشوف وشك بخير.

قالت ذلك وابتسامتها تكسو وجهها كله.

قبل أن تخلع ملابسها فتحت خلود اللاب توب لتتفحص الإيميل، وترى إن كانت رسالة الدكتور كعابيش قد وصلت أم لا، فاليوم سيبدأ العمل الحقيقي لأسرة أفكار فلسفية.

لم تجد الرسالة فاتصلت به :

— ألوه يادكتور، حضرتك اخترت شخصية الأسبوع ده؟

— إيه عرفك إنها شخصية؟! يجوز تكون نظرية.

— زى ما حضرتك تحب، بس أنا شايفة إننا نبدأ بالشخصيات المعروفة، نقرب منها، ونتعرف على آراءها.

— إيه رأيك فى سقراط؟

— تمام كل الطلبة هيكون عندهم فضول يدفعهم للتعرف عليه عن قرب، ومعرفة أفكار سقراط من خلال مناقشتها فى أسرة أفكار فلسفية، هيبقى له أثر كبير فى نفوس الأعضاء لأنه اسم معروف.

— خلاص ياستى، انتظرى منى إيميل خلال ساعة.

— حاضر يادكتور.

الإنسان هو مقياس كل شئ

لم تنزل خلود عينيها من على شاشة اللاب توب ، فهي
تفتح الإيميل منتظرة رسالة الدكتور كعابيش .

— يا بنتى غلبتيني معاك ، قومي اتغدى الأول .

— ياماما يا حبيبتي أنا مستنية رسالة مهمة على الإيميل
من الدكتور كعابيش رئيس القسم فى الكلية .

— طب أعمل لك سندوتشات تاكليها وانت عندك؟

— ماشى ، بس سندوتش واحد وصغير .

— هو أنا هاأكلك بالعافية؟!

وتثور الأم ثورتها المستمرة التى تجدها كل يوم :

— لازم أبوك يشوف له صرفة فى الحكاية دى ، أنا مش

هاستنى لما تقعى فى الشارع ، يا بنتى انت بقيت جلد
على عضم .

— وصلت ياماما وصلت .

وهى تطير من السعادة.

— هى إيه يابنتى اللى وصلت؟!!

— رسالة الدكتور كعابيش.

فتحت خلود الرسالة وبدأت تقرأ..

«الفاضلة خلود - مقررة الفكر والثقافة فى أسرة أفكار
فلسفية - لن نستطيع أن نعطى لأعضاء الأسرة الصورة
الكاملة لسقراط دون أن نتطرق للسوفسطائيين الذين كانوا
منتشرين قبله، لذلك رأيت أن الكلام عن السوفسطائيين
تمهيد واجب يمكننا من الحديث عن سقراط.. ولك منى
جزيل الشكر والامتنان.

ملحوظة..

تم تحميل ملفين مع الرسالة، الملف الأول عن السوفسطائيين،
والثانى عن سقراط.

وأرجو الاتصال بى فوراً لإيضاح أى شئ يشوبه الغموض،
فقد حاولت التبسيط إلى أبعد الحدود.

كعابيش

فور انتهائها من قراءة الرسالة، فتحت خلود المؤلفين وبدأت تقرأ.

(الإنسان هو مقياس كل شيء)

«سقراط هو الفيلسوف الأول الذى ولد وعاش ومارس فلسفته فى أثينا، فمنذ سقراط تركزت الحياة الثقافية فيها، ولكننا قبل الحديث عنه لابد من الحديث عن السوفسطائيين، فهم الذين كانوا يكتنون الصورة الثقافية لأثينا قبل سقراط.

منذ سنة ٤٥٠ قبل الميلاد أصبحت أثينا العاصمة الثقافية للعالم اليونانى، فغمرتها موجة من أساتذة الفلسفة القادمين من المستعمرات الإغريقية الذين أطلقوا على أنفسهم لقب السوفسطائيين، وسوفسطائى تعنى الرجل المثقف الكفء، وقد عمل السوفسطائيون على تعليم الأثينيين، وأصبح هذا مصدر رزق لهم، فهم كانوا يعلمون الناس مقابل المال.

يرى السوفسطائيون أن الإنسان لا يستطيع الوصول إلى اليقين فيما يخص ألغاز الطبيعة والكون، وهذا ما يطلق عليه فى الفلسفة بـ «الارتيازية»، وإذا لم يكن ضمن قدرتنا حل ألغاز الطبيعة، فيجب أن نعرف أننا بشر، علينا أن نتعلم كيف نعيش معاً، ولهذا اهتم السوفسطائيون بالإنسان وموقعه فى المجتمع».

الموبايل يرن، ولكن جاذبية الرسالة تمنع خلود من الرد، فتقرر ألا ترد وتستمر فى القراءة، فهذه هى المرة الأولى التى تقرأ فيها شيئاً عن السوفسطائيين.

«الإنسان هو مقياس كل شئ»، هذا ماكان يقوله السوفسطائيون، ومعناه أن الصواب والخطأ، والخير والشر، كلها يجب أن تحدد بحسب حاجات الكائن البشرى.

كان السوفسطائيون يتجولون فى العالم، ويعقدون المقارنات فى العادات والتقاليد والقوانين بين المدن، ومن هنا أطلقوا الجدل حول ماحدده الطبيعة، وما حدده المجتمع، وأرسوا بذلك قواعد نقد اجتماعى فى الديمقراطية الأثينية، بهذه الطريقة رأوا مثلاً أن تعبير الحياء الطبيعى لا يتفق دائماً مع الواقع، وذلك لأنه إذا كان من الطبيعى أن تكون حياء فذاك يعنى أنه شئ فطرى، فهل هو كذلك فى الواقع أم هو تأثير المجتمع؟

والجواب فى منتهى البساطة لآى شخص سافر حول العالم، ليس من الطبيعى أو الفطرى أن نخاف الظهور عراة، وليس الخجل أو عدمه إلا مفاهيم مرتبطة بعادات وأعراف المجتمع.

أنكر السوفسطائيون إذن وجود معايير بالمعنى الدقيق فيما يخص الخير والشر، فى حين حاول سقراط على العكس منهم أن يبرهن على وجود هذه المعايير، و أن يؤكد أنها مطلقة وتناسب الجميع.

عزیزتی خلود :

علک تآکدت من أھمیة الکلام عن السوفسطائیین قبل سقراط الآن؁ لأنه سیثبت عکس ما حاول السوفسطائیین إثباته؁ وبذلك یمكننا الآن أن نتحدث عن سقراط.

الموبايل یرن.... التقطت خلود الموبايل..

— ألوه؁ أنا آسفة یادکتور؁ ما كنتش أعرف إن حضرتک اللی بتتصل؁ كنت مركزة فی قرایة الرسالة.

— تمام ولا یهمک؁ علی فكرة یاخلود؁ أنا شایف إنک ماتنشریش علی الصفحة أی حاجة دی الوقت.

— حاضر.

— انت قریت لحد فین؟

— أنا قریت الملف الأولانی الخاص بالسوفسطائیین وهابتدی فی الملف التانی «سقراط»؁ ممکن أعرف إیه المانع من النشر؟!

— أنا قصدی تنشری السوفسطائیین وبعدها سقراط كموضوع واحد؁ وأول ما یحصل أی تفاعل؁ کلمینى؁ ونرد سوا علی التعليقات والمناقشات.

— حاضر.

— أسیبک تکلمى؁ وأنا ورحمة فاتحین الصفحة أهو؁ وهنعلق بمجرد النشر عشان نشجع باقى الأعضاء.

— تمام يادكتور.

عادت خلود للقراءة:

«تشبه أثينا حصاناً كسولاً، وأنا أشبهه ذبابة تحاول إبقاؤها وإبقائها حية».

ولد سقراط فى أثينا سنة ٤٧٠، ومات ٣٩٩ قبل الميلاد، ومع أنه لم يكتب سطرأً واحداً إلا أنه أثر فى الفكر الأوروبى، فقد كان يلتقى بالناس فى الشوارع والأسواق، وقد كان يكرر دائماً «ليس بإمكان الشجر فى الجبل أن يعلمنى شيئاً»، وقد اعتبر سقراط أكثر الناس غموضاً فى حياته، وبعد مماته اعتبر مؤسساً لعدة مدارس فلسفية مختلفة، ولكن يرجع الفضل فى معرفتنا لحياة سقراط إلى تلميذه أفلاطون، إذ كتب محاورات فلسفية على لسان سقراط، ولكن عندما يضع أفلاطون حواراً على لسان سقراط فإننا لانملك أى وسيلة تؤكد نسبة هذا الكلام لسقراط، ولكن المهم هنا ليس معرفة سقراط، ولكن المهم هو معرفة فكره الذى ألهم المفكرين الأوربيين طوال ٢٥٠٠ سنة، والذى نقله تلميذه أفلاطون عن أستاذه.

— ألوه أيوة يادكتور.

— معاك ياخلود.

— مش فاهمة المقصود من كلمة سقراط ليس بإمكان الشجر
فى الجبل أن يعلمنى شيئاً، وإيه علاقتها بالموضوع؟!

— إزاي بقى؟! دا هى الموضوع كله، سقراط كان بيدعى
الجهل، ويطرح الأسئلة على الناس، ويخليهم يفكروا،
سقراط دايماً يقول إنه هو اللى بيتعلم من الناس،
وعشان كدا لازم يروح لهم الأسواق والشوارع، يسألهم،
وكانه مش عارف حاجة، وهما بيتدوا يفكروا ويجاوبوا
على أسئلته، فيوصلوا للحقيقة.

— تمام يادكتور، كدا فهمت هو بيطرح الأسئلة على الناس
ويخليهم هما يجاوبوا بنفسهم، ويخليهم يوصلوا للحقيقة.

بمجرد عودتها للقراءة، دخل عمرو أخوها عليها الغرفة.

— يابنتى سيبك من اللى انتِ بتعمليه ده، كله محصل
بعضه، يعنى هتاخدى إيه من دا كله؟

— مش مهم هناخد إيه من المذاكرة، المهم نقدر نقدم إيه
للبشر من كل حاجة اتعلمناها.

قالت هذه الكلمات، ثم تجاهلته وعادت للقراءة.

«كان سقراط يحاور الناس ولا يعلمهم، فتتولد الأفكار،
فكانت مهمته توليد العقول أفكاراً صحيحة، فالحقيقة عند
سقراط لا تأتى إلا من داخلنا، دون أن يستطيع أحد قذفنا
بها، فبإمكان كل الناس أن يصلوا إلى الحقائق الفلسفية إذا

قبلوا أن يستعملوا عقولهم، فكل إنسان عندما يبدأ فى التفكير يجد أجوبة لكل أسئلته داخل نفسه.

كان سقراط يتظاهر دائماً بالجهل، وهذا مايسمى سخرية سقراط، فيجبر الناس على التفكير، ويلعب هو دور الجاهل الذى لا يعرف شيئاً، فقد كان يقول: «تشبه أثينا حصاناً كسولاً وأنا أشبه ذبابة تحاول إيقافها وإبقائها حية».

لم يكن سقراط يريد إزعاج الناس كما تفعل الذبابة، ولكنه كان مدفوعاً بشئ لا يترك له الاختيار، كان يؤكد أنه يسمع صوتاً إلهياً داخله، وكان يرفض على سبيل المثال حضور تنفيذ حكم الإعدام على أحد المواطنين، كذلك كان يرفض كشف أسماء المعارضين السياسيين فكلفه ذلك حياته، ففى عام ٣٩٩ قبل الميلاد اتهم بأنه أدخل آلهة جديدة، وأفسد الشباب، وحكم عليه بالإعدام.

سقراط - كما قال شيشرو - هو الذى أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، وتركها تعيش فى المدن، تدخل البيوت وتجبر الناس على التفكير بالحياة، بالتقاليد بالخير والشر.

وقد اختلف سقراط عن السوفسطائيين فى نقطة أساسية هى أنه لم يعتبر نفسه فيلسوفاً وعالماً ولم يقبل أخذ مال مقابل تعليمه، بينما كان السوفسطائيون يتقاضون مقابلاً لتعليقاتهم المتراوحة فى الدقة.

سقراط يؤكد أنه لا يعرف إلا شيئاً واحداً «أنه لا يعرف» وهذه عظمته، فإنه يتساءل ليصل إلى المعرفة، والذين يطرحون الأسئلة هم أكثر خطراً، لأن سؤالاً واحداً قد يفجر ما لا يفجره مئة جواب.

كما يرى سقراط أن الرؤية الصحيحة للأشياء تقود إلى فعل صحيح، فالذى يفعل الصواب هو الإنسان الصحيح، وعندما نتصرف بشكل سيئ فذاك لأننا على خطأ، لذلك يصبح من المهم استكمال معارفنا، وكان يحرص على أن يحدد نهائياً وبوضوح كل ما هو صحيح وكل ما هو خاطئ، وعلى عكس السوفسطائيين اعتقد أن القدرة على التمييز بين الخير والشر تكمن في عقل الإنسان لا المجتمع، فمن المستحيل أن يكون الإنسان سعيداً إذا تصرف عكس قناعاته.

موبايل خلود يرن..

- طبعاً هتسأليني عن معنى الجملة الثانية «تشبه أثينا حصاناً كسولاً، وأنا أشبه ذبابة تحاول إيقاظها وإبقائها حية»، وإنه دائماً كان يقول للناس إنه لا يعرف.
- لا يادكتور، أنا فهمت إنه شئ ضعيف بيحرك الحصان القوى، يعنى هو بيحرض الناس على التفكير عشان يتعلم منهم، فهو لا يعرف، لأن الحقيقة موجودة جوة الإنسان، ويمكنه الوصول لها بالتفكير والتأمل.

- تمام ياخلود، انشرى الموضوع، وأنا ورحمة هنعلق عليه حالاً.
- لم تمر ساعة واحدة من نشر الموضوع الأول حتى انهالت التعليقات، وبدأت خلود ترد على أعضاء الأسرة وتتواصل معهم، حتى بدأت تعليقات مزعجة، فقررت خلود أن تستعين بالدكتور كعابيش كى يرد.
- أنا نفسى أفهم... انتم أسرة مهتمة بالفلسفة، إيه دخلكم انتم فى الدين.
- أرجو حذف موضوع الشيعة، لأنه مليان أخطاء وكله كذب فى كذب، فالشيعة أحباب آل البيت، أشراف، أطهار، ومعهم نور الحسن والحسين.
- الكتاب الأقدس كتاب مقدس، هل تقبلين أن يهان القرآن؟! طبعاً لأ، طب ليه بتهينى كتابى المقدس؟! أنا بهائى، واخترت دينى، حضرتك دخلك إيه؟
- أصيبت خلود بصدمة، وشل تفكيرها، فرأت وجوب حذف موضوع البهائيين والشيعة من الصفحة، واقتصار الصفحة على الأفكار الفلسفية، ولكنها لن تستطيع الإقدام على هذه الخطوة دون العودة إلى الدكتور كعابيش.
- عموما، امسحى الموضوعين دى الوقت، وابعثى رسايل للعضوين دول عرفيهم إننا مع التنوع، ومش ضد أى حد، ومع الحرية بكل أشكالها، مادامت فى ظل القانون.

- دول مش عضوين، دول اتجاهين يادكتور، كل واحد باعت أكثر من ثلاثين رسالة ويمكن أربعين.
- للدرجة دى؟!!
- أيوة، وفيه ناس بتشتتم.
- خليك قوية، احنا لسه فى أول الطريق، لازم الناس تفكر وتتكلم، نحن لا نعرف، ونبحث عن المعرفة من الناس، وأهم حاجة نخليهم يفكروا عشان يوصلوا للحقيقة.
- تمام، دا كلام سقراط.
- صح ياخلود.
- حتى بالنسبة للفلسفة جاتنى رسالة.
- «هو العرب والمسلمين ماكانش عندهم فلاسفة؟! أرجو ألا نمجد فى الكفار، ونعود لفلسفتنا العربية والإسلامية».
- دى بقى رسالة مهمة، ردى عليها : عندنا فلاسفة عظماء، منهم الفارابى، ابن سينا، ابن رشد، الحلاج، أبو الحسن العامرى، زكى نجيب محمود، أبو حامد الغزالي، ابن الطفيل، يعقوب ابن إسحاق الكندى، ابن باجة، ولكننا ماشيين بنظام التسلسل التاريخى الصحيح، فقبل مانناقش فلسفة هؤلاء الأكابر علينا أن نتعرف على ثقافة أفلاطون، أرسطو، ديكارت، كانط، هيغل، ماركس.

– حاضر يادكتور، هاكتبها حالا.

أحضرت خلود صورة مرسومة لأفلاطون ونشرتها على الصفحة، وكتبت تحتها شخصية الأسبوع القادم: «أفلاطون»..... فى انتظار رسائلكم.

أسرة أفكار فلسفية

المقرر فرحة محمود، المقرر الثقافى خلود الشرقاوى، وأسرة أفكار فلسفية يشرف عليها الدكتور عبدالحميد كعابيش رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة.

د . سمير البيلي

مع أن نادية زوجة د. سمير البيلي ليست من عائلته - فهي من عائلة القاضى الشهيرة بالمحلة، وهو من عائلة البيلي فى المنصورة، إلا أنها تشبهه جداً وكأنهما توأمان، لم يكن التشابه لهذا الحد فى بداية الزواج، ولكن دون أن يدرى أى منهما تحولت ملامحهما؛ فصارت ملامح كل منهما تشبه ملامح الآخر، سمير يكبرها بسبع سنين ولكنهما يبدوان فى سن واحدة.

لم يرزق سمير منها بأطفال دون سبب طبي واضح، فكل التحاليل أثبتت أنهما لايعانيان من أى مرض يعوق الإنجاب، لدرجة أنهما صارا موقنين بأن سحراً سفلياً قام به أحد الحاسدين هو السبب الوحيد الذى حرهما من الأبناء مما عرضهما للنصابين والدجالين لعشر سنوات، ولم يكفا عن ذلك إلا خشية لوم الناس، فكيف لأستاذ جامعى وسيدة حاصلة على ليسانس الآداب أن يكونا فريسة لمشعوذ جاهل، أو دجال نصاب، هما يؤمنان بأن هناك من بين كل مئة نصاب واحداً حقيقياً يستطيع أن يفك السحر،

ويحل المشكلة، وهما يعيشان على هذا الأمل فيقعان كل فترة فريسة نصاب جديد.

لم يفكر فى الانفصال عنها إلا مرة واحدة حين اكتشف عن طريق الصدفة أن عم أبيها الذى مات فى الخليج منذ عشرين عاماً كان عضواً فى مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين، ولكنه تراجع، فهى لم تكن تعرفه أصلاً، ولم يكن على اتصال بهم، وحتى الآن لم يثر هذا الموضوع أى مشكلات على الإطلاق، فهى ليست سيدة مجتمع وأخوها ليس معروفاً فى المجتمعات السياسية، فظلت هذه القرابة سراً لا يلتفت إليه أحد، وهى على كل حال طيبة الطباع وغنية جداً، فهى وأخوها ورثا عائلة القاضى بكل أملاكها بعد وفاة الأب والأم.

مع الوقت نسى سمير هذه الصلة ولم يتذكرها إلا منذ ست سنوات عندما تخطته إدارة الجامعة، وعينت د. عبدالحميد محمد كعابيش رئيساً للقسم، وهو مازال جديداً ولا يملك خبرة سمير أو حتى محمود سراج، هو يعرف تمام المعرفة أن الأمن هو الذى يختار، فهذا أمر محسوم بالنسبة له ولا يحتاج إلى أى تأكيد.

يومها حاول أن يعرف سبب استبعاد الأمن له، أهو لأن عبدالحميد ابن وزير الصحة السابق محمد كعابيش عضو الحزب الوطنى وعضو لجنة السياسات، أم استبعد لأن

عم والد زوجته كان عضواً فى مكتب الإرشاد فى جماعة الإخوان المسلمين، وحتى بعد وصول الإخوان للسلطة كان يخشى أن يعرف أحد هذه الصلة، فقد كان يؤكد دائماً فى كل مجالسه -وكانه يقرأ الطالع- أن الإخوان لن يستمروا أكثر من سنة وسوف يسحقون هم وكل جرابيع يناير.

على كل حال مازال السر مستقراً فى قاع البئر، فحتى الآن لم يستدع ليسأل عن صلته بنسيبه عضو مكتب الإرشاد، فالحزب الوطنى رأى أن كعابيش من أبنائه، وهو أولى بهذا المنصب، وهذا هو كل شئ.

بعد أن أوقف السيارة فى جراج فيلته فى الشيخ زايد، طلب سمير من البواب أن يغسلها جيداً؛ فهو على موعد مع د. محمود سراج فى المهندسين فى الساعة مساءً، وثلاث ساعات كافية للغداء والراحة، فالساعة دقت لتوها الرابعة بعد عصر يوم الخميس، فهما زميلان فى القسم نفسه، وقد اعتادا أن يلتقيا كل خميس على كافيه (اكسيريسو) فى المهندسين، ينظر إلى كل شئ حوله أثناء دخوله الفيلا كأنه يبحث عن خطأ كى يثور كعادته ويوبخ محروس البواب، لكنه هذه المرة لم يجد شيئاً، لعل زوجته ستتحمل هذه المرة ما يتحمله محروس منذ خمس سنوات.

سمير البيلى من عائلة غنية، طويل القامة قمحى البشرة يتسم بطول الأنف والأذنين، شعره على الجانبين مازال

أسود، والصلع قد اقتحم الشعر من الوسط مع أنه لم يبلغ الخمسين إلا منذ شهر واحد.

لم يكن هو السبب فى عدم الإنجاب ولا زوجته، فكل الأطباء أجمعوا على أنهما لا يعانيان من أى موانع، ولكن هذا الأمر يبدو أحد أسباب عصبيته المفرطة خاصة فى البيت.

فتح بمفتاحه ودخل:

— مساء الخير.

— مساء النور ياسمير حمدا لله على السلامة.

وهى تكتب على الفيس بوك.

— خمس دقائق والغدا يكون جاهز.

— أيوة ينادية، لاحسن الوقت ضيق جدا، يادوب ارتاح ساعة بعد الغدا.

— حاضر.

وهى مازالت تكتب على الفيس بوك.

— حاضر إيه اللى بتقوليهما من غير ما تتحركى من قدام البتاع ده؟!

قالها بصوت عالٍ وبغضب.

— قلت لك خمس دقائق ياسمير، مافيهاش حاجة،
باكتب تعليق.

— ولا خمسة ولا ستة، أنا داخل أنام.

ودخل غرفته مسرعاً وأغلق الباب خلفه بقوة أرعبت
نادية، فتركت اللاب توب ودخلت المطبخ كي تحضر الطعام.

جرس التليفون يرن:

— ألو؟

— ألو... إزى حضرتك يامدام.

— بخير يادكتور محمود.

— ممكن أكلم سمير؟

— حاضر، دقيقة واحدة، ياسمير.. ياسمير.. دكتور محمود
عاوزك على التليفون.

تركت نادية السماعة وعادت للمطبخ، فقد قررت أن
تحضر أطباق الطعام من المطبخ ليكون الغداء جاهزاً قبل أن
ينهى سمير المكالمة.

— مساء الخير يادكتور.

— مساء النور، انت لحقت نمت؟

— أبداً أنا لسة واصل.

- شفت صاحبك عامل إيه؟
- صاحبي مين؟!
- الرئيس.
- الرئيس؟!
- كعابيش، رئيس القسم.
- عمل إيه؟
- لامل العيال على الفيس بوك وعمّال يخرف.
- إزاي يعنى؟
- تخيل التافه دا معاه بنت اسمها خلود وفرحة عاملين أسرة اسمها أفكار فلسفية.
- أيوة، ما انا عارف، البنت دى جات لى وعرضت على الإشراف على الأسرة دى وأنا رفضت، دى مابتعرفش تقرا وتكتب.
- لكن هو ياسيدى وافق.
- كدا يبقى وقع فى شر أعماله.
- نادية تسمع دكتور سمير وتتابع المكالمه ويبدو عليها أنها تعرف شيئاً ولكنها تنتظر حتى ينهى مكالمته مع الدكتور محمود.

— إزاي ياسمير؟!

— كعابيش طول عمره ماشى جنب الحيط، من الجامعة للبيت ومن البيت للجامعة، لا تليفزيون ولا جرايد، ما بيتكلمش، واللى ما بيتكلمش يادكتور محمود ماتعرفش تمسك عليه غلطة.

— انت شايف كدا؟

— أيوه طبعا، لازم الحق يرجع لأصحابه، احنا الاتنين أقدم منه فى القسم بتلات سنين.

— بس أنا أقدم منك ياسمير بست أشهر، وحاصل على الدكتوراة برضه قبلك.

— أنا وانت واحد.

— وحدث نفسه: «إن كان عليك انت يا محمود ولا كعابيش اتنين جهلة والقسم دا مالوش غير رئيس واحد هو أنا، هو الدكتور سمير الببلى».

— إيه ياسمير، انت معاى، ولا رحى فين؟!

— معاك يادكتور، معاك.

— أسيبك تريح، وهاستناك فى ميعادنا بالليل.

— مع السلامة يادكتور.

وما إن أنهى سمير المكالمة حتى اقتحمته نادية، فهذه
فرصة لفتح حوار جديد ينهى الخصام:

— الصفحة أهي ياسمير.

— صفحة إيه؟!!

قالها وكأنه لا يريد أن يتحدث معها، فهو مازال غاضباً
ولكن فضوله جعله يتنازل عن موقفه.

— أسرة أفكار فلسفية، أنا عضو فيها.

— معقولة ينادية؟!!

— كنت باكتب تعليق على موضوع البهائيين وانت داخل،
دى صفحة مشوقة جداً.

— دى صفحة فاشلة، وأسرة فاشلة، والمشرف عليها فاشل،
وانت كمان فاشلة.

قالها فانطلق غضبه كحصان جامح.

— الله يسامحك، طب تعالى اقرا المكتوب الأول، دى أسرة
هادفة ومحترمة جداً، دى أسرة فلسفية، يعنى المفروض
تشجعها يادكتور.

صمت سمير للحظات كأنه يلتقط أنفاسه من جرى

طويل...

— بصى ينادية، انت عارفة إنى مالىش فى الحاجات الجديدة دى، أنا عاوزك كل يوم تفتحى الصفحة دى وتطبعى لى كل اللى بينشروه عليها عشان أقراه بنفسى، ماتسببش ولا سطر واحد.

— حاضر.

تفرغت نادية لرصد كل صغيرة وكبيرة فى صفحة أسرة أفكار فلسفية، فبدأت تطبع كل ماتنشره الصفحة فى بادئ الأمر، ثم توسعت فى المراقبة، فبدأت تطبع التعليقات وآراء وأسئلة المتابعين للصفحة، فنادية المحبوسة بين الأربعة حوائط وجدت أخيراً السلاح الذى تستطيع أن تقتل به الوقت، واستطاعت أن تعثر على سبب جديد يجعلها تتواصل مع زوجها وتتحدث معه وتناقشه فيه بعدما ظلا لسنوات كأنهما أغراب فى بيت واحد لا يتكلمان إلا فى ضرورات المعيشة.

الفيستان الأحمر

نجاح غير متوقع فاق الحدود، قابلته ثقة من خلود أضفت عظمة وثقلا للأسرة التي أصبح الأعضاء فيها يفخرون لمجرد انتمائهم إلى أسرة أفكار فلسفية.

ارتدت خلود الفيستان الأحمر، فأخرج الفتاة المختبئة داخلها، الشعر مناسب فوق ظهرها، ولبست حذاءها العالي فأظهر أنوثتها، فبدت كالقمر الذي يحبه كل الناس، ولكن من سعيد الحظ الذي سيحبه القمر، دخلت غرفة الاجتماع فوجدت الدكتور كعابيش وأخته رحمة وفرحة، فبدأ الاجتماع بمجرد دخولها الغرفة.

— أنا شايقة يادكتور إن العضوية لازم يكون لها شروط، يعنى مش كل من هب ودب يدخل الأسرة.

قالتها رحمة متحدثة إلى أخيها الدكتور عبدالحميد كعابيش.

— لا، لا، أسرة أفكار فلسفية فيها مساواة بين كل الناس، بالعكس دي معمولة أصلا عشان نرتفع بمستوى الناس

ونخليهم يبدأوا يفكروا لحد ما يوصلوا للحقيقة، ولا
انت عندك رأى تانى ياخلود؟

قالها كعابيش، الذى ينظر لخلود بإعجاب كأنه يراها
لأول مرة.

— طبعا صح يادكتور، سقراط دايمما بيقول أنا لا أعرف، فاحنا
كمان مش عارفين وبنطرح الأسئلة، وبنبحث عن الإجابات
من الناس، ومافيش حد فينا بيملك الحقيقة لوحده.
تنظر فرحة لخلود بانبهار.

— فعلاً أنا باتفق مع الزميلة خلود الشرقاوى، احنا لازم
يكون لينا دور مع الأعضاء، لكن لما نقبل اشتراك
الأعضاء الجاهزين ببقى فاضل إيه للأسرة تقوم بييه؟!
— عندك حق يافرحة.

قالها الدكتور كعابيش.

— وتكملة لمسيرة سقراط أنا حضرت الموضوع اللى هنتشره
يوم الخميس على الصفحة، وهو عن أفلاطون، هنقرأه
ونناقشه سوا قبل النشر، واجتماعنا الأسبوعى هيكون
يوم الأربعاء والنشر هيكون كل يوم خميس.

— تمام يادكتور.

قالت خلود، فابتسم لها الدكتور كعابيش، وبدأ يقرأ.

«لقب بأفلاطون بسبب ضخامة جسمه ، هو أشهر فلاسفة اليونان على الإطلاق.

ولد فى أثينا فى عائلة أرسطوقراطية ، أطلق عليه بعض شارحيه لقب «أفلاطون الإلهي». يقال إنه فى بداياته تتلمذ على السوفسطائيين وعلى كراتيلس ، تلميذ هراقليطس ، قبل أن يرتبط بمعلمه سقراط فى العشرين من عمره.

وقد تأثر أفلاطون كثيراً فيما بعد بالحكم الجائر الذى صدر بحق سقراط وأدى إلى موته ؛ الأمر الذى جعله يعى أن الدول محكومة بشكل سيئ ، وأنه من أجل استتباب النظام والعدالة ينبغى أن تصبح الفلسفة أساساً للسياسة. وهذا ما دفع فيلسوفنا للسفر إلى مصر، ثم إلى جنوب إيطاليا، التى كانت تُعتبر آنذاك جزءاً من بلاد اليونان القديمة .

— هو جِه مصر أيام عمرو ابن العاص؟!
قالتها رحمة.

— لا طبعاً ، أفلاطون دا يابنتى قبل الميلاد ، يعنى قبل مايتولد السيد المسيح ، زمن غير الزمن خالص.
قالتها فرحة موجهة حديثها لرحمة.

لم يعلق الدكتور كعابيش وراح يكمل.

«ثم انتقل من جنوب إيطاليا إلى صقلية حيث قابل ديونيسوس ، ملك سيراكوسا المستبد ، على أمل أن يجعل

من هذه المدينة دولة تحكمها الفلسفة، لكنها كانت تجربة فاشلة، سرعان ما دفعته إلى العودة إلى أثينا، حيث أسس، في حدائق أكاديموس، مدرسته التي باتت تُعرف بأكاديمية أفلاطون. لكن هذا لم يمنعه من معاودة الكرة مرات أخرى لتأسيس مدينته الفاضلة في سيراكوسا في ظلِّ حكم مليكها الجديد ديونيسوس الشاب، ففشل أيضًا في محاولاته؛ الأمر الذي أقنعه بالاستقرار نهائيًا في أثينا، حيث أنهى حياته محاطًا بتلاميذه.

— احنا عرفنا فلسفة السوفسطائيين وسقراط، وقدرنا نقف على ملامحها، ممكن حضرتك تعرفنا على فلسفة أفلاطون.
— حاضر يافرحة.

قال ذلك وهو سعيد لتجاوبها مع أفكار الأسرة وحماسها الذى بدأ يتزايد، أكمل كعابيش وهو ينظر فى تقريره الذى أعده للنشر فى أسرة أفكار فلسفية الخميس القادم.

«أوجد أفلاطون ما عُرفَ من بعدُ بطريقة الحوار، التى كانت عبارة عن دراما فلسفية حقيقية، عبّرَ من خلالها عن أفكاره عن طريق شخصية سقراط، الذى تمثله إلى حدِّ بات من الصعب جدًّا، من بعدُ، التمييز بين عقيدة التلميذ وعقيدة أستاذه الذى لم يخلف لنا أى شيء مكتوب.

«تميّز الميتافيزياء الأفلاطونية بين عالين: العالم الأول، أو العالم المحسوس، هو عالم التعددية، عالم الصيرورة

والفساد، ويقع هذا العالم بين الوجود واللاوجود، ويُعتبرَ منبَعًا للأوهام لأن حقيقته مستفادة من غيره، من حيث كونه لا يجد مبدأ وجوده إلا فى العالم الحقيقى للمُثل المعقولة، التى هى نماذج مثالية تتمثل فيها الأشياء المحسوسة بصورة مشوّهة، ذلك لأن الأشياء لا توجد إلا عبر المحاكاة والمشاركة، ولأن كينونتها هى نتيجة ومحصلّة لعملية يؤديها الفيض، كصانع إلهي، أعطى شكلاً للمادة التى هى، فى حدّ ذاتها، أزلية وغير مخلوقة (تيميوس).

هذا ويتألف عالم المحسوسات من أفكار ميتافيزيائية (كالدائرة، والمثلث) ومن أفكار «غير افتراضية» (كالحذر، والعدالة، والجمال، إلخ)، تلك التى تشكّل فيما بينها نظامًا متناغمًا، لأنه معمارى البنيان ومتسلسل بسبب وعن طريق مبدأ المثل السامى الموحد الذى هو «منبع الكائن وجوهر المثل الأخرى»، أى مثال الخير.

«لكن كيف يمكننا الاستغراق فى عالم المثل والتوصل إلى المعرفة؟ فى كتابه فيدروس، يشرح أفلاطون عملية سقوط النفس البشرية التى هَوَتْ إلى عالم المحسوسات - بعد أن عاشت فى العالم العلوى - من خلال اتحادها مع الجسم.

لكن هذه النفس، وعن طريق تلمسها لذلك المحسوس، تصبح قادرة على دخول أعماق ذاتها لتكتشف، كالذاكرة المنسية، الماهية الجليلة التى سبق أن تأملتها فى حياتها

الماضية: وهذه هي نظرية التذكُّر، التي يعبرُ عنها بشكل رئيسي في كتابه مينون، من خلال استجواب العبد الشاب وملاحظات سقراط الذي «توصل» لأن يجد في نفس ذلك العبد مبدأً هندسيًا لم يتعلَّمه هذا الأخير في حياته.

— يعنى نفهم من الكلام دا إنه بيقول إن الروح كانت موجودة قبل الجسد، وإنها بتدور عليه، وبمجرد دخولها إلى الجسد تكتشف أعماق ذاتها.

— أيوة ياخلود، ودى اسمها «نظرية التذكر».

— تمام يادكتور.

— فيه أى تعليق ياجماعة؟

تنظر فرحة لرحمة وتبتسم، ثم ترسم شيئاً من الجديدة على وجهها، فتنظر لخلود قائلة :

— كله تمام، انشرى ياخلود، أنا موافقة.

ضحك كعابيش، فضحك الجميع.

— انشرى ياخلود، واكتبى فى نهاية الموضوع إن الفيلسوف القادم هو أرسطو.

— حاضر يادكتور.

جوستاين جاردنر

وصلت رسالة للدكتور كعابيش على الإيميل من الناشر،
تفيد بأن القسط الثانى من مستحقاته قد تم تحويله على
بنك مصر.

— دا أنا لسه ما كتبتش ولا كلمة، بس قريت الرواية
مرتين، متعة يارحمة، كاتبها مؤلف عبقرى من
النرويج، اسمه جوستاين جاردنر.

— والناشر دا يعرفك منين يا عبد؟!

— يابنتى، الرواية دى بتتكلم عن تاريخ الفلسفة، وأنا
رئيس قسم الفلسفة فى أهم جامعة فى الوطن العربى.

— كانت يا أبيه.

— كانت يارحمة.

قالها بتأثر وحزن.

— بس فيه نماذج تظمن الواحد على مستقبل البلد دى.

- قصدك خلود؟
- بنت رائعة، ساعات باحس إنها عندها أربعين سنة، مش عشرين.
- دا إعجاب دا ولا إيه بالظبط يا عبُد؟
- انت دماغك راحت فين؟! خلاص أخوك راحت عليه، ٤٦ سنة يارحمة، وهى حوالى ٢٠، تيجى ازاي دى؟!
- شكلك بتفكر فى الموضوع وبتحسبه، شكلك بتحب علىّ يا عبُد.
- وهى تضحك.
- خلىنى معاك، افرضى أنا فكرت.
- يعنى فكرت؟
- أنا باقول افرضى، هى ممكن توافق؟ أو أهلها ممكن يتغاضوا عن فارق السن دا؟
- بتحبها يا عبُد؟
- مش عارف.
- بس أنا عرفت، هى فعلا ممتازة، ما قولتليش إزاي اتعرفت على الناشر دا؟
- انا لقيته بيكلمنى على الموبايل، جاب نمرتى من الناشر

اللى بيطلع لى كتبى فى الجامعة، وقال لى إننا عندنا رواية مهمة جداً بتدور أحداثها حول تاريخ الفلسفة، وتم ترجمتها إلى اللغة العربية ترجمة أدبية من ناشر آخر، وعشان ينشرها هو لازم يترجمها ترجمة جديدة خاصة بدار النشر بتاعته، فوق الاختيار علىّ، لأنى مترجم إنجليزى / عربى، وفى نفس الوقت رئيس قسم الفلسفة، والرواية فلسفية.

— والترجمة الأولى أخبارها إيه؟

— أنا قرّبت الرواية باللغة الإنجليزية، ولسة العربى، بس تقريباً مش هاقرا العربى، عشان ما اتأثرش بيها.

— ألف مبروك يا أبيه، وإن شاء الله ترجمتك تكون أفضل.

ونظرت نظرة خبث :

— والناشر دا بقى بيدفع بالدولار؟ دا الدولار دى الوقت وصل ل ١٣ جنيه.

— معقولة؟! مصائب قوم عند قوم فوائد، لما اتعاقدت مع الناشر من ست أشهر كان لسة ماوصلش ٩ جنيه.

— لازم تجيب لى هدية من الزيادة دى، لاحسن أفضل أنق عليك لحد مايقعوا منك.

— دا المبلغ كله ألفين دولار، لا راحوا ولا جم.

— لا يا حبيبي، ماتحاولش تفلت، دا كان زمان، دى الوقت
الدولار بقى بـ ١٣ وآخر الشهر هيبقى بـ ١٦ جنيه،
يعنى على آخر السنة هيبقى بـ ١٠٠ جنيه، انت غنى
يا عبد الحميد، انت غنى يا عبد الحميد.

قالتها بشكل كوميدى ساخر، وهى تضحك، فضحك
كعابيش.

فى تمام الثامنة صباحا، كان عبد الحميد كعابيش أول
عميل فى البنك، سلم بطاقته للصراف:

— تحويل من النرويج ٢٠٠٠ دولار.

— ٢٠٠٠ فى ٨٣٥.

— هو إيه اللى ٨٣٥ يا أستاذ؟!

قالها كعابيش للصراف بغضب.

— دا سعر الدولار النهاردة.

— مين اللى قال لك إنى عاوز أغيرهم؟ أنا عاوز فلوسى
دولارات زى ما هى.

— التعليمات كدا.

— تعليمات إيه؟! هو إيه اللى انت بتقوله دا؟!

وارتفع صوت كعابيش، فخرج له مدير البنك، وطلب

منه أن يهدأ، واصطحبه إلى مكتبه كي يشرب معه الشاي،
وقال له وهو يمسك ببطاقته الشخصية :

— اهدا يادكتور عبدالحميد، حضرتك من العلماء الكبار،
ولازم تبقى هادى.

— أهدا ازاي يا افندم؟! واحد باعت لى دولارات، يبقى
إزاي أخذها جنيهاات؟! إيه اللي يدخل البنك فى
علاقتى بالناشر بتاعى؟

— دى ظروف بلدنا يادكتور، الإرهابيين بيلموا الدولارات،
واحنا لازم نحافظ عليها.

— بالإرهاب برضه؟!!

— إرهاب؟!!

— طبعا، المنع والقهر والتدخل فى شئون الناس، هو دا
الإرهاب اللي لازم نحاربه، من فضلك ادينى فلوسى
دولارات زى ماهى، من فضلك.

رضخ مدير البنك أمام إصرار كعابيش فأعطى له المبلغ.

أخذ كعابيش يعد المبلغ قائلاً :

— منك لله يارحمة، انت اللي قريتى علىّ.

علم الجواهر

وما إن دخل كعابيش البيت إلا وقد تصارعت فى رأسه فكرتان، الأولى أن يبدأ فى ترجمة الرواية التى أخذ قسطها الثانى ولم يفعل شيئاً سوى قراءة لها مرتين بالإنجليزية، ولكنه لم يكتب حرفاً واحداً، والفكرة الثانية هى أن يكتب عن الشخصية الفلسفية الجديدة حتى تلتزم أسرة أفكار فلسفية بوعد لها للأعضاء. دخل المطبخ و صب كوباً من الشاي وهو يفكر، ماذا يفعل؟ دخل غرفة المكتب، وجلس على مكتبه وأمسك بالقلم، وقرر أن يكتب عن أرسطو:

أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢) قبل الميلاد.

فيلسوف يونانى قديم، كان أحد تلاميذ أفلاطون، ومعلم الإسكندر الأكبر، كتب فى مواضيع متعددة تشمل الفيزياء، والشعر، والمنطق، والأحياء، وأشكال الحكم.

ولد أرسطو (أرسطاطاليس /أرسطوطاليس) فى عام ٣٨٤ ق.م. وعاش حتى ٣٢٢ ق.م. فى ستاجرا، وهى مستعمرة يونانية، وكان أبوه نيقوماخوس طبيب بلاط الملك مينتاسبا المقدونى،

ومن هنا جاء ارتباط أرسطو الشديد ببلاط مقدونيا، الذى أثر إلى حد كبير فى حياته ومصيره فكان مربى الإسكندر.

لقد دخل أكاديمية أفلاطون للدراسة فيها وبقى فيها عشرين عاماً، كان من أعظم فلاسفة عصره، وأكثرهم علماً ومعرفة، ويقدر ما أصدر من كتابات بـ ٤٠٠ مؤلف ما بين كتاب وفصول صغيرة، عرف بالعلمية والواقعية.

يعرف أرسطو الفلسفة بمصطلحات الجواهر، فيعرفها قائلاً إنها علم الجوهر الكلى لكل ما هو واقعي، فى حين يحدد أفلاطون الفلسفة بأنها عالم الأفكار، قاصداً بالفكرة الأساس اللا شرطى للظاهرة.

بالرغم من هذا الاختلاف فإن كلاً من المعلم و التلميذ يدرسان مواضيع الفلسفة من حيث علاقتها بالكلى، فأرسطو يجد الكلى فى الأشياء الواقعية الموجودة، فى حين يجد أفلاطون الكلى مستقلاً بعيداً عن الأشياء المادية، وعلاقة الكلى بالظواهر و الأشياء المادية هى علاقة المثل و التطبيق.

الطريقة الفلسفية عند أرسطو كانت تعنى الصعود من دراسة الظواهر الطبيعية وصولاً إلى تحديد الكلى وتعريفه، أما عند أفلاطون فكانت تبدأ من الأفكار والمثل لتنزل بعد ذلك إلى تمثيلات الأفكار وتطبيقاتها على أرض الواقع.

— فىن هديتى يامترجم ياعظيم؟

— يابنتى مش تقولى حاجة، السلام عليكم، مساء الخير،
إحم، دستور، أى حاجة، خضيتينى ياجنية.

— ما تفكرش تهرب.

— إيه دى، قصيدة جديدة؟

— انت عارف إن أختك متعددة المواهب، الشعر دا يادوب
حاجة من اهتماماتى.

— لازم تقرى كتاب الشعر لأرسطو، على فكرة هو شخصية
الأسبوع دا فى أسرة أفكار فلسفية.

— ماليش دعوة بالكلام دا كله، أنا عاوزة الهدية بتاعتى.

— حاضر، بس سببى من فضلك أكمل اللى فى إيدى.

— ماشى ياغبدا.

وما إن خرجت حتى بدأ يكتب :

إذا ما انتقل أرسطو إلى دراسة الإنسان نفسه أصبح
ميتافيزيقياً أكثر منه عالماً طبيعياً. ولسنا ندرى هل منشأ
هذا التحول هو تقواه الشديدة أو احترامه لآراء بنى الإنسان.
وهو يعرف النفس (Psyche) أو العنصر الحيوى بأنه «الدافع
الداخلى الأول فى الكائن العضوى «أى الصورة الفطرية المقدره
لهذا الكائن والتي تدفع نماءه وتحدد اتجاهه».

وليست النفس شيئاً يأتى إلى الجسم من خارجه أو يسكن

فيه ، بل هي موجودة معه فى كل جزء من أجزائه ، أى أنها هي الجسم نفسه من حيث «قدرته على تغذية نفسه وتنميته وانحلاله» ؛ فهي جميع وظائف الكائن العضوى ، وهى للجسم كقوة الإبصار للعين ، بيد أن هذه الناحية الوظيفية ناحية أساسية ، فالوظائف هي التي توجد التراكيب والرغبات هي التي تشكل الأعضاء ، والنفس هي التي تكون الجسم : «فالأجسام الطبيعية كلها أعضاء للنفس» .

والنفس ثلاث درجات : نامية ، وحاسة ، وناطقة .

فالنبات يشترك مع الإنسان والحيوان فى النفس النامية - أى فى قدرته على تغذية نفسه وعلى النمء الداخلي - وللحيوان والإنسان ، فضلاً عن هذه النفس ، نفس حاسة - أى قدرة الإحساس - وللحيوانات الراقية والإنسان نفس «منفصلة عاقلة» ، أى قدرة على الأشكال البسيطة البدائية من الذكاء ، والإنسان وحده هو الذى له نفس «فاعلة عاقلة» ، أى قدرة على التعميم والابتكار ، وهذه النفس الأخيرة جزء أو انبعاث من قوة الكون الخالقة العاقلة وهى الله ، وهى بهذا الوصف لا تموت .

ولكن هذا الخلود غير شخصي ، أى أن الذى يبقى هو القوة لا الشخصية ؛ والفرد مركب من المواهب النامية والحاسة والعاقلة ؛ وهو لا يصل إلى الخلود إلا نسبياً ؛ وذلك عن طريق التوالد ، وبطريقة غير شخصية عن طريق الموت .

والله هو «صورة» العالم أو «حقيقته الفعلية» أى طبيعته
الفطرية، ووظائفه، وأغراضه، كما أن الروح هى «صورة» الجسم.
رنين الموبايل يكسر هدوء المكتب، ويقتحم استغراق
كعابيش فى الكتابة عن أرسطو.

— مساء الخير يادكتور.

— مساء النور يا أستاذ فاروق.

— رحى البنك النهاردة؟

— تمام، وصرفت، كله تمام، الحمدلله.

— والنبى، شد حيلك مع الجماعة فى النرويج، عشان
مكلفينى استعجلك.

— حاضر، إن شاء الله خلال شهرين بالكثير هاكون خلصت
ترجمة الرواية.

— لأ، شهرين كتير قوى، قل خمستاشر يوم يادكتور.

— شهرين يادوب يا أستاذ فاروق، دى رواية كبيرة.

— عموماً، أنا هابلغهم، وربنا يسهل، سلام يادكتور.

وما إن أنهى المكالمة، حتى عاد لأرسطو.

والعلل كلها ترتد آخر الأمر إلى العلة الأولى التى لا علة
لها، كما تُرد كل الحركات إلى المحرك الأول الذى لا محرك

له ؛ ولا بد لنا أن نفترض وجود أصل أو مبدأ لما فى العالم من حركة أو قوة، وهذا الأصل هو الله.

وكما أن الله هو الحركة كلها ومصدرها، فهو كذلك كل غايات الطبيعة وهدفها، فهو العلة الآخرة والأولى.

وإننا لنرى الأشياء فى كل مكان تتحرك نحو غايات معينة: فالأسنان الأمامية تنمو حادة لتقطع الطعام، والأضراس تنمو مستوية لتطحنه، والجفن يطرف ليقى العين، والحدقة تتسع فى الظلام لتدخل قدراً كبيراً من الضوء، والشجرة تمد جذورها فى الأرض، وغصونها نحو الشمس.

وكما أن الشجرة تجذبها طبيعتها الفطرية وقوتها وأغراضها نحو الضوء، فكذلك العالم ينجذب بطبيعته الفطرية وقوته وأغراضه، وهذه كلها هى الله.

وليس الله هو خالق العالم المادى، ولكنه صورته المنشطة، وهو لا يحركه من خلفه ولكنه هو الموجه له من الداخل أو هدفه، يحركه كما يحرك الحب الحبيب، ويقول أرسطو أخيراً إن الله فكر خالص، وروح عاقل، يتبدى فى الصور السرمدية التى تكون جوهر العالم والله فى وقت واحد.

وغاية الفن، كغاية الميتافيزيقيا، هى القبض على الصورة الجوهرية للأشياء، وهو تقليد أو تمثيل للحياة، ولكنه ليس نسخة آلية لها؛ والذى تقلده هو روح المادة لا جسم المادة ولا المادة نفسها؛ وعن طريق هذه البصيرة أو عكس هذا الجوهر

كما تعكس المرآة الجسم قد يبدو الشيء القبيح جميلاً.

والجمال هو الوحدة، هو تعاون الأجزاء وتمائلها فى الكل.

وتكون هذه الوحدة فى المسرحية وحدة العمل قبل كل شيء؛ ولذلك يجب أن يكون أعظم ما تهتم به المسرحية عملاً واحداً، وأن يكون الغرض الوحيد مما فيها من أعمال أخرى هو أن ترقى بهذه القصة الرئيسية أو توضحها.

وإذا أريد أن يكون العمل الفنى غاية فى الروعة والجودة وجب أن يكون موضوعه متسماً بالنبل أو البطولة.

ويقول أرسطو فى تفسيره الشهير للمأساة: «المأساة تمثيل موضوع فى البطولة، كامل متسع إلى حد ما، بلغة تزدان بكل أنواع المحسنات... فهى تمثل رجالاً يعملون ولا تعمد إلى القصص، ثم تستعين بالرحمة والخوف لتخفف من وقع هذه العواطف وغيرها». والمأساة تستثير أعماق عواطفنا ثم تهدئها بخاتمها المسكنة، وبذلك تعرض علينا تعبيراً عن العواطف لا ضرر فيه ولكنه ينفذ إلى أعماق النفس، ولولا هذا التعبير لتجمعت العواطف فصارت عُصَاباً أو عنفاً، فهى تظهر لنا من الآلام والأحزان ما هو أكثر رهبة من آلامنا وأحزاننا، وتعيدنا إلى بيوتنا مبرئين مطهرين.

وقصارى القول إن ثمة لذة فى تأمل عمل من أعمال الفن الحقيقية، ومن الشواهد الدالة على رقى الحضارة أن تقدم للروح أعمالاً خليقة بهذا التأمل، ذلك بأن «الطبيعة لا

تطلب إلينا أن نشغل أوقاتنا بالأعمال الطيبة فحسب ، بل
تتطلب فوق ذلك أن نكون قادرين على أن نستمتع بفراغنا.

بينما كعابيش مستغرق فى الكتابة ، دخلت رحمة المكتب.

— خلود باعثة لك رسالة على الفيس بوك ، بتقول لك
لازم نتكلم عن فلاسفة مسلمين وعرب ، ونأجل أرسطو.

— هى فين الرسالة دى؟

تحضر التاب وتطلعها عليها.

أخذ كعابيش يكتب لخلود رسالة على الفيس بوك :

«على القيادة دائماً أن تخطط وتأخذ القرار وتتحمل
نتائجه دون الالتفات للثرثرة ، فالمنهج العلمى يستوجب أن
ندرس الفلسفة بتطورها من القديم إلى الحديث ، وبما أنهم
مشتاقون للفلاسفة العرب ، فإننا سنجعل دائماً أهم فقرات
الحفل فى أواخره ، حتى لا ينفذ عنا الجمهور.

— فعلا يادكتور معاك حق ، حضرتك خلصت أرسطو؟

— كلها نص ساعة ، ويكون عندك على الإيميل.

يعود كعابيش للكتابة متسائلاً:

فما هى الحياة الطيبة إذن؟

يجيب أرسطو عن هذا السؤال ببساطة وصراحة فيقول إنها الحياة السعيدة؛ وهو لا يريد أن يبحث في كتاب الأخلاق (كما يبحث أفلاطون) كيف يجعل الناس أخيراً، بل يريد أن يبحث كيف يجعلهم سعداء! وهو يرى أن غير السعادة من الأغراض لا يسعى إليها لذاتها بل هي وسيلة لغاية، أما السعادة فهي وحدها التي تُبتغى لذاتها.

وثمة بعض أشياء لا بد منها للحصول على السعادة الباقية وهي: المولد الطيب، والصحة الجيدة، والوجه الجميل، والحظ الطيب، والسمعة الحسنة، والأصدقاء الأوفياء، والمال الوفير، والصالح.

«وليس في وسع إنسان أن يكون سعيداً إذا كان دميمة الخلق».

«أما الذين يقولون إن الذي تحل به كارثة شديدة، يكون سعيداً بشرط أن يكون صالحاً فقولهم هراء».

وينقل أرسطو بصراحة يندر وجودها في الفلاسفة، جواب سمنيدس لزوجته هيرن إذ سألته أيهما أفضل الحكمة أو الغنى فقال:

«الغنى، لأننا نرى الحكماء يقضون أوقاتهم على أبواب الأغنياء».

لكن الثروة وسيلة لا أكثر، فهي في حد ذاتها لا ترضى غير البخيل؛ وإذا كانت الثروة نسبية فإنها لا ترضى إنساناً زمنياً طويلاً.

وسر السعادة هو العمل، أى بذل الجهد بطريقة تتفق مع طبيعة الإنسان وظروفه.

والفضيلة حكمة عملية، وهى تقدير الإنسان بعقله لما فيه من خير، وهى فى العادة وسط بين نقيضين؛ والإنسان فى حاجة إلى الذكاء لمعرفة هذا الوسط، وإلى ضبط النفس (إنكراتياً) أو القوة الداخلية لممارستها.

ويقول أرسطو فى جملة من جملة النموجية:

إن «الذى يغضب مما ومن ينبغى أن يغضب منه، ويغضب فوق ذلك بالطريقة الحقّة وفى الوقت المناسب للغضب، ويطول غضبه الزمن الملائم، إن هذا الرجل خليق بالثناء». وليست الفضيلة عملاً، بل هى تعود عمل الصواب، ولا بد أن تفرض فى أول الأمر بالتدريب والتهديب، لأن الشبان لا يستطيعون أن يحكموا فى مثل هذه الأمور حكماً صادقاً حكيماً، فإذا مضى بعض الوقت فإن ما كان من قبل نتيجة الإرغام يصبح عادة أى «طبيعة ثانية»، ويكاد يبعث من اللذة ما تبعثه الشهوة.

ويختتم أرسطو هذا البحث خاتمة تناقض -أشد التناقض- ما بدأه به وهو قوله إن السعادة فى العمل، وإن أحسن حياة هى حياة الفكر، ذلك أن الفكر فى رأيه هو الدليل على ما انفرد به الإنسان من تفوق وامتياز، وأن «العمل الخليق بالإنسان هو أن تعمل نفسه بالاتفاق مع عقله»، وأسعد

الناس حظاً هو الذى يجمع بين قدر من الرخاء وقدر من العلم، أو البحث أو التفكير، فهذا الرجل هو أقرب الناس إلى الآلهة»، والذين يرغبون فى اللذة المستقلة يجب أن يطلبوها فى الفلسفة، لأن غيرها من اللذات يحتاج إلى معونة الإنسان. وما إن انتهى كعابيش من كتابته حول أرسطو حتى أرسل الإيميل إلى خلود.

«الفاضلة خلود.

مساء العلم والفلسفة.

أشكر لك جهدك المضى، وسهرك على نجاح مشروعنا الثقافى، وأتمنى لك مزيداً من الألق والرقى.

مرفق مع الرسالة ملف للنشر يوم الخميس القادم فى أسرة أفكار فلسفية بعنوان «أرسطو».

— ملحوظة :

الصور التى نشرتها مع أفلاطون كانت رائعة، يا حبذا لو نشرت مثلها لأرسطو مع التنويه عن شخصية الأسبوع القادم، الفيلسوف ديكارت.

— تقبلى تحياتى واحترامى.

كعابيش

سماح

فى شارع السكة بمنطقة بولاق الدكرور تعيش سماح التى تحفظ عدد الحصى المنتشر فى الشارع لأنه موضع نظرها، فهى دائماً حين تمشى لا تلتفت يميناً أو يساراً، كبرت فجأة، حين فاجأت الجيران بخمارها الذى حرمهم من ضفیرتى البراءة اللتين كانت تطلقهما خلف ظهرها، سيرة طيبة، أب صالح وأم جعلت كل سيدات المنطقة خالات لسماح، ومع أنها وحيدة والديها، فكل سكان المنطقة يتمنون لو أن لهم أختا كسماح.

فور نجاحها فى الإعدادية بمجموع كبير التحقت بمدرسة جمال عبدالناصر الثانوية، ولم تستطع سماح الخجول أن تتعرف على زميلاتهما وتكون صداقات حتى دخلت خلود حياتها.

— بلاش تصورى الملازم هنا، دول حرامية يابنتى.

— أمال أصورهم فين؟

— هاتيهم، وأنا أصورهم لك عندنا، الورقة هنا ب٢٥ قرش، وعندنا فى بين السريات ب١٠ قروش.

— قصاد الجامعة؟

— أيوه، احنا عندنا سنتر تصوير وتجليد وطباعة.

— أنا متشكرة قوى.

— خلود.

— أه طبعا، أنا عارفك ياخلود، أشطر واحدة فى الفصل،

وماسكة الرحلات والإذاعة وجماعة الخطابة، وكل

حاجة تقريبا.

تضحك..

— ما انت بتعرفى تضحكى أهو؟!

— أنا باتكسف بس، لكن باحب الضحك وكل حاجة.

— بقالك شهرين فى المدرسة ولسه ما اتعرفتيش على أى حد؟!

— مش مهم، أنا باحب أكون فى حالى، ما علهش أنا

هاسيبك دى الوقت عشان أصلى الظهر فى جامع المدرسة.

— وتسيبيني ليه؟! وهى تضحك، ما انا كمان هاجى

أصلى معاك ياسماح، دا انت لقطه.

وهى تضحك.

وقتئذ شعرت سماح أن الله هو الذى أرسل إليها خلود

لتكون صديقتها الوحيدة، فهى لا تملك القدرة على اقتحام

حياة الآخرين، ولا تسمح لأحد بأن يدخل حياتها بسهولة، فهي سعيدة بحياتها الهادئة ولا تتحمل الدخول في مشاكل وحلها، فحياتها بسيطة جداً، وتريد أن تحافظ على هذه البساطة، تذاكر وتنجح لتصل إلى الجامعة، فتعمل أو تتزوج من رجل متدين يشبه أبها الذى يخاف عليها من الهوء الطائر، وهذا هو الحب عندها.

— أخوك بيضرب لك كلاكس يا خلود.

قالتها إحدى الزميلات فى الفصل، فلمعت عينا سماح وابتسمت ابتسامة جميلة فحاولت إخفاءها:

— يلا يا سماح.

— ماشى، أنا جاهزة، يلا بينا.

كل يوم تراه فى سيارته البيضاء، بشياكته، وأخلاقه وإصراره على أن يوصلها هى أولاً إلى البيت كل يوم، وهى ترفض على مدى ثلاثة سنوات، لم يكف عن العرض، وهى لم تقبل.

— فيها إيه ياسماح دا انت أختى وصاحبتى وعمرو زى أخوك، وبعدين احنا الثلاثة مع بعض فى العربية، هنوصلك ونرجع الحتة الصغيرة دى لبين السريات.

— مافيش داعى، أنا هانزل هنا على شارع السودان، واعدى المزلقان، شكراً يا خلود.

وتلتفت لعمرو:

— مش كفاية بنتعب الأستاذ عمرو معانا من سنة أولى،
بقاله تلات سنين تعبان معاي، وزمانه زهق منى.

— لا أبداً ياسماح، انت بالنسبة لى زى خلود بالظبط.

أراد أن يجاملها فحطم أملها، فقد كان عمرو بالنسبة لها
الإعصار الذى لم يأت بعد، وهى تنتظره كل يوم، ولكنه
لايأتيها إلا ليلا، فى الأحلام، سماح البيضاء الجميلة التى
عندما تصل إلى بيتها، وتلبس بيجامة البيت تبدو شهية،
وإذا رآها رجل تسمر فى مكانه، فهى جميلة جمالاً آمناً،
محصن بملابسها الواسعة التى تدارى جسمها الرائع،
النموذجى، وخمارها الطويل الذى يضرب فوق صدرها
فيدارى النهدين العامرين بالدفء والحنان.

— على فكرة ياسماح، أنا حاسة إنك طالعة بمنظرين.

— نعم؟!!

— أيوة انت فاكرة الأفلام القديمة؟ لما كان البطل يبقى
طالع بمنظرين.

— أيوه، إسماعيل يس، جزر، قصدك أنا زى إسماعيل
يس ياخلود، شكرا ياستى.

— لأ يا عبيطة، قصدى إن انت هنا فى البيت حاجة تانية
خالص.

- والله ما فاهمة منك حاجة ، قصدك إيه؟!
- حد قال لك انك جميلة جدا ياسماح؟!
- أنا عارفة ، الحمدلله.
- وجسمك حلو قوى ، وشعرك الحريري دا ، فيه بنات نص جمالك وفاردين شعرهم ومبينين جمالهم.
- إيه ياخلود؟! انت هتخرفى ولا إيه؟! حرام.
- حرام إيه ياعبيطة؟! هو أنا بأقول لك اقلعى ، ولا البسى عريان لا سمح الله؟!
- أمال قصدك إيه؟
- طريقة لبسك دى بتخلى شكلك وحش.
- يتغير وجه سماح ، ويبدو عليها الغضب.
- من غير زعل ، انت حبيبتي ، وأنا عاوزة مصلحتك.
- انت اتجننت أكيد.
- وتنظر إليها بغضب :
- انت عاوزانى أخلع الحجاب ياخلود؟
- لا طبعا ، تغيريه بس ، بلاش حجاب السلفيين ده.
- هو فيه حجاب للسلفيين وحجاب لغير السلفيين؟!

قالت مستنكرة.

— تلبسى بنطلونات وحجاب ألوان بدال الأسود دا،
والخمار الواسع قوى دا بتاع ستى وستك.

— أنا هالبس لجوزى إن شاء الله، ولغاية اليوم دا، ممنوع
حد يشوف حاجة.

— يابنتى أنا بالبس حشمة وكل حاجة، زى ما انت
شايقة.

— حشمة إزاي يعنى؟ بنطلون وتى شرت، وشعرك
مكشوف، أنا عارفة انك طيبة، بس مايصحش ياخلود.

— بصى يا حبيبى، يمكن لو أنا فى جمالك كنت عملت
زيك، لكن احنا على قدنا وبنحاول.

وتضحك خلود، فتضحك سماح قائلة :

— هاتيجى تصلى معاى المغرب ولا لسة عندك كلام فارغ؟

— لأ أنا صليت ياكسلانة.

رغم أن خلود تحب سماح، وتحترمها إلى أبعد الحدود،
وتتمنى أن تستمر صداقتهما للأبد إلا أنها لم تتمنئها أبداً
زوجة لأخيها عمرو الذى لن يكون سعيداً معها لأنها

«عُقد» وهى تريد لأخيها السعادة والهناء مع أنها متأكدة أن سماح تحبه جداً، وحبّه يزيد فى قلبها يوماً بعد يوم خلال أربع سنوات، فهى فتاة وتعرف معنى نظراتها إليه بمنتهى الحياء والأدب، لكن سطوة الحب جبارة، ومن يستطيع مقاومتها لم يخلق بعد.

باحبك

قبل أن تفعل أى شئ فى يومها تتفقد خلود بريدها الإلكترونية ورسائل الفيس بوك، وهذه عاداتها اليومية، ولكنها اليوم وجدت رسالة غريبة بين رسائل كلها تتعلق بما ينشر على صفحة أسرة أفكار فلسفية، وعن أعضاء جدد يرغبون فى الاشتراك فى الأسرة، وأصدقاء يمدحون، وأشخاص لاتعرفهم يشتمون بألفاظ تتراوح بين الجارحة والتي يعاقب عليها القانون، وفى خضم هذه الرسائل وجدت خلود رسالة من حساب اسمه أمير الحب تحتوى على كلمة واحدة «باحبك» فابتسمت، ولكنها لم تهتم، فقامت بالرد على أسئلة الأعضاء جميعهم، إلا أمير الحب.

— ألو... صباح الخير يادكتور.

— صباح النور ياخلود.

— الرسائل معظمها بيتهكم وبيقول انتوا فى وادى واحنا فى وادى.

— مش فاهم، يقصدوا إيه؟

- طب إليه رأى حضرتك إننا نقول رأينا فى كل القضايا
اللى بتهم الناس بس باختصار شديد جداً وبعدين
نعرض شخصية الأسبوع.
- موافق، اتفقنا، على فكرة أنا باكتب فى ديكارت،
وبمجرد الانتهاء منه هابعته فوراً.
- كلنا فى انتظار ديكارت.

رينيه ديكارت

٣١ مارس ١٥٩٦ إلى ١١ فبراير ١٦٥٠

فيلسوف فرنسى ورياضى وعالم يعتبر من مؤسسى الفلسفة
الحديثة ومؤسس الرياضيات الحديثة.
يعتبر أهم وأغزر العلماء إنتاجاً فى العصور الحديثة.

الكثير من الأفكار والفلسفات الغربية اللاحقة هى نتاج
تفاعل مع كتاباته التى درّست وتدرّس من أيامه إلى أيامنا،
لذلك يعتبر ديكارت أحد المفكرين الأساسيين، وأحد مفاتيح
فهمنا للثورة العلمية والحضارة الحديثة فى وقتنا هذا.

يمجد اسمه بذكره فيما يدعى هندسة ديكارتية التى
يتم بها دراسة الأشكال الهندسية ضمن نظام إحداثيات
ديكارتية ضمن نطاق الهندسة المستوية التى تدمجها مع
الجبر.

يعارض ديكارت الكثير من أفكار أسلافه، ففي مقدمة عمله عاطفة الروح، يذهب بعيداً للتأكيد على أنه سيكتب في هذا الموضوع حتى لو لم يكن أحد سبقه لطرح هذا الموضوع.

بالرغم من هذا فإن العديد من الأفكار توجد بذورها في الأرسطية المتأخرة والرواقية في القرن السادس عشر أو في فكر أوغسطين.

يعارض ديكارت هذه المدرسة في نقطتين أساسيتين:

أولاً يرفض تقسيم الأجسام الطبيعية إلى مادة وصورة (شكل) كما تفعل معظم الفلسفات اليونانية.

ثانياً يرفض الغايات أو الأهداف - سواء كانت غايات ذات طبيعة إنسانية أو إلهية لتفسير الظواهر الطبيعية، أما في الإلهيات فهو يدافع عن الحرية المطلقة لفعل الله أثناء الخلق.

الموبايل يرن، يبدو أنها رسالة، فهذه النعمة قد خصصتها خلود للرسائل.

— باحبك.

فقالته محدثة نفسها:

— هو مين اللي مش لاقى حاجة يتسلى بيها غيرى ده؟!!

وانا هاشغل نفسى بالتافه دا وأسيب ديكارت؟!!

وعادت تقرأ:

أسهم ديكارت فى الشك المنهجى ، واستهدف فى شكه الوصول إلى اليقين ، وأسباب الشك لديه أنه يلزم أن نضع جميع الأشياء موضع الشك بقدر الإمكان ، ويبرر الشك بأنه تلقى كثيراً من الآراء الباطلة وحسبها صحيحة ، فكل ما بناه منذ ذلك الحين من مبادئ على هذا القدر من قلة الوثوق لا يكون إلا مشكوكاً فيه ، إذن يلزم أن نقيم شيئاً متيناً فى العلوم ، أن نبدأ بكل شئ من جديد ، وأن نوجه النظر إلى الأسس التى يقوم علينا البناء ، مثال على ذلك المعطيات الخاصة للحواس ، فالحواس تخذعنا أحياناً ، والأفضل ألا نثق بها ، أما الأشياء العامة كالعيون والرؤوس والأيدى التى يمكن أن تتألف منها الخيالات فيمكن أن تكون هى نفسها خيالية محضة .

أول ما ذكره عن ديكارت أنه تلقى تعليمه على أيدى الجزويت ، وكان هذا التعليم نقطة البداية وجحر الشحذ عند كل الهراطقة الفرنسيين ، ابتداءً من ديكارت ثم فولتير ، ورينان وأناطول فرانس «بين جدران المعبد صنعت المعاول التى تحطم بها المعبد» .

قامت خلود ، وقررت أن تعرف من الذى يرسل لها الرسائل ، فاتصلت على الرقم الذى أرسلت منه الرسالة فوجدته مغلقاً ، ففتحت حساب الفيس بوك ودخلت صفحة

أمير الحب فوجدت أن الصفحة جديدة وليس لديه أصدقاء إلا ١٠ فقط، منهم فرحة ورحمة من الأصدقاء المشتركين.

فقالته محدثة نفسها :

— كذا أبقي عرفتك، أصبر على ياروميو لما أفضى لك.

وعادت إلى ديكارت.

ولد ديكارت فى لاهاي، وهى بلدة صغيرة بمنطقة التورين بفرنسا، وماتت أمه بالسل بعد ولادته بأيام قلائل، وورث عنها المرض.

وكان فى صباه شاحب اللون، يسعل سعالاً يثير الإشفاق، إلى حد أن الطبيب لم يبشر بأى أمل فى إنقاذه، ولم تتخل عنه المرضة يأساً من بقائه على قيد الحياة، ولكنها أمدته بالدفء والغذاء من جسدها هي، فعاد إلى الحياة ثانية.

وربما سمي لهذا السبب، باسم رينيه (وهى لفظة مشتقة من أصل لاتينى بمعنى ولد من جديد).

وكان والده محامياً موسراً، وعضواً فى برلمان رن، وترك لابنه عند وفاته دخلاً يقدر بستة آلاف فرنك فى العام.

وألحق فى سن الثامنة بكلية لافيش اليسوعية، التى يقول عنها أحد المفكرين الأحرار المتحمسين ومشاهير الرياضيين «يبدو أنها زودته بقدر من الرياضيات أعظم كثيراً

مما كان يمكن أن يحصل عليه فى معظم الجامعات فى ذلك العصر». وتبين معلموه ضعف جسمه وبقظته ذهنه فأباحوا له البقاء فى الفراش بعد الوقت المحدد للاستيقاظ، ولاحظوا أنه استغل الوقت فى التهام الكتب، الواحد بعد الآخر، وفى كل جولاته فى الميتافيزيقا، ظل يحتفظ بإعجابه الشديد بأستاذته الجزويت، كما أنهم بدورهم، نظروا إلى شكوكه بشيء من التسامح الأبوى.

وقصد فى سن السابعة عشرة باريس ليلهو ويعبث، ولكنه لم يجد شيئاً ينغمس فيه، لأنه لم يكن يحفل بالنساء أو يميل إليهن، ولكنه بوصفه رياضياً ضليعاً، انصرف إلى الميسر، مقدراً أنه يستطيع الاستيلاء على خزانة نادى القمار. والتحق بجامعة بواتييه حيث حصل منها على درجات علمية فى القانون المدنى والقانون الكنسى.

وما إن استرد عافيته وقوته، حتى أذهل أصدقاءه، بانخراطه فى جيش الأمير موريس ناسو (١٦١٨) ولما نشبت حرب الثلاثين عاماً انضم إلى قوات مكسيمليان أمير بافاريا، وتذكر رواية غير مؤكدة أنه اشترك فى معركة «الجبل الأبيض».

— مساء الخير ياخلود.

— مساء النور يا بابا يا حبيبى.

- لسه موضوع البهائيين برضه.
- وهو ينظر على اللاب توب ليطمئن على ابنته.
- لا يا حبيبي، أنا مسحت الموضوع دا من على الصفحة، هو وموضوع الشيعة.
- خير ما عملت يا بنتي.... خلى بالك من نفسك، الكلام عن الأديان والعقائد يا بنتي خطير جدا، ممكن يكلف الواحد حياته.
- ربنا يستر يا حبيبي، أنا باراجع موضوع فلسفى عن ديكارت حياته وفلسفته قبل ما انشره على الصفحة.
- هو مش الدكتور كعايش هو اللي كاتبه؟
- أيوه طبعا.
- خلاص يا بنتي، هو عارف أكثر منك، معقولة هتراجعي ورا دكتور عظيم زى دا؟! انشرى على طول، واتوكلى على الله.
- بس هو اللي طلب منى كدا، يمكن قصده إنى استفيد وأعرف أرد على التعليقات.
- ربنا يوفقك يا حبيبتي. اخوك عمرو جه؟
- أيوة يا حبيبي جه، وكل، ونزل على طول.

— ربنا يهديه يابنتى ويصلح حاله، دا اللى حصل لاخوكِ
عمره مايحصل لحد ولا حتى فى الأفلام، الحمد لله
انها جت لحد كدا.

— الحمد لله يابابا.

— أسيبك بقى مع ديكارت.

تركها والدها ودخل غرفته فعادت خلود لديكارت :

رأى ديكارت فيما يرى النائم فى ثلاث رؤى أو ثلاثة
أحلام، ومضات من النور، وسمع رعداً، وبدا له أن روحاً
سماوية كانت توحى إليه بفلسفة جديدة. وبعد خروجه من
«الموقد» (الغرفة) كان -كما يؤكد لنا- قد صاغ الهندسة
التحليلية، وتصور فكرة تطبيق المنهج الرياضى فى الفلسفة.

ترك ديكارت فرنسا «بعد أن أفصح عما لديه من أسباب
للشك فى أشياء كثيرة» وخشى أن يتهم بالهرطقة، مع
أنه كان له أصدقاء كثيرون من رجال الكنيسة هناك، مثل
مرسن وبيرول. وربما حاول أن يتجنب الأصدقاء والأعداء
على حد سواء، أملاً فى أن يجد فى بلد غريب عزلة
اجتماعية (لا فكرية) يستطيع بها أن يشكل الفلسفة التى
كانت تعتلج بين جنبيه، لقد كره ضجيج باريس وثرثرتها،
ولكن لم تقلقه الحركة النشيطة التى تلتفها القنوات-فى
أمستردام.

وهو يقول: «هناك، وسط الجموع المكتظة من شعب عظيم نشيط، استطعت أن أعيش وحيداً منعزلاً، وكأني في صحراء نائية».

وربما كانت رغبته في أن يتوارى عن الأنظار ويخفي اهتماماته هي التي دفعته إلى تغيير أماكن إقامته أربعاً وعشرين مرة في السنوات العشرين التالية، من فرانكر إلى أمستردام إلى دنفتر، إلى أمستردام إلى أوترخت، ثم إلى ليدن، لكن بالقرب من جامعة أو مكتبة عادة.

ومكنه دخله من الاستمتاع بطيبات الحياة الاجتماعية في قصر صغير مع عدد من الخدم. وامتنع عن الزواج ولكنه اتخذ خليفة (١٦٣٤) أنجبت له طفلة.

وإننا لنسر إذ نسمع أن الروح الإنسانية تجلت فيه حين بكى الطفلة بعد موتها في الخامسة من عمرها.

وقد نحنا في الصواب إذا ظنناه فاتراً لا تحركه الأحداث الدنيوية، ولسوف نجد أنه يبرر كثيراً من الأهواء والمشاعر التي يشجبها رجال الأخلاق عادة، وما كان هو نفسه ليتجرد منها، فهو عرضة للزهو والغضب والغرور.

الموبايل يرن..

— اديني الحاج، لاحسن موبايله مقفول يا آنسة خلود.

- حاضر ياعم يوسف.
- بابا، عم يوسف عاوزك على الموبايل.
- قالتها بصوت عال كأنها تنادى والدها.
- أخذ والدها الموبايل:
- يعنى أنا مش هاعرف أهرب منك يا يوسف؟!!
- مافيش حاجة بتمشى من غير مشورتك يا حاج، ربنا يخليك لينا.
- إيه اللي حصل؟
- الورق زاد ٣٠ جنيه فى الكرتونة.
- ياخبر اسود يعنى من ١١٠ ل ١٤٠، دا خراب بيوت، انت متأكد، دا عمره مازاد أكثر من ٥ جنيه، دا كدا بيربكوا السوق، وبيوقفوا حال الناس.
- أنا مارضتش أجيب إلا لما أقول لك الأول.
- هات أقل كمية، بحيث السنتر مايوقفش، وأنا بكرة هاتصرف.
- هتعمل إيه يا حاج، دا رفع عند كل التجار، لأنه أندونيسى وبيستورده بالدولار، ومع ارتفاع الدولار بتزيد كل البضائع المستوردة.

- عندك حق، باقول لك إيه؟ زينا زى غيرنا، هات الكمية كلها، وارفع سعر الطباعة خلى الورقة ب ٢٠ قرش بدل ١٦، اطبع ورقة وعلقها بالأسعار الجديدة، وبكدا يبقى الزبون هو اللى اتحمل الفرق.
- ماشى ياكبير.

أخذت خلود الموبايل من والدها، وتركته فى سريره لينام، وعادت لتقرأ ما كتبه الدكتور كعابيش عن ديكرات.

فلسفته:

فى «مقال فى المنهج»، وهو الكتاب الفذ الذى يعتبر فاتحة عصر جديد، أعلن ديكرات عن أول مبدأ، كان يمكن فى حد ذاته، أن يقيم عليه الدنيا ويقعدها ويثير عليه غضب أولى الأمر، وهكذا كان. فقد كان الموضوع مكتوباً فى لغة فرنسية متميزة ميسرة، فى صيغة المتكلم الحية الساحرة.

لقد أحدث ثورة كبيرة فى التفكير، وقال ديكرات إنه كان سعيداً بنبذ كل النظريات والمبادئ والتعاليم، وطرح كل جهد ومرجع، وبوجه خاص الفيلسوف أرسطو.

وأكد أنه سيبدأ بصفحة جديدة خالية من أى شيء، ويشك فى كل شيء. «إن السبب الأساسى فى أخطائنا يكمن فى أهواء طفولتنا... فالمبادئ التى اعتنقتها فى شبابي، أستمر على الأخذ بها دون أن أتحرى حقيقتها ومبلغ الصدق فيها».

ولكنه يمضى قدماً، إذ ساوره الشك فى كل شىء.

ولما كان مولعاً بالرياضيات، وفوق كل شىء بالهندسة التى دأبت عبقريته على تحويلها، فقد تاقت نفسه، بعد ابتدائه بالشك الشامل إلى العثور على حقيقة يمكن التسليم بها على الفور بصفة عامة مثل بديهيات إقليدس.

«إن أرشميدس، لكى يتيسر له أن يزحزح الكرة الأرضية من مكانها وينقلها إلى مكان آخر، تطلب أن تكون هناك نقطة واحدة ثابتة لا تتحرك، وأنا بالمثل، سيكون لى الحق فى أن أستبشر خيراً كثيراً إذا أسعدنى الحظ، فأضع يدى على شىء واحد مؤكد لا نزاع فيه. (وأكد على هذه النقطة متهللاً: «أنا أفكر. فإذن أنا موجود»).

وهى أشهر عبارة فى الفلسفة، ولم يقصد بها أن تكون قياساً منطقياً، بل خبرة مباشرة لا سبيل لإنكارها، وهى أوضح وأجلى فكرة يمكن أن نحصل عليها، وتكون سائر الأفكار «صحيحة» على قدر اقترابها من هذه البديهية الأساسية - الإدراك الحسى المباشر، من حيث الجلاء والوضوح.

وكان «منهج» ديكارت الجديد فى الفلسفة هو أن يحلل الأفكار المركبة إلى مكوناتها، حتى تصبح العناصر غير القابلة للاختزال أفكاراً بسيطة واضحة جلية، ويبين أن مثل هذه الأفكار كلها يمكن أن تشتق من أو تعتمد على الشعور الأول لكائن يفكر.

إننا على العكس، يجدر بنا أن نحاول أن نستنتج من هذا الإدراك الحسى الأول كل المبادئ الأساسية فى الفلسفة.

رسالة جديدة على الموبايل .

— باحبك.

قرأتها ثم قالت :

— انت واحد من أصدقاء رحمة أو واحد من أصدقاء فرحة، ودى حاجة بسيطة قوى، ولازم أجيبك واعرفك.

فتحت صفحة فرحة فوجدت ٤٥٦٠ صديقاً.

— ياخبر دا كتير قوى.

فتحت صفحة رحمة فوجدت ٤٥٧ صديقاً.

— ماشى يارحمة معقول، بس روميو دا لازم يكون صديق مشترك بين رحمة وفرحة.

دخلت على الصفحة وبدأت فى البحث فوجدت ١٧ فتاة و٢٣ شابا مشتركين، فقالت، محدثة نفسها بصوت مسموع :

— كدا قربنا قوى، مين فيكم، ياحلويين طالب فى الكلية معانا؟ وجدت ٦ طلاب و١٧ من خارج الجامعة لا تعرف منهم إلا الدكتور كعابيش ومصطفى أخو فرحة.

طبعا الدكتور كعابيش مستبعد هو ومصطفى، يبقى باقى

ال٦١، هاحطهم تحت المراقبة وأكيد هاوصل، عموماً اللي النهارده بفلوس بكرة يبقى ببلاش.

وعادت لديكارت وبدأت تقرأ:

ومرة أخرى كانت ثورة في الفلسفة حين اتخذ ديكارت نقطة البداية، لا الأشياء الخارجية المفروض أنها معروفة بل الذات الواعية.

المعرفة الإنسانية ومداهها

ولدة ثلاثة قرون كانت الفلسفة تتساءل لقد اكتشفت فلسفة النهضة «الفرد»، ولكن ديكارت جعل منه همزة الوصل في فلسفته. «إنى لأرى بوضوح أنه ليس ثمة شيء أيسر على أن أعرفه، من عقلي أنا».

وإذا بدأنا بالمادة، وسرنا قدماً عبر مستويات الحياة العضوية إلى الإنسان فإن الاتصال أو الترابط المنطقي قد يغرينا بتفسير العقل بأنه مادي. ولكننا لا ندرك المادة إلا عن طريق العقل وحده، والعقل فقط هو الذي يمكن معرفته أو إدراكه مباشرة (دون سلطة) وهنا تبدأ المثالية، لا بمعناها الأخلاقي، بل على أنها فلسفة تبدأ بالحقيقة المباشرة للأفكار، أكثر مما تبدأ بالأشياء التي تعرف عن طريق الأفكار «وليس ثمة تحقيق يمكن اقتراحه أجدى من تحقيق يحاول تحديد طبيعة عما إذا كان «العالم الخارجي» موجوداً إلا كمجرد فكرة».

تركت خلود الغرفة وخرجت للشرفة ومعها الموبايل.

— بس أكيد رحمة هتبقى عارفة، أو ممكن فرحة، أنا أشك إذن أنا موجودة، لازم أوصل لك ياسى روميو، هما ٦ شبان، طب ليه أستبعد مصطفى؟! طب ليه استبعد عبدالحميد كعابيش؟! لازم أوسع دائرة الشك من أجل الوصول للحقيقة.

طلبت فرحة:

— ألو يا فرحة.

— أيوه يا حبيتي، مالك؟! منفعة ليه كدا؟! لسه ولاد الذين بيبيعنوا لك رسايل شتيمة؟

— مش شتيمة بس.

— قصدك إيه؟

قصت عليها ما حدث وأعطتها الأسماء، وعرضت عليها شكوكها.

— انت اتجننت؟! مصطفى أخوى مش بتاع الكلام دا خالص، دا بيخلص وبيجيب من الآخر، والدكتور كعابيش طبعاً مستحيل.

— طبعاً عندك حق، الظاهر دي كارت أثير على تفكيرى، وخالنى أشك فى كل الناس اللي حوالى.

— أما بالنسبة للستة التانيين، مافيش حاجة ضدّهم، لأن أمير الحب دا صديقهم عادى.

— إزاي بقى؟!!

— ما انت عارفة، احنا بنعمل دعاية عن الأسرة فبنقبل أى أصدقاء عشان نكثر العدد، وأغلبهم ما نعرفهمش خارج القيس، عموماً سيبي لى الموضوع وأنا هاتصرف.

شعرت خلود بالراحة، فقررت ألا تتصل برحمة ففرحة تستطيع وحدها حل هذه المشكلة، وعليها هى الآن أن تنتهى من قراءة فلسفة ديكارت الأخلاقية، قبل النشر فى صفحة أسرة أفكار فلسفية.

فلسفة ديكارت الأخلاقية

وهرباً من سجن النفس «الأناة» يلجأ ديكارت إلى الله الذى لا يمكن بالقطع أن يجعل من كل حواسنا مجرد خدعة.

ولكن متى يدخل الله فى هذا المنهج الذى بدأ فى جرأة بالشك فى كل المعتقدات والمبادئ التى تلقاها الإنسان؟

إن ديكارت لا يستطيع إثبات وجود الله من شواهد بديع صنعه فى العالم الخارجى، ولأنه لم يوضح بعد وجود هذا العالم الخارجى.

ولذلك أخرج ديكارت «الله» من «النفس المدركة»، تماماً مثلما فعل آنسيلم فى «البرهان الوجودى» قبل ذلك بستة قرون.

وهو يقول: إن لى تصوراً لكائن كامل مثالى قدير عليم، ضرورى، خالد، ولكن هذا الذى يوجد أقرب إلى الكمال من هذا الذى لم يوجد، وعلى ذلك فإن الكائن الكامل المثالى يجب أن يكون الوجود من بين صفاته. ومن الذى كان يستطيع أن يثبت فى هذه الفكرة إلا الله سبحانه وتعالى؟ «ومن المستحيل أن أحمل فى نفسى فكرة الله، إذا لم يكن الله موجوداً حقاً».

وإذا كان الله يريد أن يخدعنا فلن يكون كاملاً، ومن ثم فإنه لا يضللنا عندما تكون لدينا أفكار واضحة جلية، ولا حين يتيح لحواسنا أن تكشف لنا عن عالم خارجى.

«لست أدرى كيف يمكن الدفاع «عنه سبحانه» أو تبرئته من تهمة الخداع والتضليل إذا كانت هذه الأفكار ناتجة عن أسباب غير متعلقة بأشياء جسدية مادية. ومن ثم يجب أن نقر بأن الأشياء الجسدية المادية موجودة».

ومن ثم تنسد بشكل رائع الهوة بين العقل والمادة، بين الذرات والموضوع ويصبح ديكارت، بعون من الله، واقعياً. والعلم نفسه-إيماننا الراسخ- أكون منطقياً خاضعاً لنظام مطيع للقانون، يمكن التعرف عليه وإحصاء ما فيه-يصبح

أمرًا ممكنًا، لا لشيء إلا لأن الله موجود، وحاشا الله أن يكذب.
وما إن انتهت خلود من قراءة الموضوع، حتى قامت
بالنشر فعلق الدكتور كعابيش.

— أشكر المقرر الثقافي لأسرة أفكار فلسفية خلود الشرقاوى
على هذا الموضوع الهام، وأنا سأرد بنفسى على كل
الاستفسارات، وأزيل أى غموض يخص فلسفة ديكرت،
فجاء رد التعليق من أعضاء الأسرة.

— كل الشكر والتقدير لأستاذنا الدكتور عبدالحميد كعابيش.

ممنوع من الصرف

استيقظ كعابيش فلم يجد أحداً فى البيت، والحائط مازال يحمل نفس الساعة التى تعلن الثامنة صباحاً، فهى اعتادت أن تدق فى هذا الموعد يومياً، وهو اعتاد أن يستيقظ فى هذا الموعد. قام من فراشه عازماً أن يبدأ اليوم فى ترجمة الرواية، فقد حصل على قسطين من الناشر ولم يكتب حرفاً واحداً، والفرصة اليوم لن تعوض، فرحمة قد أخذت والدتها لمول العرب لتشتري لها ملابس جديدة من النقود التى أعطاها لها من الدفعة الثانية التى أرسلها الناشر، والجو مناسب للكتابة.

دخل غرفة مكتبه، وهى تشبه مربعاً كبيراً متساوى الأضلاع، حوائطه تحمل تاريخاً حافلاً بصور والده وهو يحلف اليمين وزيراً للصحة، وصوراً له وهو يتسلم العديد من الجوائز، وصورة أخرى على الجانب الآخر عزيزة على قلبه وهو يناقش الدكتورة، وجلس فى مكانه الذى يحب أن يكتب فيه، فوق المكتب كتب ومجلدات بلغاته الأربعة التى يتقنها، وخلفه مكتبة عامرة بنفائس الكتب.

وقبل أن يفتح أوراق الرواية تبادر إلى ذهنه أن يقرأ الترجمة العربية السابقة، فهو قد قرأ الرواية مرتين، ولكن بالإنجليزية، أخذ الرواية وبدأ يقرأ فأخذته الرواية إلى عالم تمنى أن يعيش فيه ولو ليوم واحد، ولم يرجعه من رحلته إلا أذان صلاة الجمعة، فقام ولبس جلبابه الأبيض وخرج إلى المسجد وصلى، وما إن عاد إلى المنزل حتى دخل مكتبه ليسكن فى رواية جوستاين جاردن التى لم يتركها حتى انتهى من قراءتها سعيداً، مستمتعاً، مقررأً ألا يترجم هذه الرواية لأن ترجمتها الحالية راقية، وهو لن يقدم أجمل مما قدمه المترجم السابق.

— ألو مساء الخير يا أستاذ فاروق.

— مساء النور يادكتور.

— ياريت تبليغ الناشر فى النرويج اعتذارى، ونصيحتى.

— خير، إيه اللى حصل يادكتور كعابيش، حد زعلك؟

— لأ، أبدأ، الرواية جميلة جداً، وأنا بانصحكم إنكم تتعاقدوا مع نفس المترجم وتنشروها زى ماهى كدا، وأنا مستعد أرجع القسطين، ٤٠٠٠ دولار.

— عموماً، أنا هابلغهم، وأرد على حضرتك.

أراح كعابيش ضميره، وفعل مايعتقد أنه صحيح، ولكن عليه الآن تحضير المبلغ.

خرج كما هو بملابس الصلاة وذهب إلى الصرافة، في الشارع الذى يسكن فيه :

— مساء الخير يا أستاذ طه.

— مساء الخير يا دكتور.

— عاوز ٤٠٠٠ دولار.

— ربنا يتقبل إن شاء الله، حج ولا عمرة؟

— ولا حج ولا عمرة، دا دين علىّ كنت أخذته بالدولار ولازم أرجعه بالدولار.

— الموضوع دا صعب جدا يادكتور، لازم يكون معاك تأشيرة، وجواز سفر عشان تاخذ الدولارات من البنك.

قال متعجبا من رده :

— أنا مش عاوز من البنك ، أنا عاوز من عندك هنا، فى الصرافة، أقول لك؟ رجع لى ال ٢٠٠٠ دولار اللى ادبتهم لك أول أمبارح ب ١٢ جنيه.

— دا كلام يادكتور؟! احنا بنشترى الدولار بس.

— يعنى إيه ما عنديش دولارات، أمال صرافة إزاي؟!

غضب كعابيش، وقرر أن ينتظر إلى يوم الأحد ليذهب إلى البنك ويحاول الحصول على المبلغ.

- ألو، انت فين ياماما، الساعة بقت ستة؟!!
- رحمة هلكتنى، مش عاجبها أى حاجة، ضيعنا اليوم على الفاضى - احنا راجعين يا عبد الحميد فى الطريق يا حبيبى.
- تيجوا بالسلامة.

أخذت رحمة الموبايل من والدتها.

- شكلك مش مسامح فى الفلوس دى يا أبية، مش لاقية حاجة خالص، والفلوس محجرة، مش عاوزة تتصرف.
- إيه اللي وداك فى آخر الدنيا؟! المهندسين مليانة محلات، وأرخص من مول العرب دا.
- احنا جايين فى الطريق، أهو، أوعى تتغدى من غيرنا يا عبد.
- طب بسرعة يارحمة، مع السلامة.

عاد كعابيش إلى مكتبه، وبدأ يكتب عن شخصية الأسبوع فى أسرة أفكار فلسفية، فقد تفرغ للأسرة بعد اعتذره عن ترجمة رواية جوستاين جارد.

أعظم فلاسفة العصر الحديث

ولد إمانويل كانط فى كونيغزبرج (٢٢ أبريل ١٧٢٤) النائبة عن فرنسا، المولعة بالوضوح والمعتمة بضباب البحر، وقد برز فى المجالات التالية : فيزياء فلكية، رياضيات، جغرافية، علم الإنسان.

وهو أحد أكثر المفكرين المؤثرين في المجتمع الغربي والأوروبي الحديث، والفيلسوف الرئيسي الأخير لعصر التنوير.

عرّف كانط التنوير على أنه عصر تشكل تحت شعار «الجرأة من أجل المعرفة» مما نمى نمطاً من التفكير الداخلي خالياً من قواعد السلطة الخارجية.

كان لكانط تأثير حاسم على الرومانسية والمثالية فلسفات القرن التاسع عشر... كما شكل عمله نقطة بداية لفلاسفة القرن العشرين.

وقد نشأت الأسرة كلها على مذهب التقويين، الذي كان كالمثودية الإنجليزية يشدد على الإيمان والتوبة والالتجاء رأساً إلى الله، بعكس العبادة اللوثرية التقليدية في الكنيسة بقسيس وسيط.

الفيلسوف والموقف من السياسة

كانط هو أحد رموز التنوير الكبار، وفي عصر الملك فردريك الثاني (١٧٤٠ - ٦٨٧١) ازدهرت أفكار التنوير، وأثرت الفلسفة الكانطية في أوساط المفكرين والأدباء وبعض الأوساط في إدارة الدولة، لأن هذا الملك كان مشجعاً للعلم والثقافة وحرية الرأي.

ولكن عندما تولى فردريك فلهم الثاني، العرش في برلين (١٧٨٦ - ٧٩٧١) بدأت حملة ضد التنوير وحرية

الفكر، وانتشرت الرقابة فى أرجاء المملكة، وكان كانط أبرز من استهدفتهم هذه الحملة، وصدر مرسوم ملكى يمنعه من الاستمرار فى الكتابة والنشر (١٧٩١)، لكنه لم يتوقف عن الكتابة ووصل الأمر بالناشرين إلى رفع التماس إلى الملك. ولما نشر كانط كتابه «الدين فى حدود العقل فقط» سنة ١٧٩٣ صدر قرار من مجلس الوزراء مخاطبا الفيلسوف «إنك لا بد تدرك كم أنت مسؤول بوصفك معلماً للشباب وأمام واجباتنا وأغراضنا الوطنية المعروفة جدا.»

الموبايل يرن.

— ألو، مساء الخير يادكتور.

— مساء النور ياخلود.

— أنا آسفة حضرتك، بس الرسايل زادت، والاتهامات زادت، والأعضاء بيقولوا إن احنا فى وادى، والناس فى وادى.

— لا، أبدا، احنا مع الناس وبنحرضهم على التفكير، لو تعرفى أنا باكتب إيه دى الوقت للنشر فى أسرة أفكار فلسفية.

— إيه يادكتور؟

— كانط، احنا دورنا نخليهم يفكروا، أنا هابعت لك الموضوع بعد ما يخلص، وهتعرفى إن أفكار كانط كان ليها دور كبير فى الثورة الفرنسية، الأفكار ياخلود هى اللى ممكن تحل مشاكلنا كلها.

- وحضرتك قدامك قد إيه؟
- نص ساعة بالكثير.
- طيب ممكن استأذن حضرتك أنشر على طول، وبعدين
أقرا مع الأعضاء؟
- لا طبعا، لازم تقرى الأول وبعدين تنشرى.
- حاضر، بس كان عندى مشوار.
- خمس دقائق قراءة مش كتير ياخلود.
- تمام يادكتور.
- عاد كعابيش للكتابة :

كانط والثورة الفرنسية

بدأت الثورة الفرنسية (١٧٨٩) و كانط فى أوجه الفلسفى ، وكان موقفه منها معبراً عن حقيقة تقييمه للأحداث السياسية فى عصره ، واشتد حماسه لها قناعة بمبادئها (الحرية والإخاء والمساواة) رغم أن حماسه قد فتر مع التحولات الدموية التى جرّت الثورة نفسها إليها وراحت تأكل بنيها. إلا أن كانط بقى وفيّاً للقيم ، كان مؤمناً بها مع فلاسفة الثورة فولتير وروسو وديدرو ، وكان متواصلاً معهم بشكل كبير.

كتب كانط عن الثورة الفرنسية يقول : «مثل هذه الظاهرة لا يمكن أن تنسى ، إذ هى كشفت فى الطبيعة الإنسانية عن

استعداد للعمل لما هو أفضل، لأن هذا الحادث هو من العظمة ومن الارتباط الوثيق بمصالح الإنسانية ومن سعة التأثير في العالم بكل أجزائه، إلى حد أنه ينبغي أن تذكر به الشعوب في الظروف المناسبة، وعند المحاولات الجديدة من هذا النوع».

نهاية الرحلة واستمرار الفلسفة

في ٨ أكتوبر ١٨٠٣ أصابت كانط نوبة قلبية فلازم الفراش طيلة أربعة أيام ثم نهض وكان يتناول الطعام مع زائريه، لكن قوته بدأت تتلاشى، وفي الساعة العاشرة من صباح ١٢ فبراير ١٨٠٤ سمعه أحد تلامذته يهمس بآخر كلماته «حسن» وأغمض عينيه.

يقول مرافقه: «كان موته توقفا للحياة، لا فعلاً عنيفاً للطبيعة» وودعت مدينة وجامعة كونيغسبرغ فيلسوفها في مأتم مهيب، ودفن في «قبو الأساتذة» في مقبرة الجامعة دون أية مراسم دينية، وبعد أن نقل رفاته مراراً بسبب تقلب الأحوال، أنشئ له ضريح في سنة ١٩٢٤ بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاده ونقشت عليه العبارة الشهيرة من خاتمة كتابه «نقد العقل العملي»: «شيئان يملآن الوجدان بإجلال وإعجاب يتجددان ويزدادان على الدوام كلما أمعن التأمل فيهما: السماء ذات النجوم من فوقى والقانون الأخلاقي في صدري».

يقول ديورانت عن كانط «هذا الفيلسوف الضئيل الحجم الذى لم يتجاوز الخمسة أقدام فى طوله، والذى امتاز بالاعتدال والانطواء على نفسه، كان يحمل فى رأسه أعظم ثورة فى الفلسفة الحديثة».

فيما يصفه عبدالرحمن بدوى فى موسوعة الفلاسفة بـ«أعظم فلاسفة العصر الحديث».

وما إن انتهى من كعابيش الكتابة حتى أرسل الرسالة.

الفاضلة خلود..

المقرر الثقافى لأسرة أفكار فلسفية، تحية طيبة وبعد.

«إن الفكرة هى النور الذى يقهر الظلام، ويفتح أبواباً جديدة للخروج من الأزمات، فعندما يفكر الناس بطريقة صحيحة تحل أزمة الدولار فتنخفض الأسعار ويحدث الانفراج السياسى فنستمتع بأجمل ثلاثية فى الكون وهى.. الحرية والإخاء والمساواة».

تلقت خلود الرسالة وقرأتها، وعرفت وقتئذ أن الحل لكل المشكلات هو الفكر الصحيح الذى يعطى حلاً لكل المشاكل، وقبل أن تنشر الموضوع كتبت نص الرسالة التى جاءتها من الدكتور.

التصنيع الشامل

شكر الناشر الدكتور كعابيش على رأيه ، و ثمن موقفه النبيل ، ووعده بأن يعمل بنصيحته ويتعاقد مع مترجمة عالم صوفى ، حياة الحويك عطية ، وينشر الرواية العربية كما هى ، وكما نشرها الناشر السابق ، فالترجمة الجديدة التى سيقوم بها لن تصل بأى حال من الأحوال إلى ماوصلت إليه الترجمة السابقة من رقى وروعة وإبداع ، فأصبح لزاماً عليه رد العربون فى أقرب فرصة .

بدأت رحلته فى البحث عن ٤٠٠٠ دولار بعدما رفض الناشر قبول مايعادل المبلغ بالجنيه المصرى .

اتجه كعابيش لبنكه فقابل المدير الذى أقسم له أنه كان يريد مساعدته لكنه لا يستطيع أبداً ، فالتعليمات لديه واضحة ، ولن يستطيع إخراج دولار واحد من البنك إلا على جواز سفر ، وعليه تأشيرة للحج أو العمرة فى الوقت الحالى .

— إزاي بنك مافيهوش دولارات؟! أمال سوق حرة إزاي واستثمار إيه؟! ومين مغفل بيجى يستثمر فلوسه فى

بلد مش قادرة توفر له دولارات يستورد بيها معداته
وخاماته؟!؟

— طب احنا نعمل إيه يادكتور؟! التآمر على البلد من
الخارج، بيغروا ابناؤنا ويدوهم أعلى سعر للدولار.

— ودا يبقى تآمر ولا منافسة؟! وشطارة منهم وخيبة مننا،
يعنى حضرتك عاوز تفهمنى إن اللى بيشتري الدولار
ب ١٤ جنيه دا بيخسر، مستحيل طبعاً، المفروض أن
الدولة تنوع مصادر حصولها على العملات الصعبة،
خاصة الدولار.

— زى إيه يادكتور؟

— زى التصنيع الشامل، زى ما عملت كل الدول، ماليزيا
والصين، صنع سلع متنوعة وكثيرة وهامة وصدرها لدول
تحتاجها وافتح أسواق خارجية هتكون مصدر أساسى
لتوفير العملة ويكون فى إيدك انت، لكن اعتمادك على
تحويلات العاملين فى الخارج لا يمكن السيطرة عليه.

— ياريت المسؤولين يفهموا الكلام دا، طب ما تبعت
اقتراحات سيادتك دى للحكومة.

— احنا للأسف عندنا ناس طبيين بينفذوا الأوامر بس،
أما اللى يفهموا فدول مغضوب عليهم وممنوعين من
الكلام، عموماً أشكرك.

أخذ سيارته وطاف بكل مكاتب الصرافة فى المهندسين والدقى ، فوجد نصفها قد أغلق وسحبت رخصته ، والنصف الثانى لايعمل فى الدولار لا بيعاً ولا شراءً ، فعاد للبيت ، أوقف سيارته وطلب من عم سعيد البواب أن يغسل السيارة ، ثم يرسل إليه المفتاح .

— السلام عليكم يادكتور ، أنا خليت العربية زى الفل ، جوة وبرة .

— شكرا يا عم سعيد .

وهو يعطيه عشرة جنيهات .

— خلى يادكتور ، خيرك سابق ، أنا سمعت إن حضرتك كنت عاوز دولارات .

تغير وجه الدكتور كعابيش .

— وانت إيه عرفك يا عم سعيد؟!

— الحاج عبدالسلام صاحب مكتب الصرافة اللى جنبنا .

— قال لك إيه؟!

— قال لى إن حضرتك كنت عاوز ٤٠٠٠ دولار ، وهو اتخرج من حضرتك ، لأنك صاحب فضل ، ووالدك سيادة الوزير الله يرحمه كان حبيب الكل .

— ماعليهش يا عم سعيد الراجل ما عندوش، وما فيهاش حاجة.

— لا يادكتور عنده، بس اتحرج يقول لك ب ١٥ جنيه
فحضرتك تزعل، وتفتكر إنه بيستغل الظروف.

— طب هو ما قليش كدا ليه؟

— ماهو قال لى إنه عاوز يساعد حضرتك بس خايف على
زعلك، خاصة إن التليفزيون ليل ونهار بيقول إنه ب ٩ جنيه.

— لا، انا عارف إنه أكثر من كدا طبعا، بس ما توقعتش
إنه يوصل للمبلغ دا، عموما شكرا يا عم سعيد، وأنا لما
اعوز أغير هابلغك، تصبح على خير.

— وحضرتك من أهله.

بدأ كعابيش يحسب خسائره، فالدفتان فيهما خسارة
كبيرة ال ٢٠٠٠ الأولى غيرها ب ١٨٠٠٠ جنيه وال ٢٠٠٠ الثانية
غيرها ب ٢٤٠٠٠ فهو لم يحصل الا على ٤٢٠٠٠ فكيف يدفع
٦٠٠٠٠ ألف جنيه للحصول على ٤٠٠٠ دولار لردها إلى الناشر.

— ألو، أيوه يا عم سعيد، قول للراجل بتاع الصرافة إنى
جاهز، ولو يحب؟ أروح له بكرة الصبح الساعة ١١ إن
شاء الله.

— لا يادكتور انت ماترووحش، وتعرض نفسك للخطر.

— خطر؟ خطر إيه؟!

— تجارة العملة، دى قضية.

— قضية إزاي؟ يعنى هيلغوا الصرافة؟! ولا يسيبوها ويقبضوا على اللي يروح يشتري أو يبيع، طب والعمل ياعم سعيد؟

— انا هاخليه ييجى لحضرتك البيت ويجيب لك الدولارات لحد عندك.

— أشكرك ياعم سعيد، تمام كدا.

شعر كعابيش بالراحة رغم خسارته ١٨٠٠٠ ألف جنيه دون ذنب إلا أنه يخضع لسياسات نقدية فاشلة، تمارسها الحكومة الغبية، ويعانى منها الشعب الذى لا حول له ولا قوة. دخل المطبخ و صب كوباً من الشاي كى يستعد لكتابة شخصية فلسفية جديدة لأسرة أفكار فلسفية.

الفكرة المطلقة

الموبايل يرن.

— ألو... مساء الخير يادكتور.

— ألو، مساء النور يافرحة.

— سمعت قناة الجزيرة يادكتور؟

— لأ، أنا باشتغل، هافتح حالاً، هو فيه إيه؟

— خالد على - المحامى الحقوى - والمجموعة اللي معاه
كسبوا قضية تيران وصنافير.

— غريبة قوى، فرحة بنتكلم فى السياسة !!

— لأ يادكتور، بس الموضوع دا بالذات له ذكرى معايا،
اتفصلت بسببه من أسرة صوت الجامعة، وكنت هاترفد
من الكلية كلها عشان قلت إنها مصرية وعملت دعوة
للقيام برحلة لتيران وصنافير.

قال ضاحكاً :

— رحلة؟! لإيه يابنتى؟! دى صحرا، مافيهاش غير نقطة شرطة واحدة، وعساكر مصريين غلابة مغضوب عليهم، فرموهم فى الحتة المقطوعة دى، وبنبعت لهم الأكل والشرب من سينا، دا انت كان لازم يحكموا عليكِ بالإعدام مش يفصلوكِ من الأسرة بس.

— أول مرة أشوف حضرتك بتتكلم فى السياسة.

— الأيام اللى جاية دى لازم كلنا نتكلم فى السياسة عشان احنا لو سيبناها هى عمرها ماتسيبنا، هم اعتبروا فكرة الرحلة دى استفزاز للحكومة اللى بتحارب عشان تثبت ان الجزيرتين سعوديتين ودا غريب جدا وضد المنطق.

— يعنى إيه يادكتور إن السياسة لوسيبناها عمرها ما هتسيبنا؟!!

— أنا خسرت ١٨٠٠٠ جنيه عشان سياسة نقدية فاشلة، بيقوم بيها وزير فاشل، بدون رقابة شعبية ولا إعلامية ولا مجتمع مدنى.

— حضرتك كدا دخلت فى الغميق، ربنا يستر.

— ربنا يستر.

وبعد أن أنهى مكالمته مع فرحة عاد إلى هيجل.

جورج قلهلم فريدرش هيجل : ٢٧ أغسطس ١٧٧٠،

١٤ نوفمبر ١٨٣١

فيلسوف ألماني، يعتبر أحد أكثر الفلاسفة الألمان تأثيراً في المذاهب الفلسفية الحديثة. جادل هيجل في المقولة التي تفيد بأنه لكي نفهم أى ثقافة من الثقافات الإنسانية، يجب أن نعيد تتبع وفهم تاريخها.

وقد ركز هيجل كثيراً على أهمية الفهم التاريخي لتطوير الدراسة التاريخية للفلسفة، والفن، والدين، والعلم، والسياسة. وانتشر المنهج التاريخي للثقافة الإنسانية الذي أشاعه هيجل حتى خارج حدود ألمانيا.

جدل هيجل

طور هيجل نظرية في التاريخ أصبحت معروفة بالجدلية الهيجلية. وقد اعتقد هيجل أن لكل التطورات التاريخية ثلاث خواص رئيسية:

أولاً: أنها تتبع مساراً حتمياً، أى لا تكون قد اتخذت أى مسار آخر، ولفهم التطور التاريخي فى أى منطقة من فكر أو نشاط الإنسان، يجب أن نرى لماذا حدثت بالضرورة كما هي.

ثانياً: لا يمثل كل تطور تاريخي تغييراً فقط بل تقدماً أيضاً.

ثالثاً: ناقش هيجل بأن أى طور من أطوار التطور التاريخي يميل إلى أن يواجه ويستبدل بنقيضه ويميل هذا النقيض، بدوره، إلى الاستبدال بطور يكون حلاً بطريقة ما لمرحلتين متعارضتين.

سميت هذه الأطوار الثلاثة للتطور الجدلى التقليدى ، فى العادة، الفرضية والنقيض والجمع بينهما.

إلا أن هيجل لم يستخدم هذه الاصطلاحات.

طبق هيجل نظريته فى الجدل على كل مظاهر الحياة البشرية. مثال ذلك أنه قال: «إن المحاولة لتحقيق الإشباع من خلال ممارسة القوة والملكية الخارجية تميل إلى أن تُرْفَضَ فى مقابل محاولة تحقيق حالة توافق وهدوء داخليتين. هذا التعارض بين نشاط خارجى وحالة عدم نشاط داخلى للعقل يمكن أن يُحَلَّ عن طريق بُزوغ النشاط الخارجى للفرد من حالة داخلية موافقة. أو إذا طرحنا مثلاً سياسياً؛ تميل الفترة المحددة بتركيز القوة السياسية فى يد شخص واحد إلى أن تتبعها مرحلة تُوزَع فيها القوة توزيعاً واسعاً. ويمكن حل هذا التعارض، بمرحلة يتم فيها بعض التوزيع وبعض التركيز للقوة. لهذا، يمكن أن تُستبدل الملكية المطلقة بديمقراطية مطلقة، وبدورها تُستبدل الديمقراطية المطلقة بصيغة مماثلة للحكومة».

قام كعابيش، ودخل المطبخ كى يصب كوباً من الشاي يساعده على التركيز، فيبدو أن شيئاً عميقاً يقتحم قلبه وروحه، ولكنه لا يستطيع أن يعرفه أو يفهمه، فلم يعره اهتماماً عله يرحل من روحه وعقله.

— ألو... إزيك ياخلود.

- إزى حضرتك يادكتور؟
- أنا قربت أخلص هيجل، انت عارفه مين كلمنى دى الوقت؟
- مين؟
- فرحة، تصورى؟! فرحانة قوى بموضوع قضية تيران وصنافير.
- وإيه اللي يفرح، دى حاجة تغم؟!
- إزاي ياخلود، لما تبقى مصرية تبقى حاجة تغم؟!
- لما الحكومة تستأنف الحكم اللي جاى فى صالحها، فى سابقة غريبة لم يشهدها القضاء فى العالم، يبقى حاجة تغم، لما الناس يطلعوا فى البرامج التلفزيونية، يرفعوا أعلام السعودية، وينكسوا أعلام وطنهم، تبقى حاجة تغم، لما مالك عدلى يتحبس عشان بيقول إنها مصرية يبقى ظلم. عندك حق، بس معقولة يبقى عندنا واحدة بذكائك وجمالك ووطنيتك وثقافتك، ونقلق على مصر؟
- الله يخليك يادكتور، أسيبك على خير، سلام.
- سلام ياخلود.

وعاد كعابيش مرة أخرى لهيجل :

أظهرت الفلسفة الحديثة، والثقافة، والمجتمع فى نظر

هيجل عناصر مشحونة بالتناقضات والتوترات، كما هي الحال بالنسبة للتناقضات بين الموضوع وجسم المعرفة، بين العقل والطبيعة، بين الذات والآخر، بين الحرية والسلطة، بين المعرفة والإيمان، وأخيراً بين التنوير والرومانسية.

كان مشروع هيجل الرئيسي الفلسفى يأخذ هذه التناقضات والتوترات ويضعها فى سياق وحدة عقلانية شاملة، موجودة فى سياقات مختلفة، دعاها «الفكرة المطلقة» أو «المعرفة المطلقة». طبقاً لهيجل، الخاصية الرئيسية فى هذه الوحدة أنها تتطور وتتبدى على شكل تناقضات وإنكارات.

تولد التناقض والإنكار لهما طبيعة حركية فى كل مجال من مجالات الحقيقة - الوعى، التاريخ، الفلسفة، الفن، الطبيعة، المجتمع - وهذه الجدلية تؤدى إلى تطوير أعمق حتى الوصول إلى وحدة عقلانية تتضمن تلك التناقضات كمراحل وأجزاء ثانوية ضمن كل تطورى أشمل. هذا الكل عقلى لأن العقل وحده هو القادر على تفهم كل هذه المراحل والأجزاء الثانوية كخطوات فى عملية الإدراك. وهو عقلانى أيضاً لأن النظام التطورى المنطقى الكامن يقبع فى أساس و جوهر كل نطافات الواقع والوجود وهو ما يشكل نظام التفكير العقلانى.

تقوم فلسفة هيجل المثالية على اعتبار أن الوعى سابق للمادة، بينما تقوم النظرية الماركسية على اعتبار أن المادة سابقة للوعى، على اعتبار أن المادة هى من تحدد مدارك

الوعى، و بالتالى يتطور الوعى بتطور المادة المحيطة
بالإنسان، كان ماركس أحد رواد حلقات عصابة الهيجليين،
ثم انشق عنها مؤلفا فلسفته الخاصة به.

لا تستطيع النظرية الماركسية بماديتها تفسير كل ما
يدركه الوعى، لأنها تفترض -على المطلق - بأن الوعى هو
انعكاس كامل عن المادة، و لكن إذا سألنا أنفسنا عن ماهية
المادة التى أعطت الوعى بعض المفاهيم المثالية كالحق و
العدالة و الرحمة فإنه لن تكون هناك أية مواد مزودة للوعى
الإنسانى لتلك المفاهيم، هناك حقائق مطلقة فى هذا الكون
كما أسماها هيجل على المجاز يعمل العقل البشرى بكل
من المادة و الوعى ضمن علاقة مركبة بينهما على اكتشاف
تلك الحقائق و النواميس التى تجتاز فى حقيقتها وماهيتها
حدود المادة القاصرة نفسها على تفسير مثل تلك الظواهر إذا
ما حاولنا فهمها بمادية مجردة، قد يمتد هذا الفهم إلى
الميتافيزيق نفسه وهو ما أنكره ماركس تحت مسمى (الدين
أفيون الشعوب و زفرة العقول البائسة).

وفاته

مات هيجل بمرض الكوليرا عام ١٨٣١، أما كتبه عن
الجماليات وفلسفة الدين وفلسفة التاريخ فلم تنشر إلا بعد موته.
فور انتهائه من كتابة هيجل كشخصية فلسفية جديدة
أرسلها للنشر فى أسرة أفكار فلسفية.

الجميلة خلود.

المقرر الثقافى لأسرة أفكار فلسفية.

أرجو أن تتفضلى بنشر تنويه هام جداً بعد نشر الموضوع كالاتى.

هام جدا..

الشخصية الفلسفية القادمة هي كارل ماركس، وهو آخر الشخصيات الغربية التى سنتناولها فى أسرة أفكار فلسفية وبعدها سنبدأ بالفلاسفة العرب والمسلمين.

رحبت خلود بهذه الخطوة الهامة التى تلبى رغبات معظم أعضاء أسرة أفكار فلسفية، ونشرت ما أرسله الدكتور كعابيش، ولكن استوقفتها كلمة واحدة فهو أول مرة يقول: الجميلة خلود، فقد كان دائماً يقول الفاضلة، هل كانت عفوية، أم كان يريد أن يقول لى إننى جميلة فى عينيه؟

رأسمالية المحاسيب

استيقظت خلود كى تشرب على غير عاداتها، فالساعة الثالثة بعد منتصف الليل، دخلت المطبخ وأثناء مرورها عائدة لغرفتها سمعت حديث أمها الغاضبة، وهى تهدد والدها بأنها ستترك البيت إذا وافق هو على هذه الزيجة، لم تفهم أى زيجة، ولم تعرف أى تفاصيل، فذهبت إلى فراشها لتنام، وقالت: لعل هذا الموضوع خاص بعمر وأخيها.

وفى الصباح، راح الأب ينظر لابنته متردداً:

— بابا، هو حضرتك عاوز تكلمنى فى حاجة؟

— بصى يابنتى، احنا أصلاً ناس صعايدة، ومهما عشنا فى مصر مش ممكن نغير عوايدنا.

— تمام.

— ومن عوايدنا إن البنات بنتجوز بدرى، وانت جاى لك عريس، دكتور.

— دكتور كعابيش؟! عبدالحميد كعابيش!؟

— كعابيش إيه يابنتى؟! دكتور صلاح ابن عمك، وعاوز ياخذك معاه أمريكا، وتكلمى تعليمك هناك، وأنا موافق، وأمك مش موافقة.

— وأنا يا بابا مش موافقة، لازم أكمل دراستى هنا.

— مع الدكتور كعابيش؟! هو فاتحك فى حاجة يابنتى؟
قولى لى احنا مابنخبش حاجة عن بعض.

— لا بابا مافيش حاجة أصلاً، دى زلة لسان، لأن كلمة دكتور أنا مابقولهاش إلا للدكتور كعابيش، ولما حضرتك قلت دكتور فمن البديهى إنى أكمل الجملة باللى أنا متعودة عليه.

— اتغيرت قوى ياخلود، و كبرت يابنتى، الكتب والقراية كبروك قوى.

— ودى حاجة حلوة ولا حاجة وحشة بابابا؟

— لأ يابنتى حاجة حلوة، أنا فخور بيك، ربنا يوفقك.

دخلت خلود غرفتها، وبدأت تقرأ ما كتبه الدكتور كعابيش عن ماركس.

كارل ماركس ٥ مايو ١٨١٨ إلى ١٤ مارس ١٨٨٣ فيلسوف ألماني، سياسي، ومنظر اجتماعي، قام بتأليف العديد من المؤلفات إلا أن نظريته المتعلقة بالرأسمالية وتعارضها مع مبدأ أجور العمال هو ما أكسبه شهرة عالمية.

شكّل وقدم مع صديقه فردريك إنكلز ما يدعى اليوم بالاشتراكية العلمية (الشيوعية المعاصرة) ، ويعتبر أحد الشخصيات المفكرة الأكثر تأثيراً على مر العصور.

ماركس كان قد ولد في «تريير Trier» ، والتحق بجامعة بون عام ١٨٣٣ لدراسة القانون، وأظهر اهتماماً بالفلسفة رغم معارضة والده الذى أراد لماركس أن يصبح محامياً، وقام ماركس بتقديم رسالة الدكتوراة فى الفلسفة عام ١٨٤٠ وحاز على شهادة الدكتوراة.

وصفه أحد أصدقائه بأنه عريض المنكبين، واسع الجبهة، كثيف الشعر، وداكن إلى حد الزرقة، كان حيويًا نشيطاً لا يهدأ له بال، لا ينام إلا أربع ساعات فى النهار. دخل والدها الغرفة، وفاجأها بدون مقدمات قائلاً:

- لو كنت مكسوفة أو خائفة، اتطمنى يابنتى.
- أخاف من إيه بس يا حبيبي؟!
- هو الدكتور كعابيش فاتحك فى حاجة؟
- لأ أبداً، أنا زى ماقلت لك كدا، زلة لسان.
- بس زلات اللسان يا بنتى بتعبر عن اللي جوانا.
- يمكن يابابا، بس والله لو كلمنى فى أى حاجة لأقول لك فى نفس الوقت على طول.

- افهم من كذا إن انت مستنياه، وعاوزاه يفتح الموضوع.
- يابابا ياحبيبي أنا لسه فى سنة أولى.
- خلى بالك ياخلود، أبوك أبو جلابية دا، اللى بيصور ورق للناس، كان مدير قطاع، مهندس كبير يعنى.
- طبعا عارفة ياحبيبي، وفخورة بإنى بنت المهندس محمد الشرقاوى مدير قطاع الإنتاج فى شركة إن إى سى لإنتاج التليفزيون.
- ولولا الحرامية اللى باعوا الشركة وأخضعوها لبرنامج الخصخصة - مع إن اسمها كان غير وارد فى الشركات الخسرانة - كان زمانى رئيس مجلس إدارة.
- انت عندنا أهم من رئيس الجمهورية ياحبيبي... هى دى الرأسمالية المتوحشة اللى بتدوس كل شئ قدامها، وعمرها ما بتراعى الأبعاد الاجتماعية لأى قرار.
- دى رأسمالية المحاسيب يابنتى، ببييعوا المصانع لبعض، وبيقسموا التركة على بعض، وعمر الرأسمالية ماكانت كذا.
- على فكرة يابابا، أنا باقرا الموضوع اللى باعته الدكتور كعابيش عن كارل ماركس وفيه نقد للرأسمالية.
- أخذ والدها اللاب توب، وأخذ يقرأ بصوت عالٍ:
- «قد تبنى ماركس منظورا دينامياً وصراعياً للرأسمالية، ومنها:

نظرية الاستغلال وفائض القيمة

يبدو العالم الحديث كتراكم للبضائع ، وتأتى قيمة هذه البضائع من العمل الإنسانى الذى هو متضمن فى البضاعة ، إن العمل بدوره بضاعة تمتلك سمة خاصة : فهو ينتج قيمة أعلى من ثمن شرائه .

وبالفعل ؛ فالرأسمالية لا تشتري كل العمل المبذول من طرف البروليتارى ، ولكنها لا تؤدى له إلا ثمن قوة عمله (ما يكفيه للعيش) ، والفارق القيمى فيما بين قوة العمل والعمل المنجز يشكل فائض القيمة الذى هو منبع الرأسمال . إن الرأسمال يخلق ذاته ويعيد خلقها باستمرار داخل علاقة الاستغلال الاجتماعية هذه .

قوانين تطور الرأسمالية

تقود المنافسة الرأسمالية لمراكمة رأس المال ؛ أى إلى استثمار جزء من الربح فى تحسين أدواته الإنتاجية . ومن قانون التراكم هذا استنتج ماركس عدة اتجاهات للتطور :
اتجاه أكثر فأكثر تعاضماً نحو ميكنة الإنتاج :

تمركز رأس المال ناجم عن نمو كل مقابلة على حدة وتمركز المقاولات فى أيدي حفنة قليلة العدد من أقوى الرأسماليين ؛ تزايد البطالة والانخفاض النسبى للأجور الذى تصوره ماركس كعاقبة للتراكم ، فالآلات التى تنحو نحو

تعويض البشر والمشكلة بذلك ل«جيش صناعى احتياطى» ينزع حضوره نحو ممارسة ضغط يودى إلى تخفيض الأجر. ويبدو هذا التفجير المتعاطم ك«قانون عام للاقتصاد الرأسمالى»؛ قانون الانخفاض النزوعى لمعدلات الربح يتأتى من تزايد الرأسمال الثابت (الآلات) مقارنة بالرأسمال المتغير (الأجر)؛ الربح (فائض القيمة) المتأتى فقط من العمل الإنسانى (حسب نظرية القيمة العمل)؛ الانخفاض النسبى لعدد المأجورين مقارنة بالآلات يقود نحو انخفاض معدل الربح. غير أن التفجير يقود نحو ثورة الجماهير؛ فهنا يفرد المنطق الاقتصادى مكانا لمنطق اجتماعى : يتمثل فى ثورة المقموعين ضد النظام. ميكانيزم الأزمات. ليست هناك لدى ماركس نظرية ناجزة ومكتملة بخصوص الأزمات. الاستغلال وتمركز رأس المال الثابت (الآلات) يقودان نحو تعاطم لا ينتهى لقدرات الإنتاج على حساب إمكانيات الاستهلاك (عبر المداخيل الموزعة)، ومن ثم أزمات فيض الإنتاج التى لا تنى تحدث والتى تسم الرأسمالية بشكل دورى.

وقد اعتقد ماركس أن هذه الأزمات من شأنها أن تتفاقم عبر الزمن حتى تصبح أزمات لا تطاق».

تركها والدها، فقامت خلود، ودخلت الشرفة لتلتقط أنفاسها وتستمتع ببعض النسيم.

— مادام قال فى رسالته «الجميلة» خلود يبقى شايفنى جميلة فى نظره، أكيد حس بيّ، مع إن أنا متأكدة من تصرفاتى وحرصى، بس هو حس عشان هو قلبه كبير وإحساسه راقى وكبير كبير قوى، فكر وثقافة وعقل، يطمئن أى ست فى الدنيا ويحتويها.

ثم تراجععت عن هذا الاندفاع غير المبرر قائلة بلاش أبنى آمال فى الخيال، ممكن تكون زلة قلم، خلىنى مع ماركس أحسن، وعادت الى ماركس.

المادية التاريخية

أولوية الإنتاج

إن أساس المجتمع يقيم فى الإنتاج؛ فى العمل الذى ينتج الإنسان من خلاله ذاته وينتج المجتمع. إن وسائل الإنتاج المسماة «القوى المنتجة» والعلاقات التى تنشأ حول العمل «علاقات الإنتاج» يشكلان «عالم الإنتاج» الخاص بكل مجتمع، ولقد تعاقبت خلال التاريخ عديد من أنماط الإنتاج (القديمة، الآسيوية، الإقطاعية، الرأسمالية).

البنية الاقتصادية التحتية والبنىات الفوقية: إن البنيات الفوقية السياسية، القانونية والأيدولوجية تنبنى على قاعدة الإنتاج. إذن يجب الانطلاق من القاعدة الاقتصادية لفهم تطور مجتمع معطى.

تقسيم الشغل وصراع الطبقات

يؤدى تقسيم الشغل أيضا إلى انفصال الناس عن بعضهم ، وإلى تكون الطبقات وصراعها. إن صراع الطبقات الاجتماعية المتعادية والمتصارعة من أجل السيطرة على الإنتاج هو محرك التاريخ فى إطار النظام الرأسمالى.

سوسيولوجيا الطبقات والدولة

نظرية الطبقات الاجتماعية

غالبا ما اعتبر أن البيان الشيوعى الذى يصرح فيه ماركس بأنه لا توجد إلا طبقتان أساسيتان متعارضاً مع «صراع الطبقات فى فرنسا» الذى يصف فيه سبع طبقات وشرائح من الطبقات المختلفة.

وبالفعل ليس هناك تناقض ؛ فلم تكن لهذين التأويلين نفس الوضعية ؛ فما كان يشغل بال ماركس فى البيان (وعلىنا أن لا ننسى أنه نص دعائى) كان هو تحليل الصراع الذى يضع فى المجتمع الرأسمالى طبقتين أساسيتين متواجهتين (حاملتين لمشروع تاريخى) : البورجوازية والبروليتاريا.

ويجب أن يؤدى هذا الصراع إلى الثورة إذا ما عرف العمال كيف يتنظمون فى حزب يمكن من الإطاحة بالمجتمع البورجوازى.

إن «صراع الطبقات فى فرنسا» يريد أن يكون تحليلاً أمبريقيا لحركة تاريخية خاصة، وماركس يصف بدقة شرائح طبقية وروابطها وكيف تنتظم حول طبقتين أساسيتين.

يجب إذن أن نميز عند استعمال مفهوم الطبقة النظرية الدينامية للطبقات (التي تنتظم حول قطبين اثنين) والتحليل الوصفى الذى يهتم بتركيب الجماعات الاجتماعية : ببنيته وتطورها وسلوكها.

عادت خلود للبلكونة مرة أخرى، وقامت بتشغيل أغنية تحبها من موبايلها لنجاة الصغيرة.

أنا باستناك أنا باستناك، وليلى شمعة سهرانة فى ليلة حب، وأهلاً أهلاً حلوة شيلاها عيون بتحب، وقلبي حير شایل لك مطرحك فى القلب، وازوق ليلى واتزوق لأجمل وعد، وادوب لك فى شرباتي شفايف الورد واقول لك دوق.

وفور انتهاء الأغنية قررت خلود أن تعود لماركس حتى تستطيع نشر الموضوع وتستعد للرد على التعليقات.

نظرية الدولة والإيديولوجيات

نجد لدى ماركس نظرية للدولة (متصورة بوصفها أداة سلطة فى خدمة الطبقة المهيمنة) وللإيديولوجيات (كتعبير عن مصالح طبقية معينة) وللإستلاب (كتقديس أعمى للبطاعة)، وللدین (كأفيون الشعوب).

لم يكن تأثير ماركس خلال حياته على الإنسانية بالشىء العظيم إلا أنه وبعد وفاته انتشرت أفكاره وتم تبنيها وتوسعت آثارها مع نمو الطبقة العاملة.

تحليلاته للنظام الرأسمالى وحديثه عن المادية التاريخية.. صراع الطبقات... والقيمة المضافة أصبحت جوهر الاشتراكية العلمية.. والتي تم تطبيقها على يد لينين والتي أحدثت تأثيراً ضخماً وفظيماً على مستوى بلاد العالم فى جميع القارات وسبباً لنشوب حروب مدمرة.

استفادت العديد من النظم الرأسمالية من أفكار ماركس وخصوصاً بعد الكساد الكبير ١٩٢٩ الذى كان حتمياً طبقاً لأفكار ماركس. ومنه عملت على إصلاح وتجميل عيوب الرأسمالية، وبهكذا انتهى وجود الرأسمالية لتحل مكانها أنظمة مختلطة ديناميكية : الحكومة البريطانية تعتبر نظاماً مختلطاً برداء رأسمالى، الصين حالياً هى نظام مختلط برداء شيوعى، حيث من الصعب جداً، إذا لم نقل من المستحيل، الوصول إلى النظام الشيوعى الذى تحدث عنه ماركس على ضوء الإمكانيات الحالية.

كما أن ماركس لم يكن ليعلم بمستوى التكنولوجيا الذى سيحدث والذى خفف كثيراً جداً من الظلم على الإنسان، وسهل عليه عمله، وعملت الأنظمة الميالة للرأسمالية على استخدام هذه التكنولوجيا على أفضل وجه بما يضمن استمرار أنظمتها.

نهاية، يعتبر ماركس بحق أحد أكبر المفكرين الاقتصاديين الذين لم يحللوا فقط بل عملوا على تحقيق أفكارهم بمنطق وعلم.

وفى ١٤ مارس ١٨٨٣، توفى كارل ماركس ودفن فى مقبرة هاى غيت بلندن.

قامت خلود بنشر الموضوع، والتنويه الذى لاقى استحسان أعضاء الأسرة الذين دائماً ما يطالبون خلود بالفلاسفة العرب والمسلمين.

المعلم الثانى

خلود تنتظر الرسالة الجديدة، فهذه هى المرة الأولى التى سيتكلم فيها الدكتور كعابيش عن فيلسوف عربى، وهى تنتظر لتعرف إن كان وصفه له بالجميلة فى الرسالة السابقة كان قد جاء على سبيل المجاملة أم أنه فعلاً يراها جميلة. وصلت الرسالة ففتحتها بلهفة.

«الجميلة والرقيقة خلود، صديقتى الوحيدة، التى أرسل إليها رسائل فى هذا العالم، سنبدأ الآن رحلتنا مع الفلاسفة العرب والمسلمين، وكان على أن أوضح السبب فى أننا بدأنا بالفلاسفة اليونانيين أو الغربيين عموماً، وكان هذا لزاماً علىّ حتى أتبع التسلسل التاريخى والتطور الفكرى، فكل فيلسوف قد أفاد مما ممن سبقوه.

الرائعة خلود..

المقرر الثقافى لأسرة أفكار فلسفية

أشكرك على جهدك الكبير، وأعرفك أننا قد انتهينا من منتصف الرحلة، وسنبدأ بحول الله النصف الآخر من

الرحلة معاً أنا وانت، والفلسفة العربية والإسلامية.

— بيحبني.

قالتها لنفسها بصوت مسموع.

طبعاً، أكيد، الجميلة، الرقيقة، سنبدأ الرحلة معاً أنا
وأنت، صديقتي الوحيدة.

أنا كمان باحبه قوى.

أخذت الموبايل واتصلت به.

— مساء الخير يادكتور.

— مساء النور ياخلود.

— أنا متشكرة على المجاملة الرقيقة اللي حضرتك بتكتبها
لى فى الرسايل.

— دى مش مجاملة انت فعلاً صديقتي الوحيدة.

— دا شرف كبير لى.

— حقيقى ياخلود انا منبهر بيك، وعلى فكرة عمري ما
بعثت رسايل لبنت أبداً ولا وأنا طالب أو أستاذ، دايماً
بذاكر واترجم وابحث.

— حضرتك إنسان عظيم، وبتدينى شرف كبير قوى، بس
حضرتك بتبالغ فى حاجات يعنى، انا مش جميلة،

عادية يعنى ومش رقيقة، دا اخوى دايمما يقول إن أنا
أرجل منه.

— لوشافوك الناس بعقلهم هيعرفوا جمالك ياخلود.

— انت اللى بتبعث الرسايل اللى فيها باحبك؟

فاجأته خلود.

— لأ، لأ انتِ بتقولى إيه؟!!

أصابته صدمة قوية أفقدته التركيز.

— أمال مين؟!!

— مش عارف أنا حقيقى مابعتش رسايل، وعمرى ما
أعمل كدا، أنا زعلان قوى منك ياخلود، المفروض
احترامك لى وتقديرك يخلوك ما تظنيش فى ظن السوء.

— حضرتك متأكد؟

— أيوه، والله متأكد، وبعدين بقى؟!!

— أول مرة أشوفك بتحلف، يعنى مش انت اللى بعت لى
الرسايل اللى بتقول لى فيها باحبك؟

— لا طبعا، دا انا باعتبرك زى رحمة أختى، حب إيه يا
استاذاة أنا كدا هازعل منك، دا انا قدك مرتين، وانت
زى بنتى اللى ماجبتهاش، عشان ما اتجوزتش.

— يعنى انت مابتبعتش الرسايل؟

— لا.

— ولا بتحبنى؟!

وهى تنهار باكية.

— لا..... باحبك زى أختى، تلميذتى، صديقتى، بنت بلدى المثقفة اللى بافتخر بيها، لكن الحب اللى انت تقصديه دا لأ طبعاً، حرام علىّ أطلب منك تربطى مصيرك بواحد شبابه بينتهى وانت لسة ما وصلتيش عند بوابات الدخول لعالم الشباب.

— بس أنا باحبك قوى، انت فارس أحلامى اللى طول عمرى باتمناه، وماتخافش، أنا هاكمل وهاخد الدكتوراة عشان أليق لك.

— دا مجرد خلط ياخلود، انت بتحبينى كأستاذ مثالى من وجهة نظرك، لكن مش بالضرورة أكون حبيب أو زوج مثالى، حاولى تركزى، وتحفظى توازنك ياخلود، ركزى فى العمل العظيم اللى بتعمليه.

— انت خايف من فارق السن؟

— ياخلود دا وهم، والسبب الرسايل المجهولة مع إعجابك بأستاذك، فصور لك حاجة مش حقيقية حاولى تعرفى مين اللى بعت لك الرسايل.

— بص يادكتور، انت عظيم قوى بالنسبة لى، وبالنسبة للناس كلها، بس أنا مش هافرض نفسى عليك أكثر من كدا، أنا آسفة قوى.

وأخذت نفساً عميقاً ثم قالت :

— ممكن حضرتك تسيبنى أنشر أول شخصية فلسفية عربية فى أسرة أفكار فلسفية؟

— اتفضللى.

أعطى الحب الذى تأكدت أنه من طرف واحد طاقة إضافية لخلود التى تبحث دائماً لتضييق المسافة بينها وبين الرجل الذى تحبه، فهو من العلماء وهى تلميذة صغيرة، ولا بد أن تبذل كل الجهد حتى ترقى لمستواه الثقافى والعلمى، فبدأت تنشر لأعضاء أسرة أفكار فلسفية عن الفارابى.

«أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابى، ولد عام ٢٦٠هـ، ٨٧٤ م فى فاراب فى بلاد ما وراء النهر، وتقع فاراب اليوم فى قازخستان وتوفى عام ٣٣٩ هـ، ٩٥٠م... فيلسوف أتقن العلوم الحكيمية، وبرع فى العلوم الرياضية، زكى النفس، قوى الذكاء، متجنب عن الدنيا، قانع منها بما يقيم بأوده، يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين، وكانت له قوة فى صناعة الطب وعلم بالأمرور الكلية منها، ولم يباشر أعمالها، ولا حاول جزئياتها. يعود الفضل إليه فى إدخال مفهوم الفراغ إلى علم الفيزياء.

وكان أبوه قائد جيش جاء إلى بغداد وهو فى سن الأربعين ، تنقل بين مصروسوريا وحلب ، وأقام فى بلاط سيف الدولة الحمدانى ، ثم ذهب لدمشق وبقى فيها حتى وفاته عن عمر ٨٠ عاماً ، ووضع عدة مصنفات وكان أشهرها كتاب حصر فيه أنواع وأصناف العلوم ويحمل هذا الكتاب اسم «إحصاء العلوم». سمي الفارابى «المعلم الثانى» نسبة للمعلم الأول أرسطو ، وجاء إطلاق الاسم بسبب اهتمامه بالمنطق لأن الفارابى هو شارح مؤلفات أرسطو المنطقية».

الموبايل يرن :

— ألوه ، أيوه يافرحة ، إزيك يا حبيبتى؟

— انت تعرفى حد فى العياط؟

— إشمعنى العياط يعنى؟!

— لى واحد صديقى خبير فى موضوع الفيس بوك ، وأكد لى إن الحساب بتاع أمير الحب اللى بعت لك الرسالة مفتوح من العياط ، وكل الرسايل أرسلها من هناك ، وممكن يجيب لك العنوان بالظبط ، بس الموضوع كدا هيتكلف فلوس وإذن من النيابة.

— لا خلاص ، أنا كدا عرفته ، عريس الغفلة.

— مين؟!

— ابن عمتى ، اللى اتقدم لى وأنا رفضته.

- يا حرام، دا أكيد بيحبك قوى.
- ولا بيحبني ولا حاجة، أنا عارفة طريقة تفكيره العقيمة.
- يكون بي فكر فى إيه يعنى؟
- بيختبر أخلاقى.
- وهى تضحك.
- ولما مارديتش عليه قال والله دى طلعت مؤدبة ولازم أكافئها، وأطلبها للجواز.
- وانت رديت عليه؟
- يابنتى دا عيل، أنا هاتجوز واحد يكون عظيم.
- يابنت الذين، دا انت راسمه على كبير قوى.
- لا والله لو إنسان فقير جداً، بس لازم يكون بي فكر وبي فهم وعنده طموح، عموماً أنا متشكرة يافرحة يا حبيبتى.
- على إيه؟ عدى بس انت الجمائل، أشوف وشك بخير سلام.
- سلام يافرحة.

عادت خلود لقراءة ما كتبه كعابيش عن الفارابى :

تبدو النظرية عند الفارابى والتي تسمى بالصدور والفيض، وهى أبرز ما يميز الفارابى، فهو يميز بين نوعين

من الموجودات: الموجود الممكن الوجود، والموجود الواجب الوجود، هناك موجودات كثيرة ممكنة الوجود، لكن هناك موجوداً واحداً واجب الوجود.

الموجود الممكن الوجود: الموجود الذى متى فُرض موجوداً أو غير موجود لم يعرض منه محال. يعنى وجوده أو عدم وجوده ليس هناك ما يمنع ذلك. لكن إذا وجدت لابد لها من علة، وكل الموجودات التى تحقق وجودها حوادث.

الموجود الواجب الوجود: الموجود الذى متى فرضناه غير موجود عرض منه (الهاء تعود على الفرض) محال. يعنى لا يمكن إلا أن يكون موجوداً، وهو فى المصطلح الدينى (الله).

فنحن لا يمكن أن نقول الله ليس موجوداً؛ لأنه لا يمكن لنا أن نقول بعد أن قلنا الله ليس موجوداً كيف وجد العالم. (مؤيس الأيسات عن ليس) تعنى موجود الموجودات من العدم (أليس أى أوجد).

س/ لا نستطيع أن نفهم كيف وجدت الموجودات الممكنة عن واجب الوجود؟ وكان جواب الكندى هو (مؤيس.....)، أما الفارابى يقول إن واجب الوجود طبيعته عقل محض واحد من كل الجهات، جوهر عقل محض يعقل ذاته وموضوع تعقله هو ذاته، خلافاً لنا نعقل ذاتنا ونعقل أيضاً الموجودات الطبيعية ولكن واجب الوجود عند الفارابى يعقل ذاته فقط ويقول الفارابى: إنه من تعقله لذاته يفيض عنه

عقل أول، يكفي أن يعقل واجب الوجود ذاته حتى يصدر عنه عقل أول، أى فعل التعقل فعل مبدع يصدر على سبيل الضرورة لا الإرادة والقصد. يصدر عقل من تعقله لما فوَّقه يصدر عقل آخر ومن تعقله لذاته يصدر فلك.. إلخ. العقل الأخير هو العقل الفعال والفلك الخاص به فلك القمر.

العلاقة بين الفيلسوف والنبى

التمييز الذى قام به الفارابى بين النبى من ناحية والفيلسوف من ناحية: المعرفة تكون بتجريد المعانى الكلية من المحسوسات، النبى والفيلسوف كلاهما يتلقى حقائق وينقلها للآخرين. يقول الفارابى إن معرفة الحقائق القصوى كلها مصدرها الله، لكن هناك فارقاً بين حقائق النبى وحقائق الفيلسوف، والفيلسوف يتلقى الحقائق بواسطة العقل الفعال فتكون طبيعتها عقلية وليست حسية، الرسول تأتية المعارف منزلة من عند الله بتوسط الملك جبريل عليه السلام، ويتلقى الوحي بالمخيلة، ثم يتم تحويل الصور المتخيلة إلى صور ومعانٍ تنقل للناس. المعارف النبوية هى معارف المخيلة أساس فيها. قامت خلود من أمام الالب توب وقررت أن تكلم كعابيش.

— ألو يادكتور.

— ألو... ازيك ياخلود، أنا متشكر جداً إنك اتصلت بى.

— ليه يادكتور؟! أنا لايمكن أخسر حضرتك أبداً لأن
حضرتك مش ممكن تتعوض، مش أنا عرفت الإنسان
اللى ورطنى فى المشكلة دى؟

— اللى ببيعت لك الرسايل؟

— أيوه.

— من الجامعة؟

— لا، دا واحد تافه، والموضوع انتهى، وبالنسبة للموضوع
التانى أرجوك تنسى أى كلمة أنا قلتها فى لحظة اندفاع
ولخبطة، فأنا أول مرة أتعرض للموقف دا، وخطر فى
بالى إن حضرتك اللى بتبعت لى الرسايل، أنا آسفة.

— ولا يهملك، أنا اعتبرت اللى حصل دا مؤشر مهم على
معزتك لى كأستاذ لدرجة فاقت قدرتك على معرفة الفرق
بين حب الأستاذ وحب الحبيب والزوج.

— هاسيبك دى الوقت عشان اقرا فلسفة الفارابى السياسية
والأخلاقية قبل النشر.

— اتفضلى.

وما إن أغلقت الموبايل حتى بكت وتمنت من الله أن
يضع بيده حبه لها فى قلبه، فهى لن تستطيع أن تكون
بعيدة عنه أبداً.

مسحت دموعها، وراحت تكمل قراءة موضوع فلسفة الفارابى السياسية والأخلاقية، فإن القراءة والبحث سيجعلانها أقرب لكعابيش، والثقافة ستقرب المسافات بينهما. ما تميز به الفارابى بعد تميزه بالمنطق هو السياسة والأخلاق، ومن أشهر كتبه :

آراء المدينة الفاضلة، الموسيقى الكبير، آراء أهل المدينة الفاضلة: خير المدن الممكنة على الأرض بالنسبة للبشر، وقضية الكاتب هى قضية السعادة التى يطلبها جميع الناس ويقسم الكتاب إلى قسمين: قسم يبحث فيه الفارابى نظرية الوجود، ونرى فيه التمييز بين الممكن والواجب، القسم الثانى خاص بالمدينة وآراء أهل الجماعة الفاضلة. القسم الأول يقابله القسم الثانى والمدن المضادة للمدينة الفاضلة.

يبنى الفارابى المدينة على غرار الوجود بأسره، فكما للوجود مبدأ أعلى كذلك المدينة الفاضلة لها مبدأ أعلى وهو الرئيس.

والفارابى يقول إن القصد فى المدينة الفاضلة الإبانة عن الجماعة التى تسود فيها السعادة، والمدينة الفاضلة هى التى يطلب جميع أهلها السعادة، والمدن المضادة يطلب فيها أهلها أشياء مضادة.

السعادة عند الفارابى مرتبطة بتصوره للتركيبية الإنسانية والنفس الإنسانية، والسعادة تكون عندما تسيطر النفس العاقلة (وفضيلتها الحكمة) على النفس الغضبية (وفضيلتها

الشجاعة) والنفس الشهوانية (وفضيلتها العفة) فيصل الإنسان للسعادة.

المدينة الجاهلة: عكس المدينة الفاضلة، يطلب أهلها السعادة الآتية من النفس الغضبية والشهوانية.

المدينة الفاسقة: هي التي عرف أهلها المبادئ الصحيحة وتخيلوا السعادة على حقيقتها ولكن أفعالهم مناقضة لذلك.

المدينة المبدلة: أيضاً مضادة للمدينة الفاضلة ويكون السلوك فيها فاضلاً ثم يتبدل.

المدينة الضالة: ويعتقد أهلها في الله والعقل الفعال آراء فاسدة واستعمل رئيسها التمويه والمخادعة والغرور، ويصوّر الله والعقل الفعال تصويراً خاطئاً، و سياسته خداع وتمويه.

وجعل الفارابي مجموعة سمات مميزة لأهل المدينة الفاضلة:

معرفة السبب الأول وصفاته (أى الله)، معرفة العقول والأفلاك، معرفة الأجرام السماوية، معرفة الأجسام الطبيعية، معرفة الإنسان، يعرفون السعادة ويمارسونها، أى أن معرفتهم كاملة بالوجود وبكل الموجودات، وعلى رأس المدينة الفاضلة يضع الفارابي الرئيس، مثلما للوجود رئيس هو الله، وللإنسان رئيس هو القلب.

والذى يقول على المدينة الفاضلة (الرئيس) له صفات :
تام الأعضاء، جودة الفهم، والتصور، جودة الحفظ جودة
الذكاء والفتنة، حسن العبارة فى تأدية معانيه، الاعتدال
فى المأكل والمشرب والمنكح، محبة الصدق وكرهية الكذب،
كبر النفس، ومحبة الكرامة (أى تقدير الذات)، الاستخفاف
بأعراض الدنيا، محبة العدل بالطبع وكره الجور، قوة العزيمة
والجسارة والإقدام ويتوج هذه الصفات بالحكمة والتعقل
التام جودة الإقناع جودة التخيل القدرة على الجهاد ببدنه
وما إن انتهت من القراءة حتى اتصلت خلود بكعابيش.

— مساء الخير يادكتور، انا قرئت الفارابى كويس قوى،
وحييت أعرف شخصية الأسبوع القادم، عشان أنشر
عنها تنويهاً.

— ابن سينا.

— تمام.

وما إن أغلقت الموبايل حتى فتحت الصفحة وبدأت
تنشر موضوع الفارابى، وقد أعلنت أن شخصية الأسبوع
القادم هى ابن سينا.

عمرو الشرقاوى

لعبت به الأقدار لعبتها الساخرة، فقد كان طالباً فى الفرقة الرابعة بكلية الحقوق جامعة القاهرة، وبعد أن دخل امتحان الترم الأول فى مادة الشريعة الإسلامية ومادة الشريعة لغير المسلمين، نجح فيهما بتقدير جيد، وجيد فى كلية الحقوق يعادل الامتياز فى كليات أخرى، فالدراسة صعبة جداً لأنها طويلة جداً، والكتب كبيرة فقد تصل المادة إلى أكثر من ١٠٠٠ صفحة.

لم يكن مهتماً أبداً بالسياسة، ولكنه لبنى دعوة اتحاد الطلبة فى الانضمام لإحياء ذكرى الشهيد سليمان خاطر، هتف معهم، وسار فى المسيرات الجماعية التى جابت الجامعة كلها، وعندما زاد عدد الطلاب أعلن القائمون على تنظيم المسيرات الاعتصام حتى طرد السفير الإسرائيلى من القاهرة، فجاءت الأوامر باعتقال الجميع، فانقض الأمن عليهم، وقبض على من قبض، وهرب من هرب ومنهم عمرو.

— ألو.... انت فين يا عمرو؟

- أنا فى الشارع.
- الحمدلله، دول بيدوروا عليك هنا فى الجامعة، أوعى تروح البيت، دول قبضوا على أغلب المشاركين فى الاعتصام.
- بس أنا كنت واقف بس، لا نظمت ولا هتفت حتى، وانت عارف يا باسل إن أنا ماليش فى السياسة.
- أنا قلت لك وخلاص، اللي بيقبضوا عليه بيروح ورا الشمس، مافيش حد أصلاً هيحقق معاك.
- أمال هيعملوا معانا إيه؟
- اعتقال على طول.
- ياخبر أسود، اعتقال؟!
- أقل مافيهها ١٥ سنة، حاول تشوف لك حتة تستخبي فيها.
- والجامعة؟!
- جامعة إيه دى الوقت ! انفد بجلدك يابنى آدم.
- حاضر.
- بكى عمرو الذى عاش حياته كلها جانب الحائط، لاسياسة ولا مظاهرات، وقرر أن يتصل بوالده الذى يستطيع وحده أن يساعده ويخرجه من هذه الحيرة.

— امتى حصل الكلام دا؟

— النهاردة.

— طب انت فين دى الوقت يا حبيبي؟!!

— أنا ورا السنتر، هنا فى بين السريات.

— خليك مكانك، أنا جاى لك حالاً.

أعطى له والده ألف جنيهه أو أكثر قليلاً، فقد أعطاه كل
إيراد السنتر وقال له :

— تركب دى الوقت، وتروح سوهاج عند عمك عبدالرؤوف
فى المنشأة، اوعى تتحرك من هناك إلا لما اتصل بيك.

— حاضر يا بابا.

أخذ محمود الموبايل واتصل بأخيه عبدالرؤوف الذى أجابه.

— يشرف يا أخوى، لو ماشالتوش الأرض، نشيله فى
قلوبنا، دا ولدنا يا محمود، انت بتقول إيه؟! عيب عليك،
واتطمئن، طب يبقى راجل اللى بييجى ياخده من هنا.

— دا العشم برضه يا أخوى.

ظل هارباً خمس سنوات حتى أكلته الحيرة، وحطمه
البعد عن أسرته والخوف الملازم له أينما ذهب.

— يا بابا أنا تعبت قوى، وعاوز أرجع.

— فيه حد عندك قصر معاك يا عمرو يا ابني؟

— لا أبدا، بس انتم وحشتونى.

وأخذ يبكى .

— طب خليك مكانك، أنا هاسأل بكرة فى الجامعة،

واشوف الموقف إيه، وأقول لك يا ابني، واتظمن، أكيد

الموضوع اتنسى، دا مافيش ولا واحد جه عندنا الشقة، ولا

طلبونى عشان يسألونى عنك، أو عن مكانك، اتظمن يا

ابني، بس خليك مكانك، وما تجيش إلا لما ابعت لك.

اتصل محمود الشرقاوى باللواء سمير التونى فهو عميل

قديم فى السنتر وتربطه به علاقة طيبة.

— ادينى اسمه يا حاج محمود وبكره إن شاء الله أرد عليك

وأقول لك موقفه بالظبط.

وكانت الصدمة الكبيرة التى لم يستطع محمود الشرقاوى

أن يصنفها، أهى سعيدة أم حزينة.

— مين اللى قال لك إن ابنك مطلوب أو له ضبط وإحضار؟!

— واحد زميله.

— ياراجل، دا انت راجل متعلم، إزاي تعمل كدا؟! الواد

ضاع، ومستقبله راح ببلاش.

— إيه اللى حصل يا افندم؟

— عمرو اترفد من الكلية لتجاوز سنوات الرسوب، عمر
مش مطلوب فى أى حاجة، كان لازم يروح الكلية
ويحضر الامتحان أو يقدم اعتذار.

— يعنى ابنى دى الوقت مطلوب؟

— لا، ابنك اتصرف بغباء، ومشى ورا وهم خمس سنين،
وضيع مستقبله بإيده.

تنفس الصعداء:

— مش مهم، الحمدلله إنه صاغ سليم، أنا محتاجه، يقف
جانبى ويمسك السنتر، الحمدلله، قدر الله وما شاء فعل.

دخلت خلود لعمرو فى غرفته:

— إيه يا ابنى، بقى لى ساعة باكلمك، انت كنت سرحان
فى إيه، معقولة مش سامعنى ياعمرو؟!

— كنت سرحان فى اللى حصل لى.

— أه والله، عندك حق، دا فيلم عربى ساقط، مش ممكن
حد يصدق اللى حصل لك دا ياعمرو، ربنا يكون فى
عونك، بس الحمدلله انت عندك سنتر كبير وباشا
وألف واحدة تتمناك.

— يعنى فكرك إنى لو اتقدمت لواحدة صاحبتك، ممكن
توافق؟

- طبعا، دى هتتجنن، ومستنية اليوم دا.
- هى كلمتك، وانت إزاي تخبي علىّ؟
- ما انت عامل تقيل، وماقتليش أى حاجة يا عريس.
- أنا رايحة لها دى الوقت، تعالى وصلنى، وأنا اخلص لك الموضوع.
- بس المشوار بعيد والساعة دى الوقت ٨، عقبال ما نوصل تكون عشرة، ميعاد مش مناسب.
- ليه بقى؟! دول خمس دقائق، دا بولاق الدكرور أهى.
- وهى تشير بيديها اليمنى.
- انت قصدك مين؟!
- انت اللى قصدك مين؟!
- فرحة زميلتك، اللى فى المعادى.
- ياخبر أبيض، إيه لم الشامى على المغربى، أنا كنت بافكر فى سماح، دى بتحبك من زمان.
- معقولة دى؟! والله ما أعرف، أنا باعتبارها زيك بالظبط، أختى يعنى، لكن نفسى أخطب فرحة، بس أكيد مش هتوافق، أنا عارف.
- ليه بقى هى تطول؟ بس أنا ماليش دعوة، مباحبش

الكلام فى الحاجات دى، أهى عندك كلمها انت
بنفسك.

قال لها عمرو متهكماً :

- أنا عارف إنك ما بتتكلميش إلا فى الفلسفة والفلاسفة.
- ومين سمعك.

وهى تتركة وتتجه لخارج الغرفة: أنا هابتدى أقرأ
رسالة الدكتور كعابيش عن ابن سينا قبل ما انشرها على
صفحة أفكار فلسفية، تصبح على خير.
- وانتي من أهله.

عادت خلود إلى غرفتها، وبدأت تقرأ.

ابن سينا، هو أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن
بن على بن سينا، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما.

ولد فى قرية أفشنة الفارسية سنة ٣٧٠ هـ : ٤٢٧ = ٩٨٠
م : ١٠٣٧ م وتوفى فى همدان، عرف باسم الشيخ الرئيس
وسماه الغربيون بأمير الأطباء.

عاش ابن سينا فى أواخر القرن الرابع الهجرى وبدايات
القرن الخامس من الهجرة، وقد نشأ فى أوزبكستان، حيث
ولد فى «خرميش» إحدى قرى «بخارى» فى أغسطس ٩٠٨م.
وتلقى تعليمه فى سنوات تشكله الأولى على يد أبيه.

كان والده أحد مشايخ الطائفة الإسماعيلية، وهى طائفة من المسلمين تركز أفكارها على نمط من الأفلاطونية الجديدة. ورغم أن ابن سينا لم يتبع أبداً معتقدات والده، إلا أنه استفاد جداً من حقيقة أن الكثير من العارفين حينها كانوا يجتمعون فى البيت عند أبيه للحديث والمناظرة. ولما أصبح فى عمر عشر سنوات، كان ابن سينا قد أصبح حافظاً للقرآن مثلما حفظ الكثير من القوائد العربية وغيرها من الأعمال الأدبية وسرعان ما أخذت هذه الاندفاع المبركة للمعرفة ابن سينا إلى أساتذة المنطق والغيبيات البارزين. وحين بلغ الثامنة عشرة من العمر أحس أنه لم يعد بحاجة لمعلميه هؤلاء فمضى يواصل دراسته بنفسه، وهكذا حصل معرفة معمقة فى علوم الطب والشريعة والغيبيات.

ومما كان له أبلغ الأثر فى تطوره الفكرى تمكنه من الاطلاع على موجودات المكتبة الغنية فى قصر السمنديين، وهم أول عائلة حاكمة كبيرة من أصول محلية ظهرت فى فارس بعد الفتح العربى لها. وقد سمح لابن سينا بدخول تلك المكتبة العظيمة بعد نجاحه فى علاج الأمير نوح بن منصور السمندي من مرض عجز كل أطباء عصره المشهورين عن علاجه.

حتى إذا بلغ العشرين من عمره توفى والده، فرحل أبو على الحسين بن سينا إلى جرجان، وأقام بها مدة، وألف كتابه القانون فى الطب، ولكنه ما لبث أن رحل إلى

«همدان» فحقق شهرة كبيرة، وصار وزيراً للأمير شمس الدين البويهى، إلا أنه لم يطل به المقام بها، ففى عام ١٠٢٢ توفى شمس الدولة ليجد ابن سينا نفسه وسط محيط غير مريح، وتسبب موت راعيه فى مرحلة من المصاعب بلغت ذروتها بسجنه، ولحسن حظه، استطاع ابن سينا أن يهرب إلى أصفهان، ٢٥٠ ميلاً جنوب طهران، مصحوباً برهط صغير من أعوانه وقرر أن يستقر فيها. وفعلاً قضى فى أصفهان ١٤ عاماً فى طمأنينة نسبية. وفيها أنهى كتابه «القانون فى الطب» كما أنهى أيضاً كتابه الشهير الآخر كتاب «الشفاء».

لم يكن تركيز خلود كاملاً، فهى قد انشغلت بأخيها الطيب الذى تحمل مالا يتحمله بشر، وضاع مستقبله دون أى سبب، فقررت أن تتدخل لتساعده.

— ألو... ازيك يافرحة؟

— ازيك يانجمة النجوم؟

— دا كله بتوجيهاتك يا سيادة مقرر الأسرة.

— بصراحة ياخلود انت رجعتِ لى الثقة فى الطلبة، وفى شباب مصر عموماً، كنت فاكرهم كلهم تافهين، وعمرهم مابيهتموا إلا بالرحلات والحفلات.

— مش كدا وبس، وجايبة لك هدية كمان.

— ياشيخة، باحسبك هتقولى لى جايبة لك عريس؟

— فعلا، أنا جايبة لك عريس، أمور قوى وغنى وطيب
جداً وعنده شقة وعربية ووحيد أبوه وأمه وأخته.

— دا مين العريس اللقطة دا؟! لايميني عليه.

— عمرو أخوى، تتجوزيه؟

— أتجوزه، وأتجوز أبوه كمان.

وهى تضحك، فتضحكت خلود ويبدو وجهها مشرقاً.

— المهم هو شافنى كويس يعنى، وعجبته؟ هو محامى
مش كدا؟

— وهيمان ياستى ويحبك قوى، بس أخوى متربى
كويس، ومتدين، ما ينفعش يدخل البيت إلا من بابه.

— لأ، بس لازم نتكلم الأول، وناخد على بعض، هو
بصراحة أمور وأنا شفته، وعاجبنى، بس لازم نتكلم
ونشوف هنفهم بعض ولا لأ.

— اتفقنا، بس فيه سر أنا لازم أقول لك عليه، عمرو اترقد من
كلية الحقوق فى سنة رابعة، وقصت عليها القصة وقالت :

— دا لازم يفضل سر بينى وبينك.

— سر ازاي ياخلود؟! لازم بابا وماما يعرفوا، ولو بابا عرف
مش ممكن يوافق، عمرو.. ماتزعلش منى ياخلود، كدا
معاه يادوب ثانوية عامة، وبابا مصر إنه يجوزنى واحد

معاه دكتوراة أو على الأقل ماجستير، متهيأ لى الموضوع
كدا اتعقد.

— طب قولى لوالدك، وردى علىّ.

— أنا عارفة أبوى كويس، دا دايمما يقول إن الليسانس
والبكالوريوس دول مش مؤهل على دى الوقت، فى
الزمن دا لازم تكونى حاصلة على الدكتوراة عشان تقولى
أنا معاى شهادة، مش ممكن يقبل أبداً، أنا آسفة
ياخلود، أنا مش هاقدر أقول لبابا.

وما إن أنهت خلود المكالمة حتى قررت أن تفكر كيف
تساعد أباها وتنقذه من بحر الحزن الذى سيسقط فيه حتماً.

— بص ياعمرو أنا عاوزاك تبص بعين تانية على سماح،
دى بتحبك، وأنا بصراحة حاسة إن فرحة مش هتنفعك.

— ليه ياخلود فى دقيقة واحدة غيرت كلامك؟!

— أنا قلت لك رأيى، خد اللى تحبك تفضل مرتاح البال.

— شكرا يا فيلسوفة.

— عموماً دا رقم فرحة ودا رقم سماح، نصيحتى ليك انك
لازم تتكلم مع الاتنين، وفيه شهادة حق لازم أقولها :
سماح صاروخ يابنى - وهى تضحك - وما أقدرش أفسر
أكثر من كدا.

— قصدك إيه؟!

— سماح ملتزمة بالحجاب، لأنها متدينة، فطريقة لبسها سلفى، من النوع اللى يخليك تحس إنها وحشة قوى، ودا مقصود عشان ماتلفتش نظر الرجالة، لكن احنا عشان بنات زى بعض بنقعد على راحتنا فى البيت، سماح مزة آخر حاجة، بص يا ابن المحظوظة، يعنى أجمل منى أنا وفرحة بكتير، كلمها واتفاهموا على كل حاجة. استطاعت خلود أن تنقذ أياها من صدمة محتملة فأقنعته بسماح، ودعت الله أن يوفقهما معا.

كل يوم تشعر خلود أنها تغيرت، تستطيع أن تفكر بشكل أعمق وأجراً، تجد حلولاً لكل المشكلات، فتشكر الله أنها تعرفت على الشخص الذى علمها كيف تبحث وتفكر بطريقة صحيحة فى كل شئ.

عادت خلود إلى غرفتها لتكمل مابدأته عن ابن سينا.

— كنت وصلت لغاية فين؟ أيوه...

رحل ابن سينا إلى أصفهان وحظى برعاية أميرها علاء الدولة، هناك أصاب جسده المرض واعتلّ، حتى قيل إنه كان يمرض أسبوعاً ويشفى أسبوعاً، وأكثر من تناول الأدوية، ولكن مرضه اشتدّ، وعلم أنه لا فائدة من العلاج، فأهمّل نفسه وقال: «إن المدبر الذى فى بدئى عجز عن

تدبير بدني، فلا تنفعنَّ المعالجة»، واغتسل وتاب، وتصدق بما لديه من مال للفقراء، وأعتق غلامانه طلباً للمغفرة، وتوفى في يونيو ١٠٣٧م، في سن الثامنة والخمسين من عمره، ودفن في همدان، إيران.

كتابه «الإشارات و التنبيهات» هو الذى ذهب فيه مذهب أرسطو وقربه قليلاً إلى الأديان، فهو مؤسس الاتجاه الفلسفى الذى تحدى العقيدة وفكرة النبوة والرسالة فى الإسلام، وكان يقول بقدوم العالم، وإنكار المعاد، ونفى علم الله وقدرته وخلقه العالم وبعثه من فى القبور.

وذهب ابن سينا مذهب الفلاسفة من أمثال الفارابي أبى نصر التركي الفيلسوف، وكان الفارابي يقول بالمعاد الروحانى لا الجسمانى، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذاهب فى ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين، وأعاد تلك الفكرة ابن سينا ونصره، وقد رد عليه الغزالي فى «تهافت الفلاسفة» فى عشرين مجلساً له كّفّره فى ثلاث منها وهى قوله بقدوم العالم، وعدم المعاد الجسمانى، وقوله إنّ الله لا يعلم الجزئيات، وبدّعه فى البواقى.

لا شك أن صحبته لفلاسفة الباطنية (أبو عبد الله النائلى الذى علمه فى صغره) قد أثرت فى تفكير ابن سينا، وهياتة للدور الذى لعبه فى تنشيط تيار الفلسفة واتخاذها

موقف التحدى للعقيدة الإسلامية، ومثال على ذلك «نظرية المعرفة» والتي ساوى فيها بين الفلاسفة والأنبياء، وقد خص الفلاسفة بميزة أخرى وهى أن الفلاسفة استمروا فى رسالتهم وارتقاء معارفهم فى الوقت الذى ختمت النبوة بمحمد.

وكان اتباعه يدعون بـ«الألى» وقالوا مقالته، ومن أشهرهم النصير الطوسى واسمه محمد بن عبد الله، ويقال له الخواجة نصير الدين، الذى انتصر لمذهب ابن سينا والذب عنه، وشرح إشارات، وكان يسميها «قرآن الخاصة»، ويسمى كتاب الله «قرآن العامة»، ورد على الشهرستانى فى مصارعة ابن سينا بكتاب سماه «مصارعة المصارع».

وما إن انتهت من قراءة ابن سينا حتى نشرت الموضوع على الصفحة فجاءت أولى التعليقات من فرحة.

— أشكر صديقة عمرى وحبىبتى على الحاجات الجميلة اللى بتعملها عشان أصدقاءها (الحدق يفهم).

— طبعا فاهمة، أى خدمة يا فرحة.

تطورات فلسفية

الساعة التاسعة صباحاً فى بين السريات، خلود بعدما تفتح عينيها تفتح صفحة «أفكار فلسفية» لتقف على مدى التفاعل، وترد على الرسائل لتعطى حيوية للصفحة، فكل رسالة تنتظر الرد، وكل سؤال يبحث عن إجابة، ولكنها وجدت كل شئ قد تم على أكمل وجه؛ فالدكتور كعابيش خلق تواصلاً رائعاً بينه وبين أعضاء الأسرة، «شات جماعى» وحواراً مباشراً على الصفحة، الأعضاء يسألون وهو يتفاعل معهم بشكل مباشر ويجيب عن جميع الأسئلة، طافت خلود بالصفحة وراحت تقرأ الأسئلة والإجابات الرائعة التى كتبها كعابيش، وأخذت تعلق تحت الأسئلة بشكره وفضله على تلاميذه الذين يحبونه ويقدرون تطوعه بهذا الجهد الكبير.

— نقرأ كثيراً فى المنهج كلمات ومصطلحات غامضة فهل يمكنكم إيضاحها وتبسيط معناها.

علق الدكتور كعابيش قائلاً :

— لأن الأستاذة خلود غير موجودة على الصفحة الآن، فأنا معكم لمدة ساعة ومستعد للرد على كل الأسئلة وإيضاح مايلزمه إيضاح وتبسيط الصعب.

د. كعابيش... رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة.

تفاعل الطلبة فانهاالت الأسئلة، وراح كعابيش يرد عليها:

— ماهو معنى كلمة الأنتولوجيا؟!

— هى علم اجتماعى يفسر الظواهر من أحوال الشعوب، ويدرس أنماط حياتها المادية والروحية.

— أشرك يادكتور، طب إيه معنى الأرستقراطية.

— الأرستقراطية هى كلمة يونانية وهى ضد الديمقراطية، لأنها حكومة طبقة معينة ومحدودة، تستولى على السلطة عن طريق الوراثة.

— أشكر حضرتك يادكتور، طب إيه معنى الاستبطان؟

— يطلق عليه معان منها دراسة الصفات النفسية بالتجربة والاختبار، ومنها عملية التذكير بالماضى القريب والبعيد.

— أنا آسفة يادكتور آخر سؤال عشان أفسح المجال لباقي الطلبة، عاوزه أعرف معنى كلمة الاستقراء؟

— الاستقراء فى اللغة : يعنى تتبع الأمور لمعرفة أحوالها وخواصها، وفى الاصطلاح : الحكم على الكلى بما تحقق

فى أفراده وجزئياته ، فإن عم التتبع والفحص جميع الأفراد والجزئيات كان الاستقراء تاما ، وإن وقف عند عدد محدود من الأفراد والجزئيات كان الاستقراء ناقصاً .

— طب والاستنباط يادكتور؟

— مع إنك قلتِ آخر سؤال أنا هاجاوبك ، بس سيبى فرصة لزمائلك ، الاستنباط هو استخراج المعنى من النص أو النتيجة من مقدماتها بعد الفرض أنها صحيحة .

شعر كعابيش بسعادة من إيجابيته الجديدة التى يعيشها واندماجه الذى جعل الحيوية تسرى فى روحه :

— أنا معاكم لو فيه أسئلة من حد تانى ، اتفضلوا .

— أنا حضرتك أحمد من أولى فلسفة .

— أهلاً يا أحمد ، عندك سؤال؟

— هما خمس اصطلاحات مش عارف معناهم .

— اتفضل ، أنا معاك ، بس اصطلاح واحد فقط ثم الذى يليه كى تعم الفائدة ولايحدث أى لبس ويستفيد باقى الأعضاء .

— تمام يادكتور ، أكاديمية .

— «أكاديمية» هى مدرسة أسسها أفلاطون تطل على بستان اكاديموس ، وهو بطل قديم ، فنسبت إليه المدرسة .

- شكرا يادكتور كنت عاوز أعرف معنى الإمبريالية.
- «الإمبريالية» : أخذت هذه الكلمة من كلمة إمبراطور، وتستعمل الآن فى أعلى مراحل الاحتكار والإستعمار الجديد الذى يضغط على الشعوب المستضعفة سياسياً، ويحاصرها اقتصادياً، ويؤلب عليها الأتباع والأذئاب بالانقلابات الرجعية وإيقاظ الفتنة والقلق وما إلى ذلك حتى تستسلم بكل ماتملك من أقوات ومقدرات لإرادة المحتكرين والمستغلين.
- ما المقصود بالانتخاب، وما معنى الانحلال؟
- الانتخاب عند دارون قانون طبيعى، يعنى تنازع البقاء، وبقاء الأقوى، أما الانحلال فهو تطور مقلوب من الصحيح إلى الفاسد، ومن التمام والكمال إلى النقص والانحلال.
- شكراً يادكتور، عندى سؤال تانى.
- تفضل.
- ماذا تعنى كلمتى : الانطولوجيا والأيدولوجية؟
- الانطولوجيا : تعنى الأمور العامة التى تشمل جميع الموجودات : الواجب والممكن والجوهر والعرض، أما الأيدولوجية فهى كلمة تعنى نسقاً من الأفكار والآراء السياسية والقانونية والأخلاقية والجمالية والدينية والفلسفية.

— أنا عارف انى طولت على حضرتك يادكتور، بس آخر اصطلاح.

— اتفضل.

— الأيكولوجيا، ما المقصود بهذا الاصطلاح؟

— الأيكولوجيا :هى كلمة يونانية الأصل، أطلقت على العلم الحيوانى والنباتى، وهو فرع من علم الحياة الذى يبحث فى العلاقة بين البيئة والكائنات الحية.

— كله تمام يا ولاد، فيه حد عنده سؤال تانى؟ أو استفسار؟

— أيوه حضرتك، ممكن أعرف معنى « البرجماتية »؟

— البرجماتية باختصار أن كل ما يودى للنتائج المرجوة فهو حق، وكل مالا يودى إلى هذه النتائج فهو باطل، إن كلمة الحق وكلمة النفع كلمتان مترادفتان، فنقول عن فكرة أنها حق لأنها نافعة، ونقول عنها إنها نافعة لأنها حق، والقولان فى المعنى سواء، وهذا أيضا معيار الأخلاق، فالذى يجعل الفعل فضيلة هو أنه فعل ناجح، فالبرجماتية هى الاعتقاد بأن الصادق باختصار هو النافع فقط فيما يتعلق بالفكر، كما أن الصواب هو النافع فيما يتعلق بالسلوك.

— تمام يادكتور، طب و « البرجوازية »؟

— البرجوازية : هى طبقة متوسطة بين النبلاء وأبناء الشعب العاديين ، ويتميز افرادها بثقافتهم ودخلهم وممارستهم لإحدى المهن الحرة، أما فى اصطلاح الماركسيين فالبرجوازيون هم الذين يمثلون النظام الرأسمالى.

— ماهى البريونية؟

— «البريونية» نسبة إلى الفيلسوف اليونانى بيرون، ويذهب هذا الفيلسوف إلى أن الحقيقة لا يستطيع أحد إدراكها والعلم بها، وعليه فمن الأفضل التوقف عن الحكم على أى شئ من الأشياء.

— شكرا يادكتور آخر سؤال، إيه هو «التجريد»؟

— من أخص خصائص التجريد أن يُبحث الشئ من حيث هو وبصورة عامة دون النظر إلى جوانبه وصفاته الخاصة، فإذا استخرجت النتيجة من دليل مسلم به تكون النتيجة صحيحة ومسلماً بها أيضاً سواء أمكن تطبيقها أو تعذر ذلك - مثلاً- إذا بحثنا : هل المادة صلبة وساكنة كما تبدو للعيان أو هى ذرات متحركة؟ جرى البحث فيها بغض النظر عن كونها حية أو غير حية ، وإذا بحثنا اللون وصلته بالبصر جرى البحث فيه بصرف النظر عن كونه أبيض أو أسود.

— ماهو «التصوف» ؟

— طريقة سلوكية، قوامها التقشف والتخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل.

— أشكر حضرتك يادكتور، كنت عاوز أفهم المقصود من اصطلاح «التعمية».

— التعمية مذهب سياسى يعارض نشر المعرفة والثقافة فى جميع فئات الشعب لما قد ينشأ عنها من وعى يضر بالسياسة المستقرة، ويقابل التعمية حركة التنوير.

— ما هى «التكنوقراطية» ؟

— هى اتجاه ظهر حديثاً فى الولايات المتحدة الأمريكية وبعض البلاد الأوروبية ومؤداه أن الرأسمالية والاحتكارات الصناعية لا عيب فيها، وإنما العيب فى إدارة الدولة ورجالها السياسيين، تماماً كما نقول نحن : ليس الذنب ذنب الإسلام، وإنما الذنب ذنب المسلمين.

وبعد رده على هذا السؤال كتب كعابيش : أستأذنكم ربع ساعة راحة ولكن انتم اكتبوا عادى كل الأسئلة وأنا هارد بعد ربع ساعة... تحياتى وتقديرى لكم جميعاً..

د. كعابيش.

بدأ الطلبة يطرحون الأسئلة :

— ماهى التكنولوجيا؟

- ماهو التلباثي؟
- ماذا يعنى اصطلاح التيوقراطية؟
- ماهو التعريف الفلسفى لكلمة ثقافة؟
- ماهى الاثنينية؟
- ما معنى كلا من الاصطلاحات الآتية : الجبرية، الجدل، الجشطلت، الجوهر، الحتمية، الحس المشترك، حلم اليقظة.
- أرجو من حضرتك توضيح معنى حيوية المادة، الخاصة، الخلاء، الديمقراطية.
- قرأت خلود الأسئلة وردود الدكتور كعابيش عليها، ورأت أن تتصل به كى يرد على باقى الأسئلة، وخطرت ببالها فكرة جديدة، وهى أن يتولى الدكتور كعابيش الرد كل يوم خميس من السادسة مساء حتى التاسعة كما حدث اليوم ولكنها لن تنشر هذا الخبر إلا بعد موافقته.
- ما شاء الله يادكتور كلنا بنفرح لما حضرتك بتكون معانا، الساعة كانت ٣ صباحا وحضرتك بترد على أسئلة أعضاء الأسرة، إيه رأى حضرتك لو نخصص موعد أسبوعى للقاء مفتوح مع الطلبة للرد على جميع الأسئلة والاستفسارات؟
- قوى، قوى، أنا كمان هارد دى الوقت على الأسئلة

المطروحة كلها.

— اتفضل سيادتك، مع السلامة.

— مع السلامة ياخلود.

التواصل مع الطلبة أدخل السعادة لقلب د. كعابيش فلم يعودوا تلاميذه فقط بل أصبحوا جميعاً أصدقاءه وأحبابه وأصبح يمثل لهم نموذجاً للمعلم المثالي.

مازالت نادية تطبع كل ماينشر على صفحة أسرة أفكار فلسفية، فهي قبلت أن تتجسس على كعابيش وأسرته الفلسفية كي تعطى لزوجها سمير السلاح الذي يقضى به على كعابيش ويزيحه من طريقه، ولكنها رغم كل شئ لا تستطيع أن تخفى احترامها له رغم الخصومة التي تبنتها إرضاءً لزوجها فدخلت وكتبت على الصفحة:

— لن تضيع مصر أبدا مادام فيها علماء يملكون هذه الروح والعطاء «كدا لازم نتظمن على مصر».

فقال كعابيش معلقاً :

— كل الشكر والتقدير لحضرتك لكنى اختلف مع سيادتك، الأمل فى الشباب الذين يتلقون العلم ويستخدمونه للوصول إلى حياة أفضل، فإذا ما قدر الشباب الفكر والفلسفة و استخدموا الفكر فى وضع حلول لمشكلاتهم ورؤى لمستقبلهم فستحتل مصر مكانها المناسب.

تفاعل أحد المتابعين على الصفحة :

— لكن يادكتور حتى لو احنا قدرنا نفكر زى ما حضرتك بتقول، إزاي نقدر نطبق أفكارنا دي؟! فيه ناس فى البلد دي بينفذوا «التعمية» اللي حضرتك كنت بتشرحها لنا امبارح، وبيخافوا من المعرفة، وبيحاولوا يلهوا الشباب بالجنس والمخدرات والكورة والسينما الهابطة ويحافظوا على نسب الأمية والتخلف الفكرى.

— مش عاوزك تتعامل مع الواقع المأزوم اللي احنا فيه ده بالاستسلام والانهماجية دي، نصيحتى ليك انك ما تخطيش أبعد من الخطوة اللي احنا فيها دي الوقت.

— إيه هى الخطوة اللي احنا فيها دي الوقت يادكتور؟!!

— الخطوة الأولى لتغيير أى شئ وكل شئ هى المعرفة والتعود على التفكير بعمق وإيجاد حلول بديلة.

تتابع نادية كل مايكتبه فأدركت ان كعابيش فقد دبلوماسيته وبدأ يقع فى المحذور، فهذه الجمل تكفى لبقائه فى معتقلات أمن الدولة حتى الموت، وليس ترك رئاسة القسم لسمير فقط، فبدأت تطبع المحادثة الأخيرة حتى صار الملف كاملاً، عل سمير يرضى عنها.

كتب كعابيش على صفحة أفكار فلسفية عنواناً جانبياً.

اعتذار :

— لازم اعتذر لأنى قلت لكم امبارح إنى هاريح ربع ساعة
وآجى أكمل الرد على الأسئلة لكن غلبنى النوم، فانا
مش شباب زيكم ومش واخذ على السهر.

دخلت خلود وكتبت تعليقاً:

— كل الشكر والتقدير لمعلمنا العظيم الذى نحبه حباً عظيماً
مثله، ونتمنى من الله أن يظل دائماً شاباً كما هو،
وأحب أن أعلن أن سيادته قد وافق على موعد يستقطعه
من وقته الثمين لنا يوم الخميس من الساعة ٦ إلى ٩
ليرد على جميع الأسئلة.

— شكراً ياخلود، ودى الوقت هارد على الأسئلة بتاعة
امبارح وبعدين أستقبل الأسئلة الجديدة، وأبدأ فى الرد
على حسام عن التكنولوجيا، هذه الكلمة العلمية والفلسفية
ألصق الكلمات بالحياة، وأكثرها استعمالاً بحكم معناها
الشامل، هى كلمة تعبر عن دراسات الإنماء والتكامل
بكل ما تنطوى عليه من البحوث العلمية فى الصناعة
والزراعة والنقل وغير ذلك مما يدل على مستوى
حضارى يفرق بين المتقدم والمتخلف من الشعوب.

— راح كعابيش يقرأ السؤال التالى ماهى «التلثايبا».

— التلثايبا هى ظاهرة نفسية، تقوم على الاتصال بين

نفس ونفس على ما بينهما من بعد بحيث يفهم كل منهما مراد الآخر مباشرة وبلا وساطة.

— «الثيوقراطية» هي كلمة يونانية، وتعنى الدولة الدينية مثل حكم البابوات فى القرون الوسطى.

— أما بالنسبة لتعريف « الثقافة » فهى فى اللغة تعنى الحذاقة، وبالمعنى الذى نفهمه الآن، أن يتعدى العالم حدود اختصاصه بعلم من العلوم إلى الاطلاع والإلمام بالتراث وما يمكن العلم به من جديد مفيد، بخاصة الأفكار والتيارات السائدة فى عصره على أن ينظر إليها وإلى الحياة والمجتمع نظرة صحيحة، أما العالم الذى يقف عند مهنته ويجمد على دروسه فهو تماماً كالأعرج يسير على قدم واحدة.

وما إن أجاب السؤال المتعلق بالثقافة اعتقاداً منه بأنه السؤال الأخير كما رأى، ولكنه رأى إقبلاً كبيراً للطلبة وأسئلة جديدة، فراح يستقبلها كى يرد عليها بمنتهى السعادة والرضا.

— ماهى «الاثنينية» ؟

— هى فرقة تدين بالهين : إله الخير وإله الشر، لأن فى العالم خيراً وشرّاً ونوراً وظلمة ومن يخلق الخير والنور لا يخلق الشر والظلمة، وكان المسلمون الأوائل يشيرون إلى من يذهب إلى هذا الرأى بكلمة الزنديق.

— ما معنى كل من الاصطلاحات الآتية : «الجبرية»، «الجدل»؟

— الجبرية هي المذهب القائل بأن الإنسان مسير لا مخير، أما «الجدل» فهو فى الأصل فن الحوار والمناقشة، وعند سقراط تفنيد رأى الخصم باستدراجه بإلقاء الأسئلة عليه إلى أن يجيب بعبارة تناقض قوله، فيستسلم مرغماً.

— ما هو معنى اصطلاح «الجشطلت».

— الجشطلت هو لفظ المانى معناه الشكل أو الصورة، ومعنى الصورة هنا الصورة الخارجية من جهة، والبنية الباطنية والتنظيم الداخلى من جهة ثانية.

— ماذا يعنى مصطلح « الحتمية »؟

— الحتمية هي المبدأ القائل بخضوع الأشياء للقوانين الضرورية، وبهذه الحتمية يتنبأ الطبيب بما سيحدث من الأمراض عن طريق العلم بأسبابها، وأيضاً بهذه الحتمية توضع القوانين العلمية القائمة على الاستقراء، ولولاها لانسد باب العلوم، وقد ظهرت الأفكار الحتمية فى الفلسفة القديمة، وكان أكثر الذين سلموا بها الذريون القدماء، وجرت البرهنة على مفهوم الحتمية على يد العلم الطبيعى والفلسفة المادية عند بيكون وجاليليو وديكارت ونيوتن.

— ماذا يعنى مصطلح «الحس المشترك»، «حلم اليقظة»؟

— الحس المشترك هو الذى يشترك فيه الكبير والصغير والجاهل والعالم، بل الإنسان والحيوان فى كثير من المحسوسات، ومنه ما نكون على يقين من وجوده بالحس الظاهر كالطعم واللون والريح، ومنه ما يدرك بالحس الباطن كالجوع والشبع واللذة والألم.

أما حلم اليقظة فهو هذيان المخيلة المريضة حيث ينفصل الإنسان عن نفسه وواقعه وعن العالم بكامله، ويرتقى إلى عالم الوهم يبني فيه الدور والقصور ويستوى على عرش الأمر والنهى وهو فى الحضيض.

— أرجو من حضرتك توضيح معنى «حيوية المادة»، «الخاصة»، «الخلاء»، «الديمقراطية» .

بدأ يظهر الإرهاق على كعابيش، فقد فمر من الزمن ساعتان وهو أمام اللاب توب يجيب على أسئلة الأعضاء، فكتب على الصفحة:

إلى أعضاء أسرة «أفكار فلسفية» أرجو قبول اعتذارى عن باقى الأسئلة، وأعدكم أن أبدأ يوم الخميس القادم بالإجابة عنها، وذلك لشعورى بالإرهاق.

ما إن قرأت خلود هذا التعليق حتى اتصلت به فلم يرد فهو يضع موبايله صامتا حتى يستطيع الرد على الأسئلة، ويبدو أنه نسى إعادته للوضع العام، ظلت ترن عليه خلود وهو لا يسمع ولا يرد فقررت أن تذهب بنفسها كي تطمئن عليه.

خافت عليه فتحطمت قدرتها على التحكم فى نفسها
فجرت كالمجنونة ولم تفق إلا بعدما رنت الجرس وخرج
كعابيش وفتح الباب فرآها فاندesh.

— خلود إيه .. ليه .. خير..؟

— أنا آسفة.

صمتت ثم بكت بصوت عال كأنها أفاقت من غيبوبة ،
وقالت وهى تبكى :

— كنت هاتجنن عليك ، فين تليفونك؟!

— اتفضلى .

قالها ، وهو مندهش فالساعة التاسعة والنصف وهى لم
تتصل قبل المجيء ، دخلت ، وراح يبحث عن التليفون
الصامت ، فوجدها قد اتصلت به ٣٤ مرة.

— ياخبر ، أنا آسف .

— بعد ما قرئت على الفيس إنك تعبان ، ومرهق ، كنت
عاوزه اتطمئن عليك ، أنا عارفه إنك مابتحبنيش ،
وبكت ، واستمرت تتكلم وهى تبكى ، لكن انا مش
قادرة ما أحبكش .

— انت بتحبى فىّ الدكتور ، الأستاذ اللي كان نفسك
تلاقيه فى الجامعة .

- أنا عارفة إنك كتير علىّ.
- قامت معلنة رغبتها فى الرجوع لمنزلها.
- أنا هاكمل تعليمى، وهابقى دكتورة زيك.
- فضحك قائلاً :
- رُوحي يابنتى، أنا قد والدك.
- انا مروحة، بس بابا عنده ٦٣ سنة مش ٤٥ سنة
ياحبيبى.
- فضحك وهو يوصلها لباب الشقة.
- يامجنونة..
- أشعلت خلود حماسه فقرّر أن يفتح الصفحة ويرد على
باقى الأسئلة قائلاً لنفسه :
- حد يسيب الشباب اللي زى الفل دول وبنام، والله فيه أمل.
- فتح الصفحة وكتب :
- حاولت أنام ما اقدرتش أسيب سؤال من غير إجابة
لحد الصبح.
- انهالت التعليقات :
- ألف شكر يادكتور.

— حضرتك إنسان عظيم.

— أخ وصديق والله، ربنا يعلم احنا بنحبك قد إيه.

تأثر كعابيش بتعليقات الشباب خاصة ما جاء فيها من إشارات الصداقة والحب، ولم يشر أحد للأبوة، فيبدو أنهم يرونه شاباً مثلهم وهذا أسعده كثيراً، خاصة بعدما سمع كلام خلود ورأى لهفتها وخوفها عليه، فهى لم تتحمل مجرد شعوره بالإرهاق.

— كان هذا هو نص السؤال الذى لم أجب عنه، سأبدا بطرحه ثم الإجابة عليه، وسأرد على كل أسئلتكم فأننا معكم يا أصدقائى.

— أرجو من حضرتك توضيح معنى «حيوية المادة»، «الخاصة»، «الخلاء»، «الديمقراطية».

— حيوية المادة : تشير هذه الكلمة إلى المذهب القائل بأن المادة حية، وأنها تملك العقل والإحساس، وكان على هذا المذهب الماديون اليونانيون الأول وبعض الماديين الفرنسيين.

— الخاصة : وصف خارج عن ماهية الموصوف، ولكن يختص بها دون غيرها، ومن هنا سمي بالخاصة، وأيضا لايمكن استقلاله بنفسه، وقد يكون ملازماً لكل أفراد النوع كالضحك، وقد يكون ملازماً لبعض أفراده مثل الكرم.

— الخلاء : هو عند الفلاسفة خلو المكان من مادة جسمية تشغله ، وبعضهم قال بجواز هذا الخلاء ، أما المحققون فقالوا بالامتلاء ، واستحالة الخلاء .

— الديمقراطية : كلمة يونانية ، ومعناها سيادة الشعب بإرادة الشعب لمصالح الشعب بلا تمييز بين فئاته وأفراده ، وتقابلها الأرستقراطية ، بكدا نبقى انتهينا من الأسئلة القديمة وهنبداً فى الأسئلة الجديدة ، وماتقلقوش ، أنا هارد على كل الأسئلة .

دخلت خلود ووضعت سؤالاً فاندesh كعابيش وشعر بالحرج :

— «الذوق» يعنى إيه يادكتور؟

قلق كعابيش من السؤال ، وخاف أن تتجاوز خلود فى حقه ، فقد كان قليل الذوق معها ، فلم يستقبلها استقبالاً لائقاً ، لم يرحب بها ، لم يقدم لها مشروباً أو حتى كوباً من الماء وهى التى قطعت كل هذه المسافة كى تطمئن عليه فحدث نفسه قائلاً :

«لا ، لا ، خلود مخها كبير وعاقلة ، لازم أرد وكل شئ يبقى عادى وتمام» .

— أما بالنسبة لإجابة سؤال المقرر الثقافى لأسرتنا أفكار فلسفية خلود الشرقاوى ، فقد ذكر أصحاب المعاجم الفلسفية الذوق ، وقال بعضهم : هو قوة إدراكية

للطائف الكلام ومحاسنه ، وقال آخر : هو المقدره على فهم الجميل والقبیح ، وقال ثالث : إنه القوة الحاکمة على القيم الجمالية ، وعلى أية حال يا خلود فإن الذوق السليم غير العقل والعاطفة ؛ لأن العقل يتطلع للحقیقة ومن أجلها يحلل وينقب ، والعاطفة تؤثر المصلحة الخاصة ، أما الذوق السليم فبینه وبين الحسن والجمال رابطة وثيقة وتفاعل وتقارب طبيعى وفطرى .

سألت خلود سؤالاً آخر .

— ماهى «الرومانسية» وهل يستطيع الإنسان أن يعيش بدونها؟
ارتبك ثانية وحدث نفسه «أنا هارد على السؤال دا واقفل ، خلود مش ناوية تجيبها البر الليلة دى» .

— الرومانسية ياخلود اتجاه فى الأدب يتميز بالتحدى للمنطق ويتعلق بفكرة الحياة واللانهائية .

— سؤال من طالب آخر ماهى « الرواقية » يادكتور؟

— هى مدرسة فلسفية تنسب إلى الفيلسوف اليونانى زينون وكان يعلم تلاميذه فى رواق ، ومن تعاليم الرواقية أن الحكيم لا يحزن على ما فات ، ولا يفرح بما هو آت ، وأن السعادة هى الفضيلة .

— سؤال آخر ، من فضلك يادكتور عاوز أعرف ما هو «الزمانى»؟

- الزمانى هو الموجود فى الزمان، وهو مضاد الأبدى، لان الزمانى يدل على التغيير، والأبدى يدل على الثبات.
- عاوزه أعرف إيه «السبب»؟
- السبب يطلق عادة على كل ما له تأثير بجهة من الجهات، والسبب مرادف للعلة من وجودها الوجود، ومن عدمها العدم، والسبب الناقص يلزم من عدمه عدم المسبب، ولا يلزم من وجوده الوجود.
- تنفس كعابيش الصعداء، فكل شئ مر بسلام، ويبدو أنه قد أخطأ ولم يقابل خلود بطريقة لائقة، فقرر أن يغلق اللاب ويتصل بها فى التليفون ليعتذر عليها ترضى.
- ألو مين معاى؟
- خلود بصوت مبحوح يبدو أن تأثير البكاء والصراخ قطع أحبالها الصوتية فصوتها محجوب وتتكلم بصعوبة.
- أنا آسف يا خلود، أنا باعمل كدا عشان مصلحتك، الموضوع دا بيحصل كتير، الطالبة تحب أستاذها لو كان بمواصفات معينة.
- أنا مش عاوزه أفتح الموضوع دا، خلىنا فى شغلنا يادكتور.

— ماشى ، عموما احنا أصدقاء ، ولازم تعرفى إن معظم المرضى النفسيين بيحبوا الدكتور اللى بيعالجهم حب كبير قوى لأنه بيسمعهم وهما محتاجين كدا.

صرخت خلود قائلة :

— قصدك تقول على مريضة نفسياً ، أنا متشكرة يادكتور ، عموما حضرتك أستاذى وبكرة السنين تعدى وآخد الدكتوراة ونبقى زملا إن شاء الله.

يضحك كعابيش ويتعامل معها كمريضة بوهم حبه الذى ستنساه بمجرد الدخول فى أول قصة حب حقيقية.

بين السرايات

الثانية بعد الظهر، الناس هنا لا يحتاجون لحمل ساعة يد فساعة الجامعة ساعتهم جميعاً، والجامعة هي مصدر رزقهم الأساسي، يعتمدون عليها في التخطيط لمستقبلهم ومستقبل أبنائهم، فهذا يفتح سنترًا لتصوير المستندات، وآخر لتجارة الأدوات المكتبية وطباعة الرسائل العلمية، حتى الذي يفكر في إقامة مشروع آخر، يكون نجاحه أيضاً مرتبطاً بطلبة الجامعة، المطاعم والمقاهي، كل شيء هنا يعتمد على الطلبة، ويتمنى كل قاطن بين السرايات أن يكون العام الدراسي اثني عشر شهراً ليكون العمل دائماً والرزق متدفقاً ومستمرًا.

— واحد ببسأل عليك أستاذ عمرو.

— مين يا عم منصور؟

دخل مصطفى قائلاً :

— مصطفى محمود، كنت هنا باشتري ورق للشركة بتاعتنا، وقلت لازم أعدى وأسلم.

— أهلاً وسهلاً، وهو قائم من مكتبه مرحباً، تحب نقعد هنا ولا تجرب النسكافيه بتاع عم سيد؟
— نجرب النسكافيه.

خرج عمرو ممسكا بيد مصطفى قائلاً :

— خلى بالك ياعم منصور وأول ماييجى الحاج قلبه معاه واحد صاحبه على كافيتريا الجامعة.
— حاضر ياريس.

— دى خطوة عزيزة جدا يادرش، بين السرايات منورة.
— منورة بيك.

— اتفضل استريح، اتنين نسكافيه يا سيد، وقل له للى واقف على الناصبة عمرو الشرقاوى مع ضيف وخليه يعمله وصاية.

التفت إلى مصطفى قائلاً:

— احنا زارنا النبي دى خطوة عزيزة قوى يادرش.

«شاشة التليفزيون الكبيرة فى الكافيتريا تعرض مرتضى منصور وهو يشتم عمرو أديب ويهدده قائلاً: «والله لأضربك بالجزمة واقفل لك القناة السعودية دى، وانا عارف ان المحترم القطان سفير السعودية لا يمكن يرضى إن قناة سعودية تشتم المصريين وتوصفهم بأنهم كلاب».

يبتسم كل من مصطفى وعمرو:

— إيه رأيك فى اللي بيحصل دا يادرش؟

— ياعم سيبك، أنا ماليش فى السياسة.

— إزاي بقى؟! دا انت راجل مثقف وفى كلية التجارة؟

يضحك مصطفى محاولاً إخفاء ضحكته.

— أنا فخور جداً بفرحة وخلود ياعمرو، البنات دول

أجدع من أى شاب، وبيفكروا وبيشغلوا عشان يحققوا

أفكارهم ولا الدكتور كعابيش دا بيفكرك بالزعماء اللي

كنا بندرسهم فى الكتب.

— عندك حق، أنا فى الأول كنت مع خلود عشان اتطمئن

عليها وما اسيبهاش لوحدها بس دى الوقت أنا فخور

بحركة التغيير اللي بيعملها د. كعابيش.

— بس التغيير دا بطئ قوى.

— أيوه بس هيبقى تغيير حقيقى.

— انا بينى وبينك كنت زيك مكلف من بابا اكون مع

أختى، أوصلها بالعربية عشان بنخاف عليها واتعلقت

قوى بالمجموعة وبالكتور كعابيش، أنا نفسى ياعمرو

تيجى تزورنا فى المعادى وتسال علىّ كتير.

— دا يشرفنى.

قرر مصطفى أن يستبدل بأصدقاء السوء عمرو المحترم، ويعطى وقتاً أطول لدعم أخته فرحة في أسرة أفكار فلسفية، علّ التغيير يلفت نظر خلود التي لم ير مثلها أبداً.

— أسيبك لشغلك يا عمرو.

— مستعجل ليه درش؟ احنا لسة هنتغدى سوا.

— لا، أنا باتغدى الساعة خمسة أو ستة، سلام يا صاحبي.

— ألف سلامة.

أخذ مصطفى سيارته، وانطلق ذاهباً إلى منزله، وأثناء السير يجد فرعا جديداً لمحل سقارة، فيوقف السيارة وينزل.

— مساء الخير.

— اديني ٣ ازايز ٨٪ وواحدة ستلا.

أعطى له عامل المحل شنطة سوداء مغلقة قائلاً:

— ليلتك بتضحك، ٦٠ جنييه.

— اتفضل.

أخذ الشنطة وركض من أمام محل الخمرور يتلفت حوله خشية أن يراه أحد عملاء والده أو أحد الموظفين فيصل الخبر إلى والده فيطرده من البيت كما فعل به المرة السابقة، فتح السيارة بالريموت ووضع الكيس على الكنبة

الخلفية، وانطلق وقبل أن يطلع الدائرى استوقفته لجنة.

— لجنة إيه اللى فى عز الظهر دى، ربنا يستر؟!!

استوقفه أمين الشرطة:

— رخصك.

— اتفضل.

— مين ثناء محمد ابراهيم؟!!

— دى والدتى، وبعدين الرخصة سارية ورخصتى سارية،

إيه المشكلة؟

— هاقول لك حالاً.

وهو يفتش السيارة:

— إيه دا؟

ممسكاً بالكيس الذى وجده على الكنبة الخلفية.

— دول إزازتين بييرة شاريهم من المحل، عادى يعنى.

— عادى يعنى؟! طب انت من حقك تشتري عادى

يعنى، وأنا من حقى أقبض عليك عادى يعنى برضه.

— لأ مش من حقك، هى دى مخدرات؟! دا راجل فاتح

فى عز الظهر وقدامه حراسة من الشرطة.

— لا من حقى أعمل لك تحليل عشان أعرف انت سابق
وانت شارب ولا لأ.

— ياباشا الأزايذ مقفولة قدامك.

— طب اركن لى على جنب.

يقف مصطفى مع ثلاثة شباب من سنه فيسأله الأول:

— لقوا معاك إيه؟

— ازازتين بيرة.

— مققولين؟

— أيوه.

— ماتخافش هتمشى دى الوقت.

— وانت؟

— أنا لقوا معاى حنة حشيش صغيرة كنت هلفها سجارة،
حاجة غريبة قوى يا أخى يسيبوا الناس تشرب خمر
ويقتلوا بعض ويغتصبوا ويزنوا، انت عارف أغلب زنا
المحارم دا والمصايب السودا دى بيقوموا بيها ناس
سكرانين، الخمرة هى سبب كل البلاوى ومع ذلك
الحكومة بتحترم الخمورجية وفاتحة لهم الاستيراد
وموفرة كل أنواع الخمور وحاطة حراسة لمحلات البيع.

- طب ما هو الحشيش بيعمل كدا.
- الحشاش يؤذى نفسه بس، أما الخمورجى بيؤذى نفسه وكل اللى حواليه، ممكن تطلب معاه خناقة يفضل يضرب أهل بيته ويكسر كل حاجة، أما الحشاش يقعد على حنب ساكت، مسطول، لا عاوز يكلم حد، ولا حد يكلمه، ولو طلبت معاه كلام يبقى أغانى وكلام حلو.
- تدخل أحد الموقوفين :
- دا زفت ودا قطران.
- أمال انت موقفينك ليه؟
- رخصتى انتهت، عربيتى شاريتها بالقسط، وحال البلد زى ما انت شايف، الواحد بياكل بالعافية، أيام أسود من السواد، ماكناش متوقعينها أبداً.
- صاحب المعرض عامل لك قضية يعنى؟
- لأ، بس مش راضى يدينى جواب التجديد والرخصة انتهت، ومش معاى الوصل.
- كدا يامعلم لازم يكشفوا عليك وعلى العربية عشان يتأكدوا إنها بتاعتك، انت معاك بطاقة؟
- أيوه.
- بسيطة، هنتحل إن شاء الله.

- وانت إيه مشكلتك؟
- انا كنت فى الميكروباس قاعد فى آخر صف ما عملتش
أى حاجة نزلنى وطلب منى افتح صفحتى على الفيس
بوك، قلت له مفتوحة، بص فيها وقال لى انزل.
- لقى فيها إيه؟
- والله ما أعرف، وبطاقتى سارية وأنا طالب فى الثانوية
العامة، وشكلى زى ما انت شايف.
- لا، انت ابن ناس، مش شكل واحد شمال.
- تدخل أحد الموقوفين:
- دا احنا كلنا واقفين بسببك انت والألتراس.
- إزاي؟
- فيه تهديدات على الفيس بوك من ألتراس زمكواى
إنهم هيمنعوا رئيس النادى من دخول النادى وهيعتدوا
عليه رداً على سبه لهم فى وسائل الإعلام.
- ياراجل، ما انا استغربت فعلاً، لجنة فى عز الظهر
دى غريبة قوى.
- بس هو مش من حقه إنه يفتش حسابى على الفيس
بوك بدون إذن نيابة.

ضحك كل الموقوفين وقال أحدهم :

— انت فاكر نفسك فى أمريكا؟! دا ممكن يقلعك ملط هنا
فى نص الشارع ويفتشك.

جاء الضابط ومعه أمين الشرطة.

— هما دول يا أفندم.

نظر الضابط إليهم.

— بتاع الفيس بوك، بلاش يا حبيبي تضيع مستقبلك عشان
الكلام الفاضى دا.

— كلام إيه حضرتك؟

— بوست ألتراس زملكاوى انت عامل له لايك.

— دا حاجة عادية كدا باعمل لايك بشكل عشوائى، لكن
والله ما كتبت حاجة وأى واحد بيكتب يسقط يسقط
حكم العسكر باعمل له بلوك.

— تمام، رّوح.

وهو يعطى له البطاقة، ونظر لمصطفى :

— انت بتاع البيرة خد حاجتك وروح، أما بتاع الحشيش
تعالى معاى يا جميل.

- اشمعنى أنا ياباشا؟ دى سجارة الواحد بيشربها من القرف اللى هو عايش فيه.
- أحرص بقى واركب، وانت ساكت.

وما إن وصل مصطفى إلى سيارته حتى تنفس الصعداء وانطلق، فتح زجاج سيارته وقذف بالشنطة السوداء وعزم على ألا يشرب بعد اليوم ويضع نفسه فى هذه المواقف المهينة.

مذاهب فلسفية

كعادتها، تفتح خلود عينيها، ثم تفتح حسابها على فيس بك، فتدخل إلى أسرة أفكار فلسفية، فتجد عدد المشتركين زاد أمس فقط ٥٤٠ مشتركاً في يوم واحد لتفاعل الطلبة مع كعابيش، فتحت الإيميل فوجدت رسالة منه :

— الرقيقة خلود أحبك كما أحب رحمة أختي، وأعتذر لو كنت قد تسببت في ألمك، فلو كان هناك أقل وأعلى فأنت الأعلى بجمالك وثقافتك وشبابك، وأنا الأقل بشيخوختي المبكرة. احترامي لك وحبى وتقديرى أسمى من حب رجل لامرأة، فأنا وأنت شركاء فى رحلتنا الفلسفية، وأنا استكثرك على نفسى وليس العكس، دعينا نكمل ما بدأناه.. مرسل إليك ملف عن ابن رشد وكتاب pdf بعنوان مذاهب فلسفية، اطبعى منه نسخة فى السنتر عندكم، ، هتساعدك قوى فى إجابة معظم الأسئلة.

خلود : أشكرك على السعادة والأمل اللى منحتيهم لى يا فيلسوفة..

ابتسمت خلود وحملت الملف والكتاب على جهازها ثم بدأت فى قراءة الملف :

ابن رشد:

أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسى « الحفيد » (٥٢٠ - ٥٩٥) هـ ، ١٤ ابريل ١١٢٦ ، ١٠ ديسمبر ١١٩٨ م ، المعروف بابن رشد ، عالم عربى ولد فى قرطبة بالأندلس ، من أسرة عرفت بالعلم والجاه ، وتوفى فى مراكش .

إن ابن رشد يعد فى حقيقة الأمر ظاهرة علمية عربية متعددة التخصصات ، فهو فقيه مالكي ، وهو قاضى القضاة فى زمانه ، وهو ذاته طبيب نطاسى تفوق على أساتذته حتى أن أستاذه ابن زهر قال عنه : «ابن رشد أعظم طبيب بعد جالينوس» ، وهو عينه فيلسوف عقلاني ، وهو أيضا مترجم لأعمال أرسطو المرجعية للعرب والغرب فيما بعد ، وهو أيضا فلكى ذو أعمال جلييلة فى المضمار ، وهو نفسه المتكلم الذى تصدى لنقد المتكلمين باسم توافق المعقول والمنقول وعلى رأسهم الإمام الغزالي .

عرفت عائلة ابن رشد بالمذهب المالكي ، وجده أبو الوليد محمد (توفى ١١٢٦) كان كبير قضاة قرطبة تحت حكم المرابطين ، وشغل والده ذات المنصب حتى مجيء الموحدين .

يعد ابن رشد من أهم الفلاسفة العرب ، دافع عن الفلسفة ، وصحح إنتاج علماء وفلاسفة سابقين له كابن سينا

والفارابي فى فهم بعض نظريات أفلاطون وأرسطو.

درس الكلام والفقه والشعر والطب والرياضيات والفلك والفلسفة، قدمه ابن طفيل لأبى يعقوب خليفة الموحدى عام ١١٨٢م فعينه طبيباً له ثم قاضياً فى قرطبة.

تولّى ابن رشد منصب القضاء فى إشبيلية، وأقبل على تفسير آثار أرسطو، تلبية لرغبة الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف، وكان قد دخل فى خدمته بواسطة الفيلسوف ابن الطفيل، ثم عاد إلى قرطبة حيث تولى منصب قاضى القضاة، وبعد ذلك بنحو عشر سنوات ألحق بالبلاط المراكشى كطبيب الخليفة الخاص.

صوت الموبايل يقطع استمتاع خلود بابن رشد الذى لم تكن تعرف عنه إلا اسمه فقط.

— ألو... ازيك يافرحة؟

— الحمد لله، ازيك انت ياخلود، بصى يا حبيبتى أنا مش عاوزاك تزعلى منى أبداً.

— وأنا إيه اللى هيزعلنى يا عبيطة، بالعكس دا كل شئ قسمة ونصيب، لعلمك سماح صاحبتى المزة.

— آه عارفاها.

— بتموت فيه.

- قصدك إيه بالمزة يعنى؟! هي أحلى منى؟
 - بكتير يا بنتى، مافيش مقارنة، وإيه بقى، تنام وتحلم بعمر و .
 - واحنا عندنا هنا كمان واحد بينام ويصحى يحلم بخلود.
 - يا بنتى أخوكِ دا عيل، ماينفعش معاى.
 - يا عبيطة دا بيحبك، أنا اللي غلطانة.
 - ليه بقى؟!!
 - من كتر كلامى عليه وحش كرهتك فيه من قبل حتى ماتشوفيه.
 - جايز، بس اللي انا متاكدة منه إنه ماينفعش.
 - فكرى تانى، يمكن..؟
 - ربنا يسهل.
 - اعتبر دا وعد؟
 - يابنتى باقول لك ربنا يسهل، سببىنى أرجع لابن رشد.
- لكن الحكمة والسياسة وعزوف الخليفة الجديد أبى يوسف يعقوب المنصور ١١٨٤ - ١١٩٨ عن الفلاسفة، ناهيك عن دسائس الأعداء والحاquدين، جعل المنصور ينكب ابن رشد، قاضى القضاة وطبيبه الخاص، ويتهمه مع ثلثة من

مبغضيه بالكفر والضلال ثم يبعده إلى (أليسانه) وهى بلدة صغيرة بجانب قرطبة أغلبها من اليهود، ولا يتورع عن حرق جميع مؤلفاته الفلسفية، وحظر الاشتغال بالفلسفة والعلوم جملة، ما عدا الطب، والفلك، والحساب.

كانت النيران تأكل عصارة عقل جبار وسط اتهام الحاقدين بمروق الفيلسوف، وزيفه عن دروب الحق والهداية... كى يعود الخليفة بعدها فيرضى عن أبى الوليد ويلحقه ببلاطه، ولكن قطار العمر كان قد فات كليهما فتوفى ابن رشد والمنصور فى السنة ذاتها ١١٩٨، فى مراكش.

يمثل ابن رشد ردة الفعل الفلسفية على الهجمة القوية على الفلسفة التى أقدم عليها الغزالي، فابن رشد يمثل محاولة رد اعتبار الفلسفة بعد أن أصابها الغزالي فى كتابه تهافت الفلاسفة ووضع هذا الجهد فى كتابه تهافت التهافت، شروح ابن رشد على أرسطو هى أفضل شروح نعرفها فى تاريخ الفلسفة، وهو شارح لأرسطو أكثر من كونه فيلسوفاً مبدعاً ذا فلسفة خاصة، بل هو تلميذ لأرسطو-رغم وجود ١٦ قرناً بينهما- يتبنى معظم آرائه فى الطبيعة وما بعد الطبيعة.

قامت خلود ودخلت البلكونة، وبدأت تفكر فيما قاله كعابيش، وفى مكالمة فرحة، ولكنها قالت محدثة نفسها: «لا لا... مصطفى إيه التافه دا لا مستحيل». ثم دخلت المطبخ، و صبت كوباً من الشاي وعادت إلى غرفتها لتكمل قراءة ابن رشد:

«قدم ابن رشد نظرية أو موقفاً متميزاً وخاصاً ومهماً في مسألة العلاقة بين الشريعة والحكمة، أى بين الدين والفلسفة، وذلك فى كتاب (فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال).

وسنتكلم عن القسم الثالث المتعلق بالعلاقة بين الدين والفلسفة، وهذه المسألة شغلت جميع الفلاسفة من الكندي، الفارابي، الغزالي، ابن سينا، وابن رشد.

والغزالي وحده اعتقد أن الفلاسفة يخرجون من الدين عندما كفرهم فى الثلاث قضايا وبدعهم فى سبعة عشر.

ابن رشد يستأنف موقف الكندي مع شيء من التعديل، ويقول لا تعارض بين الدين والفلسفة، أى لا اختلاف بين الأمرين (الشريعة والحكمة)، وإذا كان هناك من تعارض فالتعارض ظاهرى بين ظاهر نص دينى وقضية عقلية، ونستطيع حله بالتأويل وفقاً لقواعد وأساليب اللغة العربية.

عندما ننظر إلى كتاب فصل المقال لابن رشد نجد أن ابن رشد ميّز بين الفلسفة والمنطق أو جعلهما مرتبطين.

دق جرس الباب فقامت خلود لتفتح:

— النور..

فتحت لمحصل النور واستلمت منه الإيصال قائلة :

— دقيقة واحدة.

ودخلت كى تحضر المبلغ فهم اعتادوا على دفع أقل من مائة جنيهه، فدخلت تحضرها لتدفع الاستهلاك وتأخذ الباقي، وأثناء الدخول إلى الغرفة قرأت المبلغ المطلوب ٨٤٥ جنيهه، فصرخت:

— يانهار أسود.

وعادت للمحصل:

— إزاي الرقم دا؟! دا احنا ماعندناش تكيف واللمبات موفرة وبندفع ٧٠ أو ٨٠ جنيهه كل شهر، وعمر الاستهلاك ما زاد عن ٩٥.

— أكيد دا كذا شهر، ممكن الإيصال؟

— أيوه، دا شهرين.

— حتى لو شهرين، يبقوا ٢٠٠ بالكثير.

— لأ، ما هو حضرتك لما ماتدفعيش بتخشى شريحة تانية.

— هو حضرتك جبت وصل قبل كدا واحنا مادفعناش؟!

— ياستى أنا محصل مش كشاف، روى اشتكى الكشاف، سلام عليكم.

وتركها فى زهولها، فاتصلت بأبيها الذى قال لها:

— ولا يهملك أنا هاتصرف.

فقررت أن تعود لابن رشد الذى تريد أن تعرف عنه أكثر:

«والفلسفة عند ابن رشد تعنى أن المصنوعات التى يصنعها الصانع تدل عليه، وكلما عرفنا الموجودات معرفة أتم تكون معرفتنا بصانعها أتم و الشرع ندب (المندوب أى المستحب) إلى اعتبار الموجودات والنظر بها وبيان دلالتها.

الشرع دعا إلى اعتبار الموجودات، لأن النظر فى الموجودات نظر عقلي، وهناك أكثر من آية تشير إلى اعتبار الموجودات بالعقل «فاعتبروا يا أولى الأبصار»، وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي.

«أولم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض»، «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت»، «ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض».

هذه أدلة، فابن رشد يشدد على كلمة النظر والاعتبار والتفكر والرؤية، وهى أدلة دينية على وجوب النظر العقلى فى الموجودات.

يفسر ابن رشد كلمة الاعتبار فيقول: إننا من مقدمات معلومة نستنتج نتيجة مجهولة، أى من مقدمة كبرى فمقدمة صغرى نستنتج نتيجة، إذا سلمنا بالمقدمات الكبرى والصغرى ينتج عنها بالضرورة نتيجة، وبهذا الشكل سوّغ ابن رشد دراسة المنطق.

التمييز بين أنواع الأقيسة، البرهاني قياس لمقدمتين سابقتين مثل، كل إنسان فان..سقراط إنسان.. إذن سقراط فان. القياس البرهاني: القياس الذى كلتا مقدمتيه صادقتان. (وهو القياس السليم عنده).

القياس الجدلي: القياس الذى إحدى مقدمتيه احتمالية أو كلتا مقدمتيه احتمالية. القياس المغالطي: هو القياس الذى فيه إحدى المغالطات.

أقر ابن رشد و أكد شرعية المنطق و أكد القياس بآية «واعتبروا يا أولى الأبصار».

القياس فى الفقه لا يقولون عنه بدعة، فحكم القياس العقلى نفس الشيء.

إذا تقرر أن النظر بالقياس العقلى واجب فنحن ننظر بالذى سبقونا.

ويقول ابن رشد مثل قول الكندى فى أننا يجب أن نأخذ الحقائق حتى لو كان قائلها من ملة غير ملتنا، وأن النظر فى كتب القدماء واجب بالشرع، وأن الفرد لا يستطيع أن يحصل العلم وحده ويجب أن نستفيد من بعض ومن السابقين.

شريعياً أوجب النظر العقلى فى القضايا التى توصل إلى الله وينبغى أن تتوافر فى من ينظر بهذه العلوم أمرين:

— ذكاء الفطرة.

— العدالة الشرعية والفضيلة الخلقية.

ويقول ابن رشد إذا غوى (أى ضل وانحرف) غاو بسبب النظر فى الوجود لا يمكن أن ننكر الصنعة نفسها عن الأكفاء بالنظر فيها ودراستها لأن بعض غير الأكفاء للنظر قد أخطأ.

سأل أحدهم النبى صلى الله عليه وسلم عن حل لإسهال أخيه فأشار عليه الرسول بالعسل، ولما سقاه العسل زاد عليه الإسهال فرجع إلى النبى، فقال له عليه السلام: «صدق الله وكذب بطن أخيك».

والمقصود أنه إذا مات أحد ما بسبب أنه شرق بالماء، فإن هذا لا يعنى أن نمنع شرب الماء حتى يموت الإنسان من العطش لهذا السبب، فالموت عن الماء بالشرق أمر عارض، وعن الماء بالعطش أمر ذاتى ضروري.

قال ابن رشد أيضا إن الناس مختلفون فى جبلتهم، فهناك أناس يجرى عليهم القياس البرهانى وأناس القياس الجدلي. نظر ابن رشد إلى العلاقة بين الدين والفلسفة وخلاصة موقفه فى المسألة:

مثلا إذا قررنا قضية مثل قضية العالم مخلوق، فلا يخلو هذا الوضع (أى خلق الوجود) أن يكون الشرع قد سكت عنه أو قال قولاً ما... اليقين الفلسفى البرهانى حق ولا يمكن أن يتعارض مع حقيقة ذكرها الشرع:

قول سكت عنه الشرع: يجوز الكلام فيه.

قول قرر بشأنه الشرع قولاً ما:

إما قرر بشأنه قولاً موافقاً لما قدره العقل: فلا نتكلم فيه

أو قرر بشأنه قولاً مخالفاً لما قدره العقل: فنلجأ للتأويل.

تتلخص أطروحة ابن رشد في هذه المسألة في:

— أن الشرع أوجب النظر بالعقل في الوجود و أوجب دراسة المنطق من ناحية مفسراً آية «واعتبروا يا أولى الأبصار».... معنى الأبصار القياس، وأوجب النظر في الوجود من علل الموجودات.

— الوجه الثانى أن هذا النظر ليس بدعة، وينبغى أن نأخذ به و لا يمكن أن يتحقق لفرد واحد، فهو إسهام لأفراد كثيرين فيجب أن نلجأ للأمم الأخرى.

— العلاقة بين ما يقرره العقل البرهانى وما تتفق به الشريعة، كل منهما يعبر عن الحق، والقضايا البرهانية العقلية هى حق، وما نطق به الشرع حق، والحق لا يصاد الحق بل يؤكد ويشهد له، أى ليس هناك تناقض بين الحكمة (الفلسفة) والشريعة. وابن رشد مرجعه النهائى العقل

وما إن انتهت خلود حتى نشرت الموضوع ونامت لأنها شعرت بالإرهاق، وكتبت: «ولتتابع غدا تعليقات أعضاء أسرة أفكار فلسفية».

مازالت نادية تقرأ كل ماينشر وتطبعه فى أوراق، وتضع خطوطاً أسفل مايمكن أن يستغله سمير ضد كعابيش للقضاء عليه وإزاحته من طريقه ليصبح هو رئيس قسم الفلسفة بدلاً منه.

— ألو... أيوه يا حبيبي.

— ألو، مين معاى؟

— هو فيه حد ممكن يقول لك يا حبيبي غيرى ياسمير؟!

— نادية؟! غريبة قوى أول مرة تكلميني بالطريقة دي من سنين.

— هو أنا لى غيرك يادكتور سمير يارئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة.

لمع وجهه:

— حصل ولا إيه؟

— أيوه، الفار وقع فى المصيدة.

— أنا جاى حالاً.

— وانا فى انتظارك يا حبيبي، لما تيجى هاقول لك كل حاجة.

عاد سمير إلى منزله بسرعة البرق :

— فين ، فين؟

— هو إيه اللي فين؟

— السلاح اللي هاقضى بيه على كعابيش للأبد وأزيحه
من قدامى.

— اهدا، واسمع كلامى ، ونفذه بالحرف الواحد.

جلس سمير كطفل صغير مستسلماً ومستعداً لتنفيذ أى
شئ تقوله نادية ليتخلص من كعابيش :

— أقرأ الملف دا ، بلاش تقراه كله ، أقرأ الكلام اللي تحته
خط أحمر ، والكلام اللي تحته خط أخضر.

وهى تعطيه ملفا به أوراق فأخذها وبدأ يتفحصها :

— طب الخطوط دى معناها إيه؟

— بص ياسيدى ، الكلام اللي تحته خط أخضر كلام خطير
بس ممكن يفلت منه ، بس الكلام اللي تحته خط
أحمر لازم يوديه فى داهية.

— إزاي بقى؟

— اسمعنى ، ونفذ اللي هاقول لك عليه.

— قولى ياروحى.

- انت هتتصل بالأمن الوطنى ، وتسلمهم الملف دا ، وتديهم الرابط بتاع الصفحة.
- يعنى إيه الرابط بتاع الصفحة يا حبيبتي ، انت عارفة أنا ماليش فى الحكايات بتاعتكوا دى.
- كله موجود فى الصفحة الأخيرة ، انت هتتصل وتطلب المقابلة ، تبقى ضربت عصفورين بحجر واحد ، أول حاجة هيعرفوا مين اللى عنده وفاء للوطن وخايف على مستقبله ومين اللى بيحرض الشباب على الثورة.
- تمام.
- وأول مايتشال كعابيش هتبقى انت رئيس القسم على طول بدون كلام ، إيه اللى هيخليهم يعملوا تحريات عن محمود سراج وهما عندهم واحد جاهز ، وطنى ومتعاون وبيخاف على مصلحة الوطن.
- يسلم مخك ، طبعا صح.
- بس أهم حاجة إنك تاخذ تعهد بإخفاء اسمك كمبلغ ودا من حقت قانوناً.
- ربنا يخليك يانا دية.
- وأخذ يقبلها ، وهو يضحك ضحكة تشبه ضحكات المجانين ، فخافت منه ورجعت خطوتين للخلف.

شرطة الفكر

امتألت روح كعابيش بموجات من الأمل، فمصر ستكون أسعد حالاً عندما يتولى هؤلاء الشباب المسؤولية، نقاشاتهم وأسألتهم توحى بفكر وطاقه يمكنها أن تمنح الدفاء لوطن عانى من البرودة القارسة، ويحلم بحضن أبنائه، أخذ قلمه وأوراقه وجلس فى مكانه الذى يحب أن يكتب فيه عادة - مكتب والده فى المنزل - وبدأ فى كتابة مقال يحمل هذا المعنى، ويعتذر فيه للشباب ولنفسه التى كانت دائماً ترفض فكرته عن شباب الجامعة الذى لا يهتم إلا بما هو تافه وسطحى، فهؤلاء الخمسة ليسوا مجرد تلاميذ يتلقون علومهم على يده بل هو الذى أصبح تلميذهم الذى تعلم منهم أن اليأس عار على عقول متقدمة وقلوب تنبض بالحرية وتبحث عن المجد.

طرق شديد على باب الشقة كأن عصابة سطو مسلح تريد كسر الباب واقتحام الشقة، هرول كعابيش فاصطدم بأمه وأخته رحمة اللتين اندفعتا لاجئتين إلى غرفته خوفاً من صوت الاقتحام.

— ماتخافيش ياماما ، ماتخافيش يارحمة .

وهو يحيطهما بذراعه :

— إن شاء الله خير .

اتجه نحو الباب ، لم يستطع وضع عينيه ليرى من العين السحرية ، فالطرق شديد والباب يهتز من قوة الخبط ، تمالك قواه ، وفتح الباب ، بينما اختبأت رحمة فى حزن أمها التى كانت تحتمى بظهر كعابيش .. دخل سبعة كائنات أمنية بملابس مدنية .

— ممكن أعرف حضرتك مين؟

قالها كعابيش لأحدهم ويبدو أنه قد اختاره لأنه أضعفهم بنياناً ، فهو قصير القامة ، ويلبس نظارة طبية ، ويبدو عليه عدم القدرة على الوقوف طويلاً ، فهو بدين والحمل على ساقيه كبير .

— خمس دقائق وتعرف كل حاجة ، من فضلك تيجى معانا بهدوء ودون أى مقاومة .

— أجي معاكم فين؟! ممكن أعرف حضرتك مين .

— مباحث أمن الدولة ، أقصد الأمن الوطنى .

تعجب كعابيش ، وأعاد النظر فيهم ، وحدث نفسه كيف دخل هؤلاء كلية الشرطة ، يبدو أن الوساطة كانت كبيرة جداً .

- ممكن أشوف الكارنيه؟!
- اتفضل.
- وأعطى له الكارنيه.
- ممكن طلب الضبط والإحضار الصادر من النيابة؟
- لا، حضرتك مش مطلوب فى جريمة، دا مجرد سؤال وترجع على طول.
- قالها الضابط القصير.
- ممكن أغير هدومى؟
- اتفضل.
- غير كعابيش ملابسه، واتصل بالمحامى وطلب منه أن يأتى حالاً.
- قاوم كعابيش إحساس الرعب الذى سيطر عليه حتى لا يصل لأمه وأخته الغارقتين فيه أصلاً.
- اطمنى ياماما كلها ساعة وارجع إن شاء الله.
- والتفت ناظراً بحنان لرحمة:
- خلى بالك من ماما يارحمة.
- خرج معهم وأغلق خلفه باب الشقة، فصرخت الأم صرخة كانت تقاومها من الخوف المسيطر والقلق على ابنها الوحيد.

فى جابر بن حيان ، كعابيش فى غرفة مكتب :

— تشرب إيه حضرتك؟

قالها عسكرى يبدو أنه عامل فى البوفيه.

— مش عاوز أشرب حاجة.

خمس ساعات مرت ، ولم يتكلم أحد مع كعابيش فأغمض عينيه أملاً فى الاحتفاظ ببعض ما تبقى من هدوئه ، وأفاق على سؤال من أحدهم.

— انت بقى كعابيش؟

فتح عينيه :

— عبدالحميد محمد كعابيش ، دكتور ، ورئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة ، ووالدى محمد كعابيش وزير الصحة الأسبق ، عضو الحزب الوطنى.

فضحك الرجل قائلاً :

— احنا عارفين كل دا يادكتور.

— ممكن أعرف أنا هنا ليه؟

— بص يا حبيبى ، بلاش تهزأ نفسك.

— نعم؟!!

قالها كعابيش متعجباً مصدوماً، فهو لم يتعرض لهذه الإهانة من قبل.

— مستغرب ليه أنا ممكن أمسح بيك بلاط المكتب هنا، وأضربك بالجزمة ياروح أمك.

— هو فيه إيه؟ انت بتعمل كدا ليه؟!

— يعنى ياروح امك انت مش عارف؟!

— والله ما عارف، يارب، يارب.

— هو أنا عملت حاجة؟! ممكن تقول لى؟!

— انت هتستعبط؟

— من فضلك، أنا ماينفعلش تكلمنى كدا، أنا.....

دخل عليهما رجل بملابس مدنية، ولكن يبدو عليه أنه ضابط غير الذين قابلهم كعابيش من قبل.

— هو فيه إيه محمد بيه؟! إيه اللي انت بتقوله دا؟! حد

يكلم دكتور جامعة بالشكل دا، أمال تعامل الحرمية إزاي؟!

تنفس كعابيش الصعداء، وشعر أن فرج الله قد أصبح قريباً.

— احنا آسفين يادكتور.

— أبداً، أبداً، كان الله فى العون.

— تمام، أهو دا الفرق بين التعامل مع العامة والتعامل مع المثقف .

قالها ناظراً للضابط الأول.

— هو فيه إيه بالضبط، انتوا جايبنى هنا ليه؟!!

نظر إليه الضابط نظرة شر فألقى الرعب فى قلبه مرة أخرى وقال فى نفسه :

«يبدو أنهم كلهم أشرار».

— بص يادكتور، الكلام اللي انت بتكتبه على الفيس بوك دا اسمه تحريض على أعمال شغب، وتكدير للسلم العام، ومحاولة لقلب نظام الحكم.

— نعم؟!!

— أنا فاهم إن انت ماتقصدش، بس فيه شباب من اللي قبضنا عليهم لقينا معاهم كلام عن دور الفلسفة فى نجاح الثورة الفرنسية.

— دا كلام مقرر على الطلبة.

— ما أنا قلت كدا برضوا، عشان كدا هاسيبك تروح، بس الكلام يبقى داخل قاعة المحاضرات بس، احنا دى الوقت عندنا شرطة لمراقبة الإنترنت.

— شرطة فكر؟!!

- ايوه شرطة بتتحرك بطريقة استباقية بنقبض على المجرم اللي بيفكر يعمل جريمة.
- أنا مستعد أروح المحكمة، لو فيه حرف واحد ضد مصلحة البلد دى.
- مش انت اللي تحدد إيه هى مصلحة البلد يا عبد الحميد، فوق أحسن لك، أنا هاسيبك المرة دى، بس لازم تلم نفسك شوية عشان خاطر أمك وأختك.
- حاضر، ممكن أمشى.
- مع السلامة ومش عاوز أشوف وشك تانى عشان أنا ماحدث فى مصر بيشوفنى مرتين.
- يعنى إيه سيادتك؟!؟
- يعنى لو شفتنى مرة تانية تعرف إن انت انتهيت يا كعابيش.
- خرج كعابيش فاتصل فوراً بأمه.
- الحمد لله إنكم بخير ياماما، ما فيش حاجة، أنا جاى.
- خلود وسماح عمرو ومصطفى وفرحة مع رحمة هنا فى الأوضة، وماسابوناش ولا لحظة يابنى، تعالى بسرعة احنا كلنا فى انتظارك.

وما إن دخل كعابيش إلى بيته حتى تنفس نفساً عميقاً وقال :

— الحمد لله ، رب ضارة نافعة ، أنا أول مرة أحس ان بيتنا جميل يشبه جنينة جميلة مليانة زهور ، أهلاً وسهلاً .

وهو يسلم على الأعضاء الخمسة لأسرة أفكار فلسفية .

— أهلا ياخلود .

— حمدا لله على السلامة يادكتور .

— أهلا ياعمرو .

— حمدالله على السلامة .

— ومصطفى هنا كمان ، وسماح وفرحة؟ الله ، الله ، لأ ، دا أنا كدا أخليهم ياخدوني كل أسبوع عشان أشوفكم .

— بعيد الشر عليك يا حبيبي .

قالتها أمه ، بينما رحمة تقبل خده .

— حمدا لله على السلامة يا آبيه .

وقف كعابيش وسط دائرة مكونة من خلود وسماح وفرحة ورحمة وعمرو ومصطفى وقال :

— احنا عندنا اجتماع دى الوقت حالاً .

— هو دا وقته يادكتور؟! احنا نسيب حضرتك تستريح دى الوقت .

— أنا راحتى فى إنجاز المهمة، واحنا كدا نبقى ماشيين فى الطريق الصبح يا مصطفى.

— بص يادكتور، أهم حاجة فى نشاط الأسر الرحلات، وأنا شايفة إن حضرتك أكثر واحد فينا محتاج تغيير جو، أنا هاعمل لكم رحلة يومين لاسكندرية، ولا انت رأيك إيه ياخلود؟!

قالتها فرحة.

— موافقة، ونروح مكتبة الإسكندرية، عشان عمرى مارحتها.
— موافق.

قالها كعابيش، وواصل كلامه: وممكن نعمل أمسية كبيرة فى قاعة الندوات فى المكتبة.

— إيه رأى حضرتك يادكتور إن احنا نعمل زى سقراط؟
— إزاي ياسماح؟

— نطرح على حضرتك الأسئلة و حضرتك تجاوب فالناس تستفيد بالجدل وتوصل للحقيقة.
— عظيم.

نظر عمرو لسماح كأنه يراها للمرة الأولى.

— فعلاً ياسماح دى فكرة جميلة، واحنا كلنا ممكن نشترك فيها.

قالها عمرو، فطارت سماح من الفرحة، فمالت عليها
خلود قائلة :

— ماشية معاكِ ياست سماح.

— حمدالله على السلامة يادكتور.

— الله يسلمك يامصطفى.

— والله لما فرحة أختي قالت لى كنت هاتجنن، وسبت
اللى فى إيدى وطرت بالعربية، على فكرة احنا كنا
سايبنهم بس متابعين كل حاجة، لكن والله لو كانوا
حجزوك لكنت قلبت الدنيا، دا حضرتك قيمة كبيرة،
ومافيش دولة فى العالم بتعامل العلماء بالشكل دا.

— كنت هتعمل إيه يا عنى؟!!

— قالتها خلود.

— كنت هاجمع آلاف الشباب، فى ساعة زمن نكون
معتصمين قدام أمن الدولة لغاية ما يخرجوه، ولو
ماخرجش، كنا هنصعد الموقف لأكبر من كدا بكتير.

ابتسمت خلود وهى تنظر لمصطفى، فقد تغير أسلوبه فى
الحديث وأصبح راقياً، فنادت فرحة بصوت عالٍ:

— مين هيدفع اشتراك الرحلة؟

رحلة فلسفية

تولت فرحة قيادة نشاط الأسرة للمرة الأولى ، فخلود هي التي كانت تتصدر المشهد طوال الفترة السابقة ، ولكن الكرة الآن في ملعب فرحة التي تجيد تنظيم الرحلات ، وجبات ، فقرات ترفيهية ، مسابقات ، بهجة ، سعادة. تألقت فرحة بعدما تم الاتفاق بينها وبين خلود على أن تتولى فرحة الرحلة الترفيهية فى اليوم الأول، بينما تتسلم خلود المسؤولية فى اليوم التالى فى مكتبة الإسكندرية.

سعد كعابيش بعائلته الجديدة التي تخاف عليه وتسانده وترفه عنه إذا كان حزيناً ، بمجرد وصول الأوتوبيس إلى المنشية حيث بيت الطلبة وضعوا حقائبهم وانطلقوا إلى البحر ، فالיום رحلة وانطلاق وسعادة.

— خليك جنبنا ل احسن تنوهى ياست سماح ، مش ناقصين مشاكل ، خلى بالك منها والنبي ياعمرو يا أخوى.

قالتها خلود ، وهى تتأهب لتركهما وحدهما على الشاطئ كى يقتربا.

- هو انت أول مرة تيجى هنا ياسماح؟
- لأ طبعا، بس أول مرة أروح أى مكان من غير بابا، انت طبعا عشان راجل يا عمرو مش هاتحس باللى أنا هاقوله لك، أنا ما اعرفش أعيش من غير بابا، لازم يكون معاى مش عارفة إزاي هابات هنا النهاردة؟! المرة دى أول مرة أبات برة البيت من غير بابا.
- ربنا يخليه لك.
- البنات دايمًا بتحتاج لحماية راجل، عشان كدا ربنا أمرنا بطاعة الأب والزوج واحترامهم.
- ابتسم عمرو محدثًا نفسه:
- احترم نفسك بقى، البنات بتتقدم لك رسمى أهو، بطل افترا.
- تحبى تنزلى البحر ياسماح؟!
- لأ، لأ.
- ليه لأ، هننزل أنا وانت واختى خلود انتم لوحدكم وأنا هاخلى بالى منكم.
- مدام هنبقى فى حمايتك، وهتخلى بالك مننا، أنا موافقة ياعمرو.

وما إن نزلت سماح البحر حتى وقع غطاء الرأس الخفيف
الذى أتت به للبحر، وشفت الملابس الطويلة فظهر الجمال الذى
تأمر عليها ونفذ ما كان يريد، أراد الظهور فظهر، وأضاءت
سماح التى أخذت الترتيب الأول فى جمال فتيات الرحلة.

— ياخبر ياخلود، مش قلت لك بلاش البحر، أهو
الإيشارب وقع، يارتنى كنت لابسة الخمار، أنا غلطانة
إنى سمعت كلامك.

— بصى ياسماح أنا مابفهمش فى الدين زيك، بس فيه
حديث عن الرسول بيبيح الرؤية الشرعية، وإن العريس
يشوف كويس جمال العروسة مدام غرضه شريف، أنا
سمعت كدا فى التليفزيون.

— هو صح بس بالشكل اللى انت بتقوليه دا، الحديث
بيأمر الرجل الراغب فى الزواج بالنظر فى كل مكان
فى جسد المرأة من أجل الزواج، بس دا حديث ضعيف

— بصى بقى ما تبقيش عبيطة، احنا عاوزين نجنن عمرو،
نهوسه، و أنا بأقول لك أهو، فرحة بترسم عليه، وهو
ممكّن يخطبها، وقد أعذر من أنذر.

— ياخبر، طب انت شايفة إيه؟ أقول لك؟ أنا معاك
ياخلود، من إيدك دى لإيدك دى.

— معاك فلوس هنا؟

— ايوة الحمد لله.

— تعالى نشترى طقم بنطلون وبلوزة ألوانهم حلوة، وسيبى
الباقى علىّ.

— حاضر، ربنا يسامحنى، بس أهم حاجة عمرو ما
يضعش منى ياخلود، وأنا هاسمع كلامك، مش انت
هتبقى عمتى.

— أيوه عمتك وعمة أولادك إن شاء الله.

لم تكف النقود التى كانت مع سماح فدفعت خلود
الباقى لتخرج عليهم ليلاً كقمر يحبه كل الناس ويتمنون
رضاءه، ولكنه لا يحب الا عمرو، فرك عمرو عينيه، فهو لم
يكن يتوقع أن كلام خلود عن سماح صحيح، فهى فاتنة،
وجميلة، وشهية، ولكن يبدو أنها فقدت النطق، فمن
لحظة ما غيرت شكلها لم تتكلم كلمة واحدة.

— ماشاء الله، انت قمر ياسماح.

قالها عمرو، فابتسمت، ولم ترد.

نادت فرحة على خلود.

— هو الدكتور مارضيح ييجى معانا ليه؟!

— أصله قرر إنه يتحدى شرطة الفكر، ويكتب عن ابن
رشد، وباقى الفلاسفة العرب.

- طب وانت بكرة هتعملى إيه فى ندوة مكتبة الإسكندرية؟
- أنا هاوزع الأسئلة علينا احنا الخمسة ، والدكتور كعابيش يرد ، فيحصل تناغم جميل ، ويبقى إيقاع الندوة سريع وجذاب .
- تمام .

ظل كعابيش جالساً فى غرفته بالاسكندرية عازماً على أن يستمر فى حركة التنوير التى تقودها أسرته فى الجامعة ، ففتح صفحة أسرة أفكار فلسفية وبدأ يكتب :

الحلاج : ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه .

أو أبو عبد الله . ١٢٠٧ / ١٢٧٣ هو الحسين بن منصور ، وكنيته أبو مغيث

وُلد عام ١٢٠٧ ، بقرية تابعة لبلدة البيضاء الفارسية ونشأ بواسط ، العراق ، رحل إلى بلاد كثيرة ، منها مكة وخرسان والهند وتعلم السحر بها ، وأقام أخيراً فى بغداد ، العراق درس علوم الدين ، ثم سلك طريق الصوفية على يد الشيخ سهل بن عبدالله التستري .

صحب جماعة من المشايخ الصوفية كالجنيد بن محمد وعمرو بن عثمان المكي ، وأبى الحسين النورى ، وكان بعض مشايخ الصوفية أمثال أبو العباس بن عطاء البغدادي ، و محمد بن خفيف الشيرازى ، وإبراهيم بن محمد النصر

أبازى، له مريدون يصححون له حاله، ودونوا كلامه، حتى قال ابن خفيف: الحسين بن منصور عالم ربانى.

قال أبو عبد الرحمن السلمى: سمعت إبراهيم ابن محمد النصر أبازى وعوتب فى شيء حكى عن الحلاج فى الروح فقال للذى عاتبه: إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج.

قال أبو عبد الرحمن: وسمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبلى يقول: كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً، إلا أنه أظهر وكتمتُ.

وقد روى عن الشبلى من وجه آخر أنه قال وقد رأى الحلاج مصلوباً: ألم أنهك عن العالمين.
أقواله:

- ما انفصلت البشرية عنه، ولا اتصلت به.
- من ظن أن الألوهية تمتزج بالبشرية أو البشرية بالإلهية فقد كفر.
- حجبهم بالاسم فعاشوا، ولو أبرز لهم علوم القدرة لطاشوا، ولو كشف لهم عن الحقيقة لماتوا.
- وكان الحلاج، يقول: إلهى!. أنت تعلم عجزى عن مواضع شكرك، فاشكر نفسك عنى، فإنه الشكر لا غير.

- أسماء الله تعالى، من حيث الإدراك اسم؛ ومن حيث الحق حقيقة.
- لايجوز لمن يرى أحداً، أو يذكر أحداً، أن يقول: إني عرفت الأحد، الذى ظهرت من الآحاد.
- من أسكرته أنوار التوحيد، حجبته عن عبادة التجريد؛ بل من أسكرته أنوار التجريد، نطق عن حقائق التوحيد؛ لأن السكران هو الذى ينطق بكل مكتوم.
- وسئل الحسين: لم طمع موسى - عليه السلام - فى الرؤية وسألها؟. فقال: لأنه انفرد بالحق، وانفرد الحق به، فى جميع معانيه. وصار الحق مواجهه فى كل منظور إليه، ومقابله دون كل محذور لديه؛ على الكشف الظاهر إليه، لا على التغييب؛ فذلك الذى حمله على سؤال الرؤية لاغير.
- عن الحلول يقول: إِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ هِيَ تَوْحِيدُهُ، وَتَوْحِيدُهُ تَمَيُّزُهُ عَنِ خَلْقِهِ، وَكُلُّ مَا تَصَوَّرَ فِي الْأَوْهَامِ فَهُوَ - تعالى - بِخِلَافِهِ، كَيْفَ يَحُلُّ بِهِ، مَا مِنْهُ بَدَأَ.

فلسفته

عن الشيخ إبراهيم بن عمران النيلي أنه قال: سمعت الحلاج يقول: النقطة أصل كل خط، والخط كله نقط مجتمعة، فلا غنى للخط عن النقطة، ولا للنقطة عن الخط،

وكل خط مستقيم أو منحرف فهو متحرك عن النقطة بعينها، وكل ما يقع عليه بصر أحد فهو نقطة بين نقطتين، وهذا دليل على تجلّي الحق من كل ما يشاهد وترائيه عن كل ما يعاين، ومن هذا قلت: ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله فيه.

لم يلتفت كعابيش للتعليقات لأنه يريد أن ينشر على الصفحة رصيذاً كافياً ينفع الطلبة فربما يُقبض عليه فى أى وقت فقد عرف مما حدث أهمية مايفعل، ولكنه يجب أن يطمئن على أسرته ويتفقد احوالهم.

— ألو... هو مين معاى؟

— حضرتك اللي متصل.

— أيوه، دا تليفون خلود؟!

— أيوة، بس هما بيحجيبوا حاجة، وسايبين الموبايلات معاى.

— مين هما؟!

— خلود وفرحة ورحمة.

— أنا عبد الحميد كعابيش.

— أهلا يادكتور، أنا مصطفى أخو فرحة.

— خلى بالك منهم يادرس.

— اتظمن حضرتك.

وما إن وصلوا حتى أخبر مصطفى خلود بأن الدكتور
كعابيش قد اتصل.

— وانت إيه عرفك انه الدكتور كعابيش؟!

— ما انا رديت عليه.

— رديت إزاي يعنى (وغضبت) إزاي ترد على تليفونى؟!

— وانت إزاي تسيبى تليفونك معاى؟ أنا ما ينفعش حد
يزعق لى كدا.

ووجه كلامه لأخته فرحة:

— فهميها حاجة دى، مشيراً إلى خلود.

تركهم مصطفى، فجرت رحمة وراءه لتطيب خاطره دون
جدوى.

أخذت خلود الموبايل وقررت أن تكلم كعابيش، محدثة
نفسها:

«أكيد زعل دى الوقت، أعمل إيه ياربى، هيفكر إنى
كنت مع مصطفى لوحدها، أعمل إيه؟! منك لله يامصطفى».

— مساء الخير يادكتور.

— مساء النور ياخلود، أنا كنت قلقان عليكم بس اتطمنت
لما رد علىّ مصطفى، أوعوا تروحوا فى أى حتى
لوحدكم، خلوا مصطفى معاكم.

— نخلى مصطفى معانا؟!!

بدهشة قالتها خلود.

— ماشاء الله عليه، شهم جداً وراجل هو فى كلية إيه؟

— فى تالته تجارة.

— إنسان جميل، فعلاً، وجرئ، شفت لما قال إنه
كان هيحاصر مقر أمن الدولة هو وألف شاب عشان
يخرجونى، مش مهم أنا، المهم إن فيه شباب رجالة
فى مصر، ممكن تعمل كدا عشان واحد مظلوم، هى
رحمة معاكم ياخلود؟

— أيوة يادكتور، اظمن.

— خلوا بالكم من بعض.

— حاضر.

عاد كعابيش للكتابة على صفحة أفكار فلسفية، فهو
مازال مع الفلاسفة العرب.

أبو الحسن العامرى

٩١٢ : ٩٩١ م، ٣٠٠ : ٣٨١ هـ

(من كبار فلاسفة القرن الرابع الهجرى)

أبو الحسن محمد بن يوسف العامرى النيسابورى، ورد ذكره فى كتابى «المقابسات» و«الإمتاع والمؤانسة» لأبى حيان التوحيدى، و«تجارب الأمم وتعاقب الهمم» لمسكويه، ولا تشير هذه المصادر إلى أصله، لذلك لا يمكن الجزم إن كان أصله عربياً بناءً على نسبته إلى العامرية، أو فارسياً بناءً على نسبته إلى نيسابور وخراسان؛ لأن كثيراً من العرب قد قطنوا بعد الفتح العربى الإسلامى أقاليم فى فارس وغيرها، وأضافوا إلى أنسابهم العربية انتسابهم إلى المدن أو الأقاليم الفارسية كأبى الفرج الأصفهانى مثلاً، وهو عربى أموى، فضلاً عن ذلك فإن بعض الأعاجم كانوا من المواليين للقبائل العربية فانتسبوا إليها.

ولد محمد فى نيسابور عام ٩١٢م، وتعلم فيها العلوم الدينية، ثم انتقل إلى بلخ، حيث تتلمذ على يد أبى زيد البلخى وتعلم منه الفلسفة، وبعد وفاة معلمه، انتقل إلى «طشقند» حيث علم الفقه وأصول الدين والمنطق، ثم انتقل إلى بخارى حيث كتب كتابه الشهير «السعادة والإسعاد» ثم انتقل إلى نيسابور وعاش من ٣٤٢-٣٥٢، ثم انتقل إلى الرى حيث أقام خمس سنوات.

وكان فيلسوفاً معاصراً لابن سينا، يقول أبوحيان التوحيدى فى «الإمتاع والمؤانسة»: «إنه كانت بين العامرى وابن سينا مباحثات فى الفلسفة، وقد كتب ابن سينا كتاب الأجوبة على سؤالات سأل عنها أبو الحسن العامرى»، وفى «المقاسبات» يقول أبو حيان: «كان العامرى من أعلام عصره، وكان متبحراً فى الفلسفة اليونانية منكباً على كتب أرسطو، وله على بعضها شروح»، «وإن العامرى سكن بالري، وهى من ضواحي طهران الحالية، خمس سنين جُمعةً أى متواصلة- ودرّس وأملى وصنّف وروى، ولم يأخذ مسكويه عنه كلمة واحدة، ولا وعى مسألة، حتى كأن بينه وبينه سداً.

واتصل العامرى بابن العميد الوزير الكاتب وقرأ معاً عدة كتب، ثم قدم بغداد سنة أربع وستين وثلاثمئة، ولقى من البغداديين عنناً شديداً ومناكدة، وذلك أن طباعهم معروفة بالحدة وشراسة النفس وذلك تابع لهوائهم وترابهم».

قابلت خلود مكالة كعابيش بدهشة، ماذا يقصد بالضبط؟! أكان يلفت نظرى لمصطفى، أم أن إعجابه به حقيقى؟! فى كل الأحوال فأنا قد أخطأت فى حق مصطفى، ولا بد أن أعتذر له.

— لا، أبداً، ما فيش حاجة.

— أنا كنت قليلة الذوق معاك.

— ليه كدا؟! انت بتكبرى المواضيع قوى ياخلود، أحنا زملا فى أسرة واحدة.

هذا وفرحة تراقب الموقف من بعيد، مصطفى يحدث خلود، وسماح قد انطلقت مع عمرو، وبعد أن كانت غارقة فى بحر الخجل تحدثه كأنهما كانا معاً منذ سنوات طويلة:

— كان عندى مشكلة غريبة فى حياتى، لغاية دى الوقت مش عارف إزاي دا حصل.

— قصدك موضوع الجامعة؟ خلود قالت لى، دى مش مشكلة ولا حاجة، ادخل التعليم المفتوح لو عاوز، وادرس أى حاجة كان نفسك فيها، التعليم دى الوقت بقى سهل فى مصر، لأنه مابقاش بيوصل لأى حاجة.

— يعنى انت لو اتقدم لك واحد ما كملش تعليمه زى كدا ترضى تتجوزيه؟!

كاد قلب سماح أن يتوقف من السعادة، فجاء إليهما خلود ومصطفى وفرحة التى قالت :

— إيه، نقول مبروك؟!

— إيه اللى بتقوليه دا يافرحة؟! لأ مايصحش كدا، إيه البواخة دى؟!

وغضبت سماح وتركتهم ومشت وحدها فلحق بها عمرو.

- هي قالت حاجة زعلتك؟!
- لأ بالعكس، بس أنا مش عاوزة أفرض نفسي عليك.
- باحبك ونفسي اتجوزك.
- طب قول والله.
- والله، باحبك وعاوز اتجوزك.
- طب قول والله العظيم.
- والله العظيم باحبك وعاوز اتجوزك.
- طب قول والله العظيم تلاتة.
- والله العظيم تلاتة، باحبك وعاوز اتجوزك.
- وأنا والله يا حبيبي عمري ما اتخيلت حد فى الدنيا ممكن يبقى جوزي إلا انت.
- وبكت، وهى تقول، لو سمحت سيبنى أجرى على البيت بسرعة، عاوزه أصلى، سيبنى أصلى وأشكر ربنا اللى وقف جنبى.
- وتركتهم وجرت لتصلى لله الذى أعطاها رجلاً هو كل ما تتمناه من هذه الدنيا.
- ظل كعابيش فى غرفته يكتب عن شخصية الفيلسوف العربى أبى الحسن العامرى.

ترك العامري جملة من المؤلفات أهمها: «شروح على كتب أرسطو» ثم «النسك العقلي»، و«الإبصار والمبصر»، و«الإعلام بمناقب الإسلام»، و«السعادة والإسعاد فى السيرة الإنسانية» ثم مجموعة كتب ورسائل تشمل: «إنقاذ البشر من الجبر والقدر» ثم «التقرير لأوجه التقدير».

يمكن عدّ العامرى من الفلاسفة العقليين، فكان يذهب مذهب المعتزلة فى تقديسه العقل ورفضه الجبر، وهذا واضح فى كتابه «النسك العقلي» حيث يرى كما يخبر التوحيدى أنه «عدّ رِدْع النفس عن غوايتها لا يتم إلا بالعقل، فالعقل هو المعوّل عليه فى كل مسألة، لأنه لما كان الله تعالى واهب العقل، فهو الذى يضيء العقل ويساعدنا على حل مشاكلنا، وعلى هذا أخذ العامرى بمبدأ المعتزلة فى القبح والحسن العقليين، فالقبيح ما يقبّحه العقل، والحسن ما يحسنه العقل، ويلزمه عن مذهبه هذا فى العقل».

ومثلما يلزم عند المعتزلة رفضه للجبر، وهذا يظهر فى كتابه إنقاذ البشر من الجبر والقدر» فالإنسان يملك الإرادة الحرة، والقدرة على الفعل، لأنه يملك العقل، ولما كان الإنسان عاقلاً حكيماً لزم بالضرورة أن يكون فاعلاً، «فالحكمة مقتضية لوجود الفعل، والقدرة مبرزة لذات الفعل، والإرادة مزيّنة لنفس الفعل».

وما إن انتهى كعابيش من كتابته عن أبى الحسن العامرى حتى اتصل بخلود.

— انت سايبه كل الشغل علىّ يا أستاذة؟! أنا نشرت الحلاج وأبوحسن العامرى، وانت بتتفسحى، براحتك ياسيادة المقررة الثقافية.

— احنا هنروح سينما بالليل، تيجى معانا؟

— لأ خدوا رحمة، مش مصطفى هيكون معاكم؟

— أيوة مع أخته فرحة.

— كدا تمام، أنا كدا متظمن عليكم، سهرة سعيدة.

— كان نفسى تبقى معانا.

— يا بنتى انتم شباب زى بعض، زى النغم المتجانس، لكن أنا نعمة شاذة هتبوظ اللحن.

— براحتك، عموما استعد، بكره يومنا احنا فى مكتبة إسكندرية.

— إن شاء الله هتكون أمسية رائعة.

وما إن أنهى المكالمة مع خلود واطمأن على أسرته التى صارت كل حياته، حتى عاد يكتب عن الفلاسفة العرب والمسلمين فى صفحة أسرة أفكار فلسفية.

د. زكى نجيب محمود

١ فبراير ١٩٠٥ - ٨ سبتمبر ١٩٩٣ مفكر وفيلسوف مصرى

ولد فى قرية ميت الخولى، دكرنس، الدقهلية، مصر، وحصل على الدكتوراة فى الفلسفة من لندن ، وعين مستشاراً ثقافياً للسفارة المصرية فى واشنطن، وعضواً فى المجلس الأعلى للثقافة.

وصف ياقوت الحموي فى كتابه معجم الأدباء أبا حيان التوحيدى بأنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة؛ لأنه كان أديباً موسوعياً يحاول مزج الفلسفة بالأدب، ويقدم خلاصة ذلك للناس ليكون قريباً من أفهامهم. والوصف الذى أطلقه ياقوت الحموى يكاد لا ينطبق على أحد من أعلام النهضة الأدبية فى مصر إلا على زكى نجيب محمود، فقد نجح فى تقديم أعسر الأفكار على الهضم العقلى للقارئ العربى فى عبارات أدبية مشرقة، وفكّ أصعب مسائل الفلسفة وجعلها فى متناول قارئ الصحيفة اليومية، واستطاع بكتاباته أن يخرج الفلسفة من بطون الكتب وأروقة المعاهد والجامعات لتؤدى دورها فى الحياة.

مرت حياة زكى نجيب محمود الفكرية بثلاثة أطوار، انشغل فى الأولى التى امتدت حتى سفره إلى أوروبا بنقد الحياة الاجتماعية فى مصر وتقديم نماذج من الفلسفة القديمة والحديثة والآداب التى تعبر عن الجانب التنويرى،

ويتمثل هذا النشاط فى الكتب الثلاثة التى اشترك فى تأليفها مع أحمد أمين.

وبدأت المرحلة الثانية بعد رجوعه من أوروبا وامتدت حتى الستينيات من القرن العشرين، وفى هذه الفترة دعا زكى نجيب إلى تغيير سلم القيم إلى النمط الأوروبى، والأخذ بحضارة الغرب وتمثلها بكل ما فيها باعتبارها حضارة العصر، ولاشتمالها على جوانب إيجابية فى مجال العلوم التجريبية والرياضية، ولها تقاليد فى تقدير العلم وفى الجدية فى العمل واحترام إنسانية الإنسان، وهى قيم مفتقدة فى العالم العربى.

وفى هذه الفترة دعا إلى الفلسفة الوضعية المنطقية ونذر نفسه لشرحها وتبسيطها، وهى فلسفة تدعو إلى سيادة منطق العقل، وإلى رفض التراث العربى وعدم الاعتداد به.

وعبرت كتبه التى ألفها فى هذه الفترة عن هذا الاتجاه مثل الفلسفة الوضعية وخرافة الميتافيزيقا.

أما المرحلة الثالثة فقد شهدت عودته إلى التراث العربى قارئاً ومنقباً عن الأفكار الجديدة فيه، وباحثاً عن سمات الهوية العربية التى تجمع بين الشرق والغرب وبين الحدس والعقل وبين الروح والمادة وبين القيم والعلم.

ترك زكى نجيب محمود أكثر من أربعين كتاباً فى ميادين مختلقة من الفكر والأدب والفلسفة، فى مقدمتها

حياة الفكر فى العالم الجديد ، برتراند راسل ، وديفيد هيوم ، والشرق الفنان ، وقشور ولباب ، وتجديد الفكر العربى ، المعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى ، ورؤية إسلامية ، وجنة العبيط ، و المنطق الوضعى ، وشروق من الغرب .

وإلى جانب ذلك ترجم إلى العربية عدداً من عيون الفكر الغربى مثل : محاورات أفلاطون ، وتاريخ الفلسفة الغربية ، والمنطق ... نظرية بحث .

وفور نشر الموضوع انهالت التعليقات :

« الحمد لله ، كذا الناس ابتدت تفكر وتحس بقيمة اللى احنا بنعمله ، بس النت مش كفاية ، لازم يبقى التواصل مباشر مع الناس ، وبكرة فى مكتبة إسكندرية هتكون البداية» .

أبو حامد الغزالي

١٠٥٨ - ١١١١ م

محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد ،
حجة الإسلام : فيلسوف ، متصوف ، له نحو مئتي مصنف .
ولد ومات في الطابران (قصة طوس ، بخراسان) رحل
إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ، وعاد
إلى بلده .

«تهافت الفلاسفة» هو كتاب الإمام الغزالي . اعتبر البعض
هذا الكتاب ضربة لما وصفه البعض باستكبار الفلاسفة
وادعائهم التوصل إلى الحقيقة في المسائل الغيبية بعقولهم .
أعلن الغزالي في كتابه «تهافت الفلاسفة» فشل الفلسفة في
إيجاد جواب لطبيعة الخالق وصرح أنه يجب أن تبقى
مواضيع اهتمامات الفلاسفة في المسائل القابلة للقياس
والملاحظة مثل الطب والرياضيات والفلك ، واعتبر الغزالي
محاولة الفلاسفة إدراك شيء غير قابل للإدراك بحواس
الإنسان منافياً لمفهوم الفلسفة أساساً .

خلص الغزالي في كتاب «تهافت الفلاسفة» إلى فكرة أنه من المستحيل تطبيق قوانين الجزء المرئي من الإنسان لفهم طبيعة الجزء المعنوي، وعليه فإن الوسيلة المثلى لفهم الجانب الروحي يجب أن تتم بوسائل غير فيزيائية.

كان الغزالي أول الفلاسفة المسلمين الذين أقاموا صلحاً بين المنطق والعلوم الإسلامية حين بين أن أساسيات المنطق اليوناني يمكن أن تكون محايدة ومفصلة عن التصورات الميتافيزيقية اليونانية.

توسع الغزالي في هذا الكتاب في شرح المنطق واستخدمه في علم أصول الفقه، لكنه شن هجوماً عنيفاً على الرؤى الفلسفية للفلاسفة المسلمين المشائين الذين تبنا الفلسفة اليونانية. رد عليه لاحقاً ابن رشد في كتابه «تهافت التهافت».

ويقول الغزالي في بداية الكتاب:

«ابتدأت تحرير هذا الكتاب، رداً على الفلاسفة القدماء، مبينا عقيدتهم، وتناقض كلمتهم، فيما يتعلق بالإلهيات، وكاشفاً عن غوائل مذهبهم، وعوراته التي هي على التحقيق مضحك العقلاء، وعبرة عند الأذكياء. أعنى ما اختصوا به عن الجماهير والدهماء، من فنون العقائد والآراء».

كما يوضح في المقدمة الثالثة للكتاب أنه يتوجه به بشكل خاص إلى من أبهر بالفلاسفة حتى ظن أن أفكارهم

واستنباطاتهم نقيية من التناقض، فيُظهر تناقض مسالكهم وأدلتهم على معتقداتهم ويهدمها، وهو بذلك لا يدعى تصحيح فلسفاتهم أو بناء فلسفة بديلة.

نشر كعابيش الموضوع ثم خطر بباله فكرة، فاتصل بخلود.

— إيه رأيك لو عملنا دعوة على صفحة الأسرة عن ندوة بكرة؟ أكيد الطلبة هيجوا، ويبقى يوم جميل.

— خلاص حضرتك كمل الكتابة، وأنا أول ما آجى هاعمل المناسبة، احنا قدامنا نص ساعة وجايين.

عاد كعابيش للفلاسفة العرب والمسلمين، فهو قد قرر أن يكتب الليلة الكثير والكثير عليه يبلغ رسالة إلى من يهمله الأمر، وليعرف الجميع أنه سيفكر ويحرض الناس على التفكير رغم مطاردة شرطة الفكر.

ابن الطفيل

أبوبكر محمد بن عبدالمك بن طفيل القيسي الأندلسي

فيلسوف وفيزيائي وقاض أندلسي عربي مسلم، ولد في وادى آشي، وهى تبعد ٥٥ كم عن قرطبة، ثم تعلم الطب في غرناطة وخدم حاكمها.

توفى في ٥٨١ هـ بمراكش وحضر السلطان جنازته.

كان ابن طفيل فيلسوفاً ومفكراً وقاضياً وطبيباً وفلكياً.

يمثل ابن طفيل الأب الروحى للنزعة الطبيعية فى التربية عبر كتابه «حى بن يقظان» والذى حاول فيها التوفيق الفلسفى بين المعرفة العقلية والمعرفة الدينية.

درس على يد ابن باجة وخدم فى بلاط أبى يعقوب يوسف حاكم الأندلس من سلالة الموحيدين.... درس على علماء وحكماء عصره، وكانت له معرفة جيدة وشاملة بمختلف العلوم، خاصة منها الطب، والفلسفة، والفلك.

وقد تقلب ابن طفيل فى مناصب عدة، فاشتغل فى البداية كاتباً فى ديوان والى غرناطة، ثم فى ديوان الأمير أبى سعيد بن عبد المؤمن حاكم طنجة، ثم أصبح وزيراً وطبيباً للسلطان الموحدى «أبى يعقوب يوسف».

ويقال إن ابن طفيل كان له تأثير كبير على الخليفة، وقد استغل ذلك فى جلب العلماء إلى البلاط، ونذكر منهم بصفة خاصة الفيلسوف والطبيب ابن رشد الذى قدمه ابن طفيل عندما تقدم به السن إلى السلطان ليقوم بشرح كتب أرسطو وليخلفه فى عمله كطبيب.

وقد ظل ابن طفيل فى بلاط السلطان إلى أن توفى بمراكش عام ٥٨١هـ/١١٨٥م.

«حى بن يقظان» وهى أشهر ما ترك ابن طفيل، وهى قصة فلسفية عرض فيها أفكاره الفلسفية عرضاً قصصياً، محاولاً التوفيق فيها بين الدين والفلسفة، وقد عرفت هذه القصة فى الغرب منذ القرن السابع عشر، وترجمت إلى عدة لغات، منها اللاتينية، والعبرية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والهولندية.

مرت نصف ساعة ولم تأت خلود.

— ألو، انتِ اتاخرت كدا ليه؟

— كنت عاوز ألفت نظرك لحاجة.

— اتفضلى ياخلود.

— لو كنت عاوز تهرب منى بلاش تلزقنى لواحد تانى،
شكراً، أنا فاهمة انت بتفكر إزاي، عموماً انا مافيش حاجة،
ولا يمكن فى يوم يكون فيه حاجة بينى وبين مصطفى.

— انت بتقولى إيه ياخلود؟! احنا فى رحلة وانا باتطمئن
عادى.

— رحمة اختك معاها موبايل ابقى اتصل عليه يادكتور لما
تحب تطمئن، انت بتحبنى يا عبدالحميد وبتقاوم ومش زى
ما انا كنت فاكرة انك حاسس انى مش قد المقام وانك
انت دكتور كبير لا، انت بتقوم بدور الضحية، انت
خايف تظلمنى بفارق السن اللى مش فارق معاى أصلاً.

— هنرجع تانى برضه لنفس الموضوع اللى مالوش أساس
ده؟! خلود، تعالى بسرعة انت والأسرة كلها عشان
تناموا، عندنا بكرة أمسية كبيرة فى مكتبة الإسكندرية.

— حاضر.

استغل مصطفى الرحلة ليقترب أكثر من خلود، فهو
لا ينظر إليها كأنثى وشهوة ورغبة كما كان ينظر للفتيات
الأخريات، إنها باب جديد للدخول للحياة الصحيحة،
لقد شعر بالتغيير وشعر بالسعادة لأنه أصبح صاحب هدف
ورسالة، مفيداً لنفسه ولغيره، راضياً لأول مرة فى حياته

عن تصرفاته وتصرفات صحبته ورفاقه، ومرضى عنه، ويبدو أن كعابيش يساعده دون أن يدري، فكثرة الحديث الإيجابي عنه أمام الأسرة وإبداء إعجابه بشخصيته أمامهم، خاصة خلود، جعله فخوراً بدوره وسعيداً بهذا التغيير الذى كانت خلود سببه الرئيسى.

عاد كعابيش يكتب عن الفلاسفة العرب والمسلمين متناسياً مادار فى مكالمته مع خلود الرقيقة التى تخلط بين إيمانها به كأستاذ وبين الحب الذى يتبادلله شخصان متكافئان، وكان يتمنى أن يسمح لخلود أن تدخله إلى حياتها الربيعية لكن ضميره يقف حائلاً بينه وبين ذلك، فهو قد ناهز السابعة والأربعين من عمره وهى لاتزال عشرينية، على كل حال ليست رسالته فى الكون هى الزواج والإنجاب، علها رسالة غيره ولكنه فطن أن رسالته الآن هى أن يخرج الأفكار الفلسفية - التى كلفت فلاسفة عمرهم كله - من الكتب حتى تستخدم بين الشباب ويبدأوا فى التفكير، هذه هى البداية الصحيحة للتغيير المأمول، فراح يكتب :

يعقوب بن اسحق الكندى

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن الصباح بن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى، وُلِدَ فى مدينة الكوفة عام ١٨٤ هجرى / ٨٠٠ ميلادى و ذلك كما تُرَجِّح الروايات التاريخية، كان والده إسحق أميراً على الكوفة،

و تنتهى سلسلة أجداده إلى عرب بن قحطان، و كان آل يعقوب يسكنون فى قصر الإمارة الذى يقع خلف المسجد الجامع الكبير، توفى إسحق بن الصباح الكندى فى أواخر عهد هارون الرشيد وكان عُمر يعقوب حوالى ٦ سنوات.

بعد وفاة أبيه إسحاق بن الصباح، أخذت أم يعقوب أسرتها و عادت بهم إلى دارها فى الكوفة حيث شَهِدَ الكندى سنين صباه الأولى

و مع أن الكندى كان يتيماً، إلا أنه كان من أغنى أغنياء الكوفة، فقد كان يسكن فى بيت كالقصر ذى حديقة كبيرة، كما أنه من أبناء الملوك.

تعلّم الكندى فى صباه ما يتعلمه كل صبى مسلم، فقد تعلم القراءة والكتابة والنحو وحفظ القرآن وكثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة ومبادئ الفقه والكثير من الأشعار وأصول الفصاحة.

وكانت الدراسة فى الكوفة حرة، أى أن الطالب حرّ فى أن يختار ما يدرسه، فمن كان ميله للعلوم درس العلوم، و من كان ميله للعلوم الدينية درس فيها، و كان ميل الكندى إلى العلوم الدينية و علوم الكلام فاتجه إليها و درسها.

لم يصلنا عن حياة الكندى فى صباه الكثير فكانت هذه المرحلة من عمره غامضة. على كل حال، كَبُرَ الكندى وأصبح فى سن الشباب، و كان قد تعلم الكثير من العلوم الدينية وعلوم

الكلام، و أحس الكندي أن ميله إلى الفلسفة أكبر من ميله إلى العلوم الدينية وعلوم الكلام، فاتخذ قراره بدراسة الفلسفة، فجهز نفسه و قصد بغداد لتعلم الفلسفة على أيدي العلماء.

يصل الكندي إلى بغداد حيث يبدأ هناك بدراسة الفلسفة وما يتصل بها من علوم الرياضيات والطبيعة وغيرها.... ولم يكن أمام الكندي إلا أن يعتمد على الترجمات التي بدأت تظهر لأهم المراجع الأجنبية، فأخذ يتابع أجزاء هذه الكتب وشارك في نقلها ثم يلخصها ويعمل على تفسيرها، فاستطاع بذلك أن يدرس كتب أرسطو في الفلسفة والمنطق والطبيعة والسياسة وكتب ما بعد الطبيعة.

توفي الكندي عام ٢٥٢ هجرى / ٨٦٦ ميلادى عن عمر يناهز ٦٨ عاماً و كان سبب وفاته انه أصيب بداء فى ركبته فانتقل إلى رأسه و سبب له الوفاة... رَحِمَهُ اللهُ، لقد خسر العالم فيلسوف العرب.

قرر كعابيش أن يأخذ استراحة قصيرة يشرب فيها كوباً من الشاي، ويطمئن على والدته التى مازالت فى القاهرة.

— مساء الخير يا حبيبتي.

— مساء الخير يا عبدالحميد يا ابنى.

— اتعشيتِ؟

— الحمد لله.

- كنت باطمئن عليك، وباطمنك، احنا بخير.
- لو عاوز تطمنى عليك صحيح اتجوز يا عبدالحميد، نفسى أشوف ولادك يا ابنى، عشان خاطرى، عشان خاطر أبوك الله يرحمه، خلد ذكره فى الدنيا بأولادك، لو بتحببنى صحيح اتجوز خلود، دى بتحبك، إيه يعنى أصغر منك، ما كل الرجالة زمان كانوا كبار قوى، أبوك كان أكبر منى بـ ١٨ سنة، يعنى نفس الفرق تقريبا.

— أنا مش عارف حضرتك بتتكلمى عن إيه؟!!

- رحمة حكى لى على كل حاجة، اللى بتحبك دى يا ابنى هتبقى قلبها عليك، وفرحانه بيك، عشان انت مالى عينيها، وحلم بالنسبة ليها، هتمسك فيه بإيديها واسنانها.
- اللى فيه الخير يقدمه ربنا يا ماما.

بدأت كلمات أمه ترن فى أذنه، وخلود الذكية يصعب خداعها، فقد عرفت بذكائها الخارق أنه أحبها، فلن يستطيع أن يهرب من هذا الحب، لكنه فى نفس الوقت لا يستطيع أن يستغل مشاعر فتاة صغيرة ويجنى عليها.

عاد كعابيش للكتابة عن يعقوب بن إسحق الكندى :

لم يُلقَّب الكندى بالكثير من الألقاب، فلقد لُقِّبَ بالكندى نسبة لعائلته و لُقِّبَ بفيلسوف العرب و لُقِّبَ بسليل السيوف و لُقِّبَ بالفيلسوف و كُنِيَ الكندى بأبو يوسف.

يُعزى إلى الكندي بأنه سجل الحضارة الإسلامية فى زمانه و رسم خطوطها العامة التى ينبغى أن تسير عليها فى المستقبل، وهو الذى صنّف الفلسفة إلى نظرية وعلمية، وهو الذى وفق بين الدين و الفلسفة و حدّد معالم هذه المسألة، كما وضع رسالة فى صناعة العطور، و عارض أيضاً إمكانية تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، ووضّح أيضاً الفروق بين أنواع السيوف من حيث المعدن التى صنّعت منه و الصورة التى تكون عليها و طريقة صنعها، ثم تحدث عن الفوارق بين أسعارها و طرق معالجة السيف الذى يثلم حده من كثرة الطعن، و وضع نظرية فى التناسب الهندسى بين قدر الدواء و مفعوله بالنسبة إلى المريض، و غيرها الكثير الكثير.

وضع الكندي الكثير من الكتب منها الفلسفية وله فيها ٢٢ كتاباً، ومنها الطبيعيات والتوحيد و ما فوق الطبيعيات و علاقة الفلسفة بالرياضيات و الحث على تعلم الفلسفة و دراسات حول كتب أرسطو و الفاعلة و المنفعلة من الطبيعيات الأولى و أوائل الأشياء المحسوسة، و غيرها من المواضيع الفلسفية الأخرى.

وما إن انتهى من كتابة الموضوع، حتى كتب إلى أعضاء الأسرة :

— آخر شخصية اخترتها لكم من الفلاسفة العرب والمسلمين هو ابن باجة، وبعدها ستكون خلود معاكم على الصفحة

كل يوم وأنا كل خميس من ٦ الى ٩ مساءً، وبدأ يكتب :

ابن باجه (علم الإنسان)

أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ التُّجيبى السرقسطى المعروف بابن باجّه.

أول مشاهير الفلاسفة العرب فى الأندلس، اشتغل أيضاً بالسياسة والعلوم الطبيعية والفلك والرياضيات والموسيقى والطب .
توفى فى فاس المغرب، مسموما سنة ٥٢٩ هـ.

وُلد فى سَرَقُسطة فى الثغر الأعلى من الأندلس، ألم بعلوم الثقافة الإسلامية فى عصره، وبعلم اليونان، واشتهر بتضلّعه فى الفلسفة والطب والموسيقى، ونظم الشعر.

عمل زهاء عشرين عاماً كاتباً ووزيراً لأبى إبراهيم بن تيفلويت المسوفى صهر على بن يوسف بن تاشفين، وأخباره معه كثيرة. وبعد وفاة ابن تيفلويت عام ٥١٠هـ/١١١٦م، وقيل بعد سُقوط سرقسطة بيد ألفونسو الأول ملك أرغون عام ٥١٢هـ/١١١٨م، غادر ابن باجّه سرقسطة إلى جنوبى الأندلس، فسكن المريّة وغرناطة وارتحل إلى فاس، وفيها اتهم بالإلحاد ومات مسموماً.

كان بينه وبين بعض أعلام الأندلسيين خصومة شديدة، ومن هؤلاء الذين كانت بينه وبينهم خصومة ابن زهر (ت ٥٥٧هـ/١١٦٢م) والفتح بن محمد بن خاقان

(ت٢٨هـ/١١٣٤م). وقد حمل عليه ابن خاقان حملة عنيفة فى كتابه «قلائد العقيان» واتهمه بالإلحاد.

كان ابن باجّه أول الواقفين فى الأندلس والمغرب على فلسفة المشائين فشرح قضاياها، ومهد الطريق لمن جاء بعده، ومنهم ابن رشد (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م) الذى بثّ فى كتاب «النفس» بعضاً من آراء ابن باجّه، واعترف بفضلّه فى حقل الفلسفة.

ومن أشهر تلامذته ابن باجّه أبو الحسن على بن الإمام وابن رشد.

عمد ابن باجّه إلى العودة بالفلسفة إلى أصولها الأرسطية خالصة كما هى فى كتب أرسطو مبتعداً عن أفكار العرفان والأفلاطونية المحدثة فكان بذلك أحد أفراد تيار تجديدى أندلسى حاول فصل الأفكار العرفانية التى اختلطت كثيراً بالفكر الإسلامى و الذى بدأ بمشروع ابن حزم الذى عمّد إلى تأسيس منهج العودة إلى الأصول و استبعاد القياس فى الفقه و استأنف بعد ابن باجّه بابن رشد الذى عمّد إلى فصل نظام البيان الفقهى عن نظام البرهان الفلسفى، بمصطلح آخر فصل الدين عن الفلسفة كأنظمة استنتاجية و ربطهما عن طريق الغايات و الأهداف.

فلسفته

• فى الإنسان : «كل حى ىشارك الجمادات فى أمور، وكل إنسان ىشارك الحىوان فى أمور.. لكن الإنسان ىتمىز عن الحىوان غير الناطق والجماد والنبات بالقوة الفكرىة، ولا ىكون إنساناً إلا بها».

• فى منازل الناس

• المرتبة الجمهورىة: وهؤلاء لا ىنظرون إلا للمعقول.

• المرتبة النظرىة : وهؤلاء ىنظرون إلى الموضوعات أولاً، وإلى المعقول ثانياً ولأجل الموضوعات.

• مرتبة السعداء : وهم الذىن ىرون الشىء بنفسه.

ىمكن أن ىطلق على فلسفة ابن باجّه اسم «علم الإنسان» فقد كان جل ما تناوله فىها ىبحث فى میدان الإنسان، والفكرة الأساسىة التى أضافها إلى التراث الفلسفى هى ما ىتصل باتحاد العقل الفعّال بالإنسان.

بهذه الشخصىة العربىة الإسلامىة نكون قد وصلنا إلى آخر الشخصىات الفلسفىة المختارة لأسرة أفكار فلسفىة، وأحب أن أعلن لكم عن أمسىة فلسفىة غدأ فى تمام السادسة مساءً تقىمها أسرة أفكار فلسفىة فى مكتبة الإسكندرىة ىمثلكم فىها معى :

خلود الشرقاوى المقرر الثقافى لأسرة أفكار فلسفية،
فرحة محمود المقرر العام للأسرة، والأعضاء : سماح عبد
الله، عمرو الشرقاوى، مصطفى محمود.

انتشرت الدعوات على مواقع التواصل الاجتماعى تويتر
وفيس بوك، لأول مرة تقام فى الجامعات المصرية والعربية
رحلة فلسفية وسيسجلها التاريخ لمدينة الإسكندرية ومكتبة
الإسكندرية ولأسرة أفكار فلسفية ، رحلة فلسفية إلى مكتبة
الإسكندرية، عنوان جذاب، أقبل أعضاء أسرة أفكار فلسفية
عليه بقوة، هم وأصدقاؤهم، فالتجربة جديدة وكل جديد
براق، امتلأت قاعة الندوات بمكتبة الإسكندرية عن آخرها،
وهى التى تسع لمائة شخص، قبل الندوة بساعة.

دخل كعابيش القاعة ومعه مدير المكتبة متقدماً بخطوة
عن خلود ومصطفى من جهة، وسماح وعمرو من جهة
أخرى، بينما فرحة قد سبقت الجميع للمنصة تتفقد
اللوحة الكبيرة التى علقت فى خلفية المنصة (بانر) والتى
كتب عليها «أمسية فلسفية من إعداد أسرة أفكار فلسفية
إشراف الدكتور عبدالحميد كعابيش» ، وبدأت تتفقد المايكات
والمنصة وتشرف على المكان الذى سيجلس فى كعابيش،
بدوا كفريق عمل واحد، متجانس، ومتفاهم ومتربط.

ظهر كعابيش فى أبهى صورة، بدلة زرقاء وقميص روز
وكرافته تجمع بين الزرقة والروز، ونظارته ذات الإطار

الذهبي فبدأ فى منتهى الأناقة، جلس وأمامه مجموعة من الكتب، أولها من أعلى «مذاهب فلسفية» الذى ستدور حوله هذه الندوة .

بدأت الندوة بكلمة لإدارة مكتبة الإسكندرية ألقاها مدير المكتبة، أثنى فيها على جهود د.كعابيش فى خلق حالة من التواصل بين المعلم والطلبة مما يجعل تفاعل الأجيال وتكاملها فى صالح الوطن، بدلاً من صراعاتها وتناحرها، كما أثنى على دور د. كعابيش فى الترجمة، خاصة الكتب الفلسفية والروايات العالمية التى أثرت المكتبة العربية، وقدم بعدها د. كعابيش فصق الجمهور بحرارة، فحياهم، وبدأ فريق العمل فخوراً جداً بما يحدث.

شكر كعابيش إدارة المكتبة ثم قال ناظراً لخلود.

— أشكر فريق العمل القائم على أسرة أفكار فلسفية، أريد أن أقدم لكم هؤلاء الرائعين، الذين أعادوا لى الروح، هؤلاء هم أساتذتى الذين علمونى المشاركة فى كل شئ.

— خلود الشراوى.

ضحكت خلود ووقفت تحيى الحضور فزاد التصفيق.

— مصطفى محمود.

فصق الحضور ونظر مصطفى لخلود نظرة فيها فخر وإعتراز.

— سماح عبدالله، عمرو الشرقاوى، أما المقرر العام للأسرة
ومنظم الرحلة هي فرحة محمود.

فصق الجميع ووقف كعابيش يحيى فريق أسرة أفكار
فلسفية ويعبر لهم عن فخره بهم.

تعمد كعابيش أن يقدم مصطفى بعد خلود وعمرو بعد
سماح كرسالة فهمتها خلود فامتلت عينها بالدموع وهي
تبتسم وتابعته بلهفة وهو متوج وأمامه مريدوه الذين أتوا
إليه من القاهرة وتحملوا عبء السفر ليسمعوا له، فقال :

« إن الهدف الأول من هذه المحاضرة هو التمهيد لبعض
الحقائق الفلسفية، وأن يخرج جميع الحضور من هذه القاعة
وهم أدق فكرياً وأوسع أفقا مما كانوا عليه قبل دخولها،
ونسلمح في الجزء الثانى منها بأسئلة أعضاء أسرة أفكار
فلسفية، وهى أسئلة معدة سلفاً كى تدعم المحاضرة وإجاباتها
ترسيخاً للفكرة الرئيسية والهدف المنشود من هذه الندوة.

كل إنسان إذا رأى شيئاً، وتساءل عن علته فهو من
طلاب الفلسفة والراغبين فيها، لأن الفلسفة فى واقعها هى
التعرف على علل الأشياء وعلاقة واقعها بظواهرها، ومن
هنا كانت الفلسفة عند الأقدمين العلم الكلى الذى يعم
ويشمل جميع العلوم بشتى أنواعها وكما قال أبو الفلاسفة
الفرنسى ديكارت : الفلسفة أشبه بشجرة جذورها علم
ما بعد الطبيعة، وجذعها على الطبيعة، وأغصانها علوم

أخرى، وقال أيضاً: ليس فى الفلسفة أمر ليس فيه خلاف.
كما قال الفيلسوف الألمانى ليبنتز : لكل حادث سبب.
وقال أيضاً: لا واقع يمكن أن يكون حقاً إلا وتكون هناك
علة كافية لكونه كذلك لا على خلافه، وإن كانت العلة -
فى الغالب - لا يمكن أن تكون معروفة لنا.

وكل العلوم والفلسفات وجميع القوانين والشرائع والأديان
السماوية والكتب المقدسة - تقوم على أساس مبدأ العلية
القائل لكل حادث سبب، ولولاه لكان حديث العلم و
الدين والفلسفة أشبه بمضغ الهواء، وكان العالم الرشيد
تماماً كالجاهل البليد.

وانطلق كعابيش شارحاً فلسفة ابن رشد وحرص الحضور
على التفكير العلمى فى كل شئ وإعمال العقل فى كل
القضايا التى تتعلق بمستقبلهم ومستقبل الوطن.

و بعد أن أكمل محاضراته سمح كعابيش بالأسئلة، ولكنه
نوه ثانية أن الأعضاء الخمسة فى أسرة أفكار فلسفية هم
وحدهم من سيطرحون الأسئلة لأنها تفيد الموضوع ولن تخرج
عن موضوع الندوة وهى المذاهب والمصطلحات الفلسفية،
أشار بيده قائلاً لخلود :

- اتفضلى ياخلود.

— «السريالية» مصطلح يستخدم عادة فى الآداب والفنون،
فما هو معناه؟

— بصى ياخلود، فيه مصطلحات منتشرة فى حياتنا ويمكن
نستخدمها استخدام خاطئ، عشان كدا أنا سعيد بإننا
هنبتدى فى الندوة دى نعرف ونوضح معنى المصطلحات
دى، كلمة السريالية تستعمل فى الأدب اللامعقول واللا
أخلاقى، ومعظم أنصار هذا الأدب يمدحون التناقض
والجنون، ويغوصون فى اللاشعور لاستخراج كنوزه،
ويتفننون فى وصف الرغبات الجامحة والأحلام العجيبة .
والتفتت إلى الصف الأول قائلاً :

— حد عنده سؤال تانى؟

وقف مصطفى وفى يده ورقة يقرأ منها، فقال له
كعابيش باسمًا :

— وانت يادرس عندك سؤال؟

— أيوه يا افندم، سؤالى عن مصطلح « السلوكية » إيه
معناه؟

— السلوكية يا أستاذ مصطفى هى طريقة عملية ومذهب
فلسفى فى نفس الوقت، لأنها ترد العمليات الذهنية
إلى أسباب مادية، فلا تأخذ بما هو داخلى، لا تأخذ
إلا المحسوس الملموس.

— حد عنده سؤال تانى؟

ينظر كعابيش فى القاعة، فهذا دور سماح فى طرح السؤال، ولكنها تبدو هائمة فى كلام عمرو لها اليوم على الشاطئ.

— سماح عندك سؤال؟

— أيوه حضرتك.

قامت وهى تمسك بيدها ورقة صغيرة تقرأ منها.

— ما هو معنى «السيكولوجيا»؟

— هى علم النفس البشرية ياسماح، اتفضللى اقعدى وحضرى السؤال الجاى.

— مين معانا تانى؟

رفع ثلاثة ضيوف من القاهرة يدهم طالبين السؤال ولكن كعابيش تجاهلهم وأشار إلى عمرو.

— اتفضل يا عمرو.

وقال مازحاً :

— ما هو عمرو أخو المقرر الثقافى للأسرة الأستاذة خلود وما نقدرش نرفض له طلب.

— شكرا يادكتور، يعنى إيه «الشخصانية»؟

— بص يا أستاذ عمرو، الشخصانية هي أن الفرد هو القيمة المطلقة والأسمى والعنصر الروحي للوجود، وأن مصلحته فوق مصلحة الجماعة علماً بأنها تتألف من الأفراد.

لم يعقب عمرو وجلس، ولكنه يبدو عليه أنه لم يفهم، فنظر له كعابيش قائلاً :

— فهمت يا أستاذ عمر؟

— أيوة فهمت، الحمدلله.

رفعت فرحة يدها فأشار لها كعابيش بالسؤال قائلاً :

— اتفضلى يا فرحة.

— ماهو المعنى العلمى والفلسفى «للشك»؟

— الشك نوعان، الشك المذهبى ويسمى أنصاره الشكاك، كل قضية عندهم تقبل التدليل عليها بالسلب والإيجاب بقوة متساوية كما يزعمون، والنوع الثانى هو الشك المنهجى والعلمى، وهو أن يتجرد صاحبه من معلوماته برغبته وإرادته، ويشك فيها حتى كأنه لا يعلم شيئاً، ويتخذ من شكه هذا وسيلة للبحث والدراسة العلمية حتى يصل إلى المعرفة الصادقة وعلم اليقين، فالشك المذهبى غاية فى نفسه والشك المنهجى وسيلة للعلم.

— اتفضلى يا خلود

- ما هو المقصود من اصطلاح «الشننتوية» ؟
- الشننتوية هي ديانة يابانية، والعنصر الرئيسي فيها عبادة الأرواح المتعددة التي تتجسد في الحيوانات والنباتات وغيرها من مظاهر الطبيعة، ومن دين الشننتوية أن العلاقة بين الآلهة والناس تحدث عن طريق الإمبراطور الذى يسمونه ميكادو.
- عاد الضيوف ولكن هذه المرة بعدد أكبر يطلبون السماح لهم بتوجيه الأسئلة إلى كعابيش ولكنه أشار إلى مصطفى.
- اتفضل يا مصطفى.
- إيه المقصود «بالصراع من أجل البقاء» ؟
- هو القانون الغريب القائل بتنازع البقاء بين الأحياء وبقاء الأقوى الأقدر لا الأفضل الأكمل.
- أشارت سماح طالبة السؤال، وأشار أحد الضيوف أيضاً، فأذن لها مشيراً بيده:
- ما معنى «الصورة» عند الفلاسفة؟
- الصورة ياسماح لها معانى كثيرة وهى عند الفلاسفة جسمية ونوعية، والنوعية تمام حقيقة الشئ وماهيته، ومن أقوالهم : صورة الشئ هى ماهيته ، فالهيولى هى البدن والصورة هى الروح، الهيولى لفظ والصورة معناه، فالصورة ما يكون به الشئ هو هو بالفعل.

— ماهى «الصورية» يادكتور؟

قالها عمرو.

— الصورية ياعمرو مذهب فلسفى يرمى إلى إنكار الناحية المادية وتأثيرها فى المعرفة، ولا يعتد إلا بالصور الذهنية.

— ماهو «الضد» يادكتور؟

قالتها فرحة.

— الضد صفة وجودية، يمتنع وجوده مع وجود ضده المانع له كالنور والظلمة، ولا يمتنع ارتفاعهما معا إذا كان لهما ثالث كالألوان، فقد يكون الشئ لا أبيض ولا أسود، بل أحمر أو أصفر، وهذا هو الفرق بين الضدين والنقيضين، لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان إطلاقاً كالوجود والعدم.

أشار كعابيش لفرحة التى قامت لتسأل.

— ماهو «الضمير» ؟

— الضمير قالوا عنه الذات العليا، وقالوا عنه القوة الحاكمة وقالوا إنه الملكة التى تحدد موقف الإنسان من سلوكه.

والضمير من وجهة نظرى هو نفس الشعور بالوخز والتأنيب إذا ما فعلت ما تندم على فعله، ونفس الإحساس بالطمأنينة والسعادة إذا فعلت ماتراه ربحاً ونجاحاً، نقول

هذا ونحن على علم بأنه يختلف تبعاً للأشخاص ووجهات النظر.

طلبت خلود الكلمة فأشار لها كعابيش كى تطرح سؤالها.

— ماهى «الطفرة» يادكتور؟

— أن يتغير الشئ، وينتقل من صفته إلى صفة أعلى بلا مراحل تدريجية، وكان يعتقد من قبل أن الطفرة بهذا المعنى محال، ومع الأيام تبين أنها قد حدثت بالفعل فإن فى الطبيعة تغيرات مفاجئة تحدث قفزة من حالة إلى حالة أخرى بغير اجتياز الحالات المتوسطة بين الطرفين.

سأله مصطفى الذى كان متأهباً؟

— ما هى «الطوباوية»؟

— هى نقيض الواقعية حيث تحلق فى بالخيال فى الأوهام والمثل العليا كتحقيق السلام العام والتقدم المستمر والمساواة الطبيعية وكل ما تشتهى الأنفس، وتلذ الأعين من كل شئ فى هذه الحياة الدنيا.

— ماهى «الطوطمية» يادكتور؟

قالتها سماح.

— الطوطمية من أقدم أشكال الديانات فى المجتمع البدائى، وتقوم على عبادة نوع من الحيوانات أو الأشياء

أو الظواهر على أساس أنها تمد الخلق بالطعام، ولا تزال الطوطمية منتشرة بين القبائل الأصلية في استراليا وأمريكا الشمالية والجنوبية وبولونيا وإفريقيا.

وما إن انتهى كعابيش من إجابة سؤال سماح حتى رأى أيادى غالبية الحضور ترتفع، كل منهم يريد أن يسمح له بطرح سؤال، ولكن كعابيش يتجاهل ما يرى حتى تسير الأسمية في المسار الخطط لها فيشير لعمره.

— ماهو «الظاهر» و «الظاهرة»؟

— الظاهر يا أستاذ عمرو هو كل ما يبحث فيه العلم من الحقائق التجريبية، أما الظاهرة فهي طائفة من الفقهاء يأخذون بظواهر النص حتى لو خالف بديهية العقل.

— إزاي يادكتور؟!

— أقول لك ياسيدى، الظاهرة من الفلاسفة ينكرون معنى الجوهر، ويقولون إن الوجود الحقيقى مؤلف من الظواهر فقط، فهمت؟

— لأ.

قالها عمرو فضحك كل الحضور وصفقوا لعمره.

— بص ياسيدى، ربنا سبحانه وتعالى بيقول فى كتابه العزيز «يد الله فوق أيديهم»، الظاهرة عندما يفسرون هذه الآية يقولون إن لله يداً، ولكن ليست كيد البشر،

لأنهم يقفون عند ظاهر الآية وفيها يد الله، إنما التفسير الأقرب إلى العقل والمنطق أن اليد هنا بمعنى القدرة، فهمت ياسيدى.

— أيوه، كدا تمام.

صفق الحضور، فرأت فرحة أن تعطى الحاضرين استراحة منتصف الندوة كى يتناولوا قطعاً من الكيك وعصيراً أعدته أسرة أفكار فلسفية لضيوفها، استغلت خلود توقف الندوة وجرت نحو كعابيش وقالت له فى أذته: شيك قوى، وجننت البنات اللى فى الندوة، فضحك وقال: أهى دى الطوباوية وضحك..

تقدم بعض الشباب القادمين من القاهرة نحو كعابيش مستفسرين عن سبب تجاهله لهم وعدم إعطائهم فرصة لطرح الأسئلة فأجاب أن الضرورة العلمية تحتم تحضير الأسئلة بترتيب معين حتى تعم الفائدة، على أن يرد على أسئلة الضيوف بعد الانتهاء من الأسئلة التى تدور حولها الأمسية.

تقدمت فرحة نحو المايك وقالت على السادة الحضور الالتزام بالمقاعد فسوف نستأنف الندوة بعد دقيقة واحدة، فاتجه كل إلى مكانه الذى كان يجلس فوقه، وبدأت الندوة.

قال كعابيش :

- أنا هاكلمكم عن «العالم»، و «العبقرية»، و «العقل».
- أما العالم فهو كل المخلوقات، وعالم الطبيعة هو الأشياء المادية والعالم الأكبر: السماوات والأرض وما بينهما (أى الكون كله) والعالم الأصغر هو الأرض بمن وما فيها وعليها.
- والعبرى هو الذى يعكس المطالب الاجتماعية ذات الأهمية الحيوية. أما العقل هو الذى يستدل ويستنتج.
- رفعت خلود يدها فسمح لها بالسؤال:

ماهى «الغائية»؟

أنا عارف ياخلود إن انت عارفة الإجابة لأنى قلتها لك قبل كدا بس مافيش مانع نقولها تانى عشان باقى الأصدقاء، مبدأ الغائية هو القول بأن كل موجود يسير إلى غاية معينة وليس الإنسان وحده كذلك، وهذا المبدأ أحد الأدلة على وجود الخالق، ويسمى الدليل الغائى.

- طيب يا دكتور، ممكن أسال سؤال تانى؟
- اتفضلى يا خلود.
- ماهى «الغنوصية»؟
- الغنوصية هى كلمة يونانية، تطلق على نزعة صوفية تهدف إلى إدراك الأسرار الإلهية مباشرة وبلا وساطة،

والغنوصية تمزج المسيحية بالديانات الشرقية القديمة والأفلاطونية الحديثة.

تلمع عينا عمرو سعادة وفخراً بحبيبته التي تسهم وتشارك، فيبعث لها نظرات من آن لآخر يطبطب بها عليها، ويخبرها بأنه فخور وسعيد بها، فلا تملك إلا أن تنظر له نظرة لا يفهمها إلا هو، فيها كل كلام الحب الرقيق.

أشار كعابيش لمصطفى :

— اتفضل يا بطل.

— إيه المقصود من كلمة الفاشية؟

— ديكتاتورية إرهابية تأسست كنظام فى إيطاليا سنة ١٩٢٢ ثم فى ألمانيا ١٩٣٣.

— ماهى «الفسولوجيا»؟

قالها مصطفى :

— هى علم وظائف الأعضاء الحية.

— ماهو معنى مصطلح فنطاسيا؟

— هو كل تخيل وهمى متحرر من قيود العقل، أو على كل رغبة لا تستند إلى سبب معقول.

— ماهى «الفوضوية»؟

قالتها سماح :

— تزعم هذا المبدأ مفكر إنجليزى اسمه ستانلى ، ويرمى إلى إلغاء الدولة بثتى أنواعها ومظاهرها ، وايجاد مجتمع خال من القهر والإرغام ، أما المصالح العامة فيتولاها جماعة من أهل الأمانة والثقة على غرار مجالس الحسبة والبلدية.

أطلق مصطفى عينيه حول خلود تحرسها وتستمتع بالنظر إليها؛ فكل لحظة إعجابه بها يزيد ، فهو يعقد مقارنات غير إرادية بينها وبين فتيات كان يعرفهن ، ولكنه وقتها كان لا يعرف نفسه فعرّفها بعدما عرف خلود.

جاء دور عمرو فى طرح السؤال فأشار له كعابيش.

— ماهو «الفيض»؟

— الفيض حق لا ريب فيه ، ومعناه فى غاية الوضوح والبساطة ، وهو ان الله سبحانه وتعالى يفيض عنه كل الوجود بإرادته فيضاناً من ذاته القدسية ، وقد أبى بعض الفلاسفة إلا إثارة الشبهات مثل ان الله واحد ، والواحد لا يصدر عنه إلا واحد بطريق مباشر ، علماً بأن الصادرات التى نراها فضلاً عما غاب عنا - لا يبلغها الإحصاء ، ولكى يجدوا حلاً لهذه المشكلة الشائكة ابتدعوا فكرة العقول العشر ، وسموها بنظرية الفيض ، وخلصتها بأن الله قد فاض عنه عقل واحد فقط ،

فوجد فيه ثنائية الإمكان بالذات والوجوب بالغير، وعن هذا العقل فاض عقل ثان، وعنه فاض ثالث، وهكذا تتابع فيضان العقول حتى تألفت هيئة من عشرة وزعت فيما بينها صناعة الكون وخلقه.

وقف أحد الحضور مقاطعاً :

- إيه اللي انت بتقوله دا، دا كفر والعياذ بالله!؟
- دا مش كلامى أنا، دا كلامهم هما أصحاب النظرية دى، وعندى رد عليه.
- دا كفر.
- أنا معاك، ومش موافق على النظرية دى، اهدا واسمع للآخر.
- تدخل الأمن الداخلى واللجنة المنظمة للندوة وطلبوا من هذا الشخص أن يغادر القاعة فوراً، لكن كعابيش رفض وطلب منه أن يستمع إلى رأيه هو فى نظرية الفيض.
- يقول القرآن الكريم: «قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار».

ويقول أصحاب هذه النظرية، كلا، الله خلق العقل الأول فقط، وما عداه من صنع العقول العشر، فتعالى الله عما يشكرون، ومن هنا رفض علماء الإسلام هذا النوع من الفيض، وعملوا بالحديث الشريف « تفكروا فى خلق الله، ولا تفكروا فى ذات الله».

هز الرجل رأسه مقتنعاً بما قاله كعابيش وقال :

— ياريت يادكتور تسمح لنا بالأسئلة حضرتك وعدت
وعليك الوفاء.

— حاضر، عرفنا بنفسك وقل سؤالك، اتفضل .

— أنا علاء السعيد من كلية الآداب جامعة القاهرة وسؤالى:
إيه رأى حضرتك فى قانون التظاهر؟

— يجب علينا جميعاً إحترام القانون والامتثال له مادام
القانون قائماً ولم يلغ ، وأن نعمل فى نفس الوقت على
تعديله أو إلغائه عن طريق مجلس الشعب.

أشار كعابيش لشاب يرفع يده طالباً السؤال.

— أيوه حضرتك، الأخ اللى لابس تى شرت أحمر، انت
كاتب على التى شرت الحرية، ولا انت شاريه كدا؟!
— هو جاهز يادكتور، لكن عجبنى.

قالها أثناء وقوفه.

— تمام اتفضل عرف نفسك، وبعدين قول سؤالك.

— إسماعيل الطيب تالته آداب جامعة القاهرة، هل جزيرتا
تيران وصنافير مصرية ولا سعودية؟

— بص يا إسماعيل، دى مسألة قانونية تفصل فيها

المحكمة، فإذا قالت المحكمة بحكم بات إنها سعودية تبقى سعودية، وإذا قالت إنها مصرية تبقى مصرية، لكن سوء إدارة الملف، وعدم اختيار الوقت المناسب خلى الصورة مظلمة.

— اتفضلى حضرتك.

قالها كعابيش لإحدى الأنسات.

— ثناء عبدالرشيد، ربة منزل، من إسكندرية، أهلاً بحضرتك، نورت إسكندرية يادكتور، إيه رأى حضرتك فى اللى حصل فى ٣٠ يونيو، هل هو ثورة ولا انقلاب؟

— الثورة هى حركة شعبية عفوية لتغيير نظام سياسى واجتماعى واقتصادى، أما الانقلاب فهو استيلاء فصيل معين على السلطة بعد الإطاحة بالسلطة الحاكمة ليحل هو محلها.

— اتفضل حضرتك.

قالها كعابيش وهو يشير لأحد الحضور فى القاعة.

— أحمد محسوب من رابطة الزجالين فى إسكندرية، إيه رأى حضرتك فى مشروع سد النهضة؟

— من ناحية إيه؟

— من كل النواحي.

— دا ملف فنى يفصل فيه مهندسين الرى وخبراء الماء وهما اللى يحددوا اذا كان فيه خطر على الزراعة والإنسان لكن أحب أوكد لك إن التاريخ لن يرحم كل من تسبب فى عطش المصريين، أما إذا الفنيين قالوا إن مالوش ضرر على مصر، فربنا يوفق إخواننا إلى كل خير.

— اتفضل حضرتك.

قالها كعابيش مشيراً إلى أحد الحضور فى القاعة.

— هل اختارت الحكومة الوقت المناسب لإقامة مشروع قناة السويس الجديدة والعاصمة الإدارية الجديدة، وهل كان من الأفضل إقامة مشروعات ومصانع تدر عائداً، وتستوعب الشباب الذى يعانى من البطالة؟

— اسم حضرتك إيه؟

— سعيد علام من إسكندرية.

— واضح يا أستاذ سعيد إن انت عارف الإجابة، وعاوز تسمعها تانى منى، عشان كدا أنا مش هاجاوب.

صفق كل الحضور، وضحكت خلود وهى تتابع إبتسامة كعابيش.

قام أحد موظفى المكتبة وأخذ المايك قائلاً :

— لوسمحتم، أرجوكم الإلتزام بموضوع الندوة.

— حاضر.

قالها كعابيش،

— هناخد سؤالين قبل مانرجع لخلود.

وأشار إلى إحدى فتيات القاعة.

— اتفضللى.

— إلهام سليم، من إسكندرية، طالبة فى كلية الإعلام، إيه رأى حضرتك فى ظاهرة الاختفاء القسرى وإزاي تتحل؟

— الاختفاء القسرى موجود فى معظم دول العالم التالت.

— أيوة بالظبط، ودا يثبت إن الظاهرة موجودة ومستمرة.

تدخل الموظف مرة أخرى، لو سمحتوا يا جماعة، أرجوكم الالتزام بموضوع الندوة.

— حاضر، ونرجع تانى للندوة بتاعتنا، اتفضللى ياخلود.

— ما هى القيمة الفاضلة؟

— القيمة الفاضلة هى...

توقف كعابيش عندما رأى أشخاصاً يحاولون أخذ مقاعد الجمهور واحتلالها بطريقة غريبة، يبدو عليهم سمات المخبرين وأمناء الشرطة الذين يلبسون ملابس مدنية:

— لو سمحتم من فضلكم هاتوا كراسى زيادة لكن ماتجبروش
حد على الخروج من القاعة.

وقع هرج ومرج فى القاعة، فقام مصطفى وسيطر على
الموقف، وأعطى إشارة لكعابيش أن يستأنف الندوة..

— بالنسبة للإجابة عن سؤال فرحة المقرر العام لأسرة
أفكار فلسفية بكلية الآداب جامعة القاهرة والتي أشرف
برئاسة قسم الفلسفة بها، نقدر نقول إن القيمة الفاضلة
هى أصل من أصول العقيدة الماركسية، وخلصتها أن
السلعة من حيث هى لا قيمة لها على الإطلاق ذهباً
كانت أَوْخشباً، وإنما تقاس القيمة بعمل الإنسان، مثلاً
مصنوعية الذهب لا تقدر بالسعر المعروف للذهب، بل
بما يبذله الصائغ من جهد فى صياغتها، ولكن العامل
لا يأخذ قيمة عمله بالكامل، بل يأخذ بعضها، ومازاد
فهو لرب العمل بلا مقابل، وهو سلب ونهب.

ونلاحظ هنا أن هذه النظرية على عكس ما يراه العقل،
وجرت عليه سيرة العقلاء قديماً وحديثاً حيث يقدرون
السلعة بما لها من نفع وفائدة فى مفهومهم، ولو صحت
هذه النظرية الماركسية لكانت الأرض الخصبة التى تعطى
الكثير بالعمل اليسير أقل ثمناً وقيمة من الأرض المجدبة
التى تعطى اليسير بالعمل الكثير، وهكذا سائر السلع
ووسائل الإنتاج.

قامت خلود، وسألت.

— ماهو معنى القيوم؟

— القيوم اسم من أسماء الله الحسنى ، القيوم هو القائم فى ذاته ، الغنى فى وجوده وجميع صفاته عن كل شئ ، وليس ذلك إلا الله وحده عز وجل .. بإجابة هذا السؤال الطيب هنكون انتهينا من الوقت المخصص لنا الليلة دى ، ساعتين مروا كأنهم خمس دقائق.

اشتعلت القاعة بالتصفيق ، واتجه الجميع نحو كعابيش يشكرونه ويهنئونه بنجاح الندوة التى تمت على أكمل وجه ، فشعر فريق العمل بالفخر والسعادة ، وأيقنت خلود وقتئذ أن المشوار قد بدأ وعليها أن تقرأ جميع الكتب التى أوصاها بها كعابيش حتى تستطيع قيادة أسرة أفكار فلسفية

— بصى ياخلود أنا من النهاردة مساعد مقرر الأسرة وانتِ المقرر.

— لا يافرحة ، احنا هنفضل زى ما احنا ، زى ما بدأنا مافيش حاجة هتتغير.

— احنا بنبتدى النهاردة مرحلة جديدة ، وانت أفضل منى ، وبعدين ياستى أنا هاكون النائب ، يعنى المساعدة الأولى ليك ولا كتير على؟

— لأطبعها، دا انت حبيبتي وصاحبة الفضل علىّ، ولولا
انت ما كانتش أسرة أفكار فلسفية، ولا كنت هاقدر
اتعرف فى يوم من الأيام على الراجل العظيم دا.

— يلا ياستى، مصائب قوم عند قوم فوائد، وهى تبتسم،
الله ينتقم منك يادكتور سمير.

فتضحك خلود من قلبها بصوت عالٍ.

الأسرة تستعد لمغادرة مكتبة الإسكندرية لتعود إلى مقر
إقامتها فى بيت الشباب، الجميع ينتظرون الدكتور كعابيش
أمام القاعة التى يخرج منها أحد الموظفين قائلاً:

— اتفضلوا حضراتكم، ممنوع الوقوف هنا.

— احنا مستنيين الدكتور كعابيش.

— إدارة المكتبة أقامت عشا خاص بالدكتور كعابيش مع
مدير المكتبة وبعض المسؤولين، وبعدين العربية هتوصله
لحد مقر إقامته.

ابتسم مصطفى قائلاً:

— ياعينى.

لكن خلود أرادت أن تتأكد فاتصلت بكعابيش فوجدت تليفونه مغلقاً فشعرت بالقلق.

— حضرتك، أنا لازم أدخل للدكتور دى الوقت حالياً، أنا أخته والمفتاح معاى أهو، ولازم أبلغه حاجة عائلية تخص ماما.

قالتها خلود لموظف الأمن، وهى مرتبكة، فنظر إليها باقى الأسرة، وبدأ الجميع يشعر بالقلق.

— ما أقدرش أدخلك.

فصرخت فى وجهه:

— ما تقدرش إزاي، يامصطفى، يا عمرو، الحقونى الدكتور كعابيش فى خطر.

إدارة مكافحة الفكر

- أنا عاوز أعرف أنا هنا ليه؟!
قالها كعابيش لشخص يلبس ملابس مدنية فى المكتب
الذى تم احتجازه فيه.
- فى واحد كبير قوى موسى عليك، وعاوز يقول لك
كلمتين، ما تخافش، هتسمعهم وتروّح على طول.
- وهو مين الكبير دا؟!
قالها كعابيش وهو يفكر ويبدو أنه تذكر «أنا ما حدش
فى البلد دى بيشوفنى غير مرة واحدة، ولو شفتك مرة
تانية أعرف إن دى نهايتك».
- أذن الفجر ومازال كعابيش جالساً على كرسى ورأسه
مسنود على مكتب أمامه، فراح فى النوم من شدة الإعياء.
- صباح الخير ياروح أمك.
استيقظ مفزوعاً، فرآه أمامه، شخص بملامح منحوته كأنه
تمثال، طويل القامة، عريض، بأنف مدبب، وشعر أكرد

قصير جداً، لون بشرته يشبه لون القمح المسرطن، يجلس على مكتب فى غرفة بها أربعة مكاتب أخرى خالية، عرض الغرفة ثلاثة أمتار وطولها أكثر من عشرة أمتار، على الحائط ساعة، كان كعابيش يريد أن يعرف منها الوقت، لكنها لاتعمل، وكأن الزمن قد توقف.

— مش قلت لك هاخليك تندم لو فضلت ماشى فى السكة دى؟

— انت بتشتمنى ليه؟! أنا مش عارف انت بتكرهنى قوى كدا ليه؟! وإيه اللى بيخليك تعاملنى المعاملة دى؟! أنا أستاذ جامعة، دكتور فى الفلسفة، وباتكلم أربع لغات وترجمت عشرات الكتب اللى بيتعلم منها الطلبة وممكن يكون أولادك منهم، أنا باعلم تلاميذى يفكروا ويحرروا عقولهم، أنا عمري ما عملت حاجة ضد القانون.

— بص ياكعابيش، القوانين المكتوبة دى مش هى اللى بتحكم البلد، فيه قوانين تانية، أى نعم مش مكتوبة، لكنها أهم قوانين، عشان هى اللى بتحفظ استقرار البلد دى.

— إيه اللى يضركم لما الشباب يفكروا؟!

— بلاش الكلام بتاع أبالسة ٢٥ يناير؟

— الشهدا أبالسة؟!

— اتعدل أحسن لك، لاحسن أجيب لك واد عسكرى

عقر من اللى واقفين بره يغتصبك هنا، ودى الوقت،
وأصورك، وأبعت الصور لتلاميذك اللى انت فرحان بيهم.

— انت ليه بتعمل كل دا؟ أنا مش فاهم الكره دا كله سببه إيه؟

— انت اللى ليه بتعمل كدا؟ عاوز تبقى بطل على حساب

البلد؟ عاوز العيال الصايعة يفكروا ويتكلموا فى السياسة
ويقرفونا فى حياتنا، مظاهرات وقلعة أدب، أنا هاربيك
وهاخليك تعرف إزاي تتحدانى، يا إبراهيم، وهو ينادى
على أحد الأفراد، خدوا الكلب دا ودوه النيابة.

فى زهول، قال كعابيش :

— نيابة؟! نيابة إيه؟! وليه، بتهمة التفكير، وتحريض
الطلبة على الفكر؟!

— برضو بتتفلسف؟

— أنا دكتور فلسفة، عاوزنى أعمل إيه؟!

— لما تروح النيابة هتعرف ياروح أمك.

دخل كعابيش غرفة وكيل النيابة وقبل أن يجلس قال

وكيل النيابة لكاتبه :

— وقد أمرنا نحن عادل نزيه وكيل نيابة شرق إسكندرية

بحبس المتهم أربعة أيام على ذمة التحقيق.

ثم نظر للعسكرى الواقف إلى جانب باب الغرفة :

— رجعه القسم.

فتار كعابيش قائلاً:

— هو فيه إيه يا افندم، إيه اللي بيحصل هنا؟! لو سمحت اسمعنى.

— أنا عندى قضايا كتير النهاردة، ولما أشوفهم وافضى بكرة ولا بعده هاسمعك يا عبدالحميد.

— يا افندم حضرتك اديتنى أربع أيام على أساس إيه؟

— على أساس التحقيق فى التهم المنسوبة إليك.

— ممكن أعرف إيه هى التهم دى؟!

— ما انا هاقول لك طبعاً، بس مش دى الوقت.

— من فضلك، أرجوك، أنا هاتجنن.

— حاضر.

وأخذ يقرأ من أوراق أمامه:

— تلقى أموال من الخارج لزعزعة الاستقرار فى مصر.

— واللّه ما حصل، منين؟

— انت هتستهبل؟! من النرويج، أنا مش باحقق معاك دى

الوقت، ابعث هات لك محامى، لأن انت كدا هتروح

فى داهية، انت عندك خمس تهم يودوك السجن مدى

الحياة، ويمكن تتعدم.

— اتعدم، إزاي، ليه، عملت إيه؟!

— اقول لك :

ونظر فى أوراق أمامه :

— تلقى أموال من جمعيات أجنبية، فى النرويج، لزعزعة

الاستقرار فى مصر، التحريض على التظاهر وارتكاب

العنف، تكدير السلم العام، محاولة قلب نظام الحكم،

ازدراء الأديان، كل دا وزعلان إنك خدت أربع أيام؟! دا

لو ثبت الكلام اللى جاى فى محضر الضبط اللى جاى

من القسم، مش هتطلع من السجن أبداً، ويمكن تتعدم.

— محضر إيه وقسم إيه يا افندم، أنا كنت فى مكتبة

إسكندرية العامة الحكومية، وكان عندى ندوة هناك،

وكان قاعد جنبى مدير المكتبة.....

فقاطعه وكيل النيابة غير مهتم بما يقوله :

— خده يا ابنى ونزله الحجز أو رجعه القسم.

ونظر لكعابيش :

— خلصنى بقى أنا مش فاضى لك.

خلود وسماح وفرحة ومصطفى وعمرو مع رحمة ووالدها

فى بيت الدكتور كعابيش.

— أنا اتفتت مع أكبر محامى فى البلد، نضال عبدالحق،
وزمانه جاى.

— أنا متأكدة يامصطفى إنه محامى قوى جداً ومشهور،
أنا شفته كتير فى التلفزيون .

قالتها خلود :

— أيوه دا محامى كبير، ماسك قضايا شغل بابا يا خلود.

قالتها فرحة لتبعث الطمانينة فى قلب أم كعابيش وأخته.

دق جرس الباب :

— أكيد هو.

قالتها فرحة التى قامت لتفتح الباب :

— اتفضل يامتر، أهلا بحضرتك.

— شدوا حيلكوا، دى قضية سياسية وهياخد فيها براءة إن شاء
الله، ماتخافوش المحكمة هى خط الحماية الأخير للشعب.

— ربنا يطمنك ياابنى.

قالتها أم كعابيش، وهى تحاول أن تطمئن نفسها، وهى
تمسح دموعها بمنديل فى يدها.

— احنا هنروح بكرة إسكندرية، ونحضر التحقيق.

قالها عمرو بإصرار.

— كلنا هنكون مع بعض، وزى ما رحنا سوا لازم نرجع سوا.

— إن شاء الله ياخلود.

قالها مصطفى بحماس.

فى اليوم الرابع عرض كعابيش على وكيل النيابة ومعه المحامى الذى دفع ببطلان إجراءات القبض على موكله، وأكد أنها قضية ملفقة لدواع سياسية، وأن موكله حسن السير والسلوك، وليس له أى سوابق جنائية أو حتى سياسية، وهذه الجريمة التى يسأل عنها اليوم ليس فيها دليل واحد ضده، وهذه التهم كلها ملفقة.

— دكتور فى جامعة القاهرة وفضل يترقى لحد ما بقى رئيس قسم، وأبوه وزير صحة سابق وكان من أعمدة الحزب الوطنى، دا من قلب النظام يامتر، إزاي النظام هيلفق له تهمة، وبعدين التحويل ثابت بالدليل أربع تلاف دولار من النرويج على دفعتين، وتوقيعه أهو، قدامك فى أوراق القضية.

يا افندم دى رواية كنت باترجمها لناشر نرويجى، والمبلغ دا كان قسطين من أتعاب الترجمة.

— طب تقول إيه فى الصفحة اللى انت عاملها على الفيس بوك، واللى اعترفت انها تخصك، وإن الكلام اللى فيها انت اللى كاتبه؟

ونظر للمحامى قائلاً:

- اسمع يامتر : إن هذا الكون له إلهان، إله الخير وإله الشر، دا اسمه إيه، مش إحد وازدراء أديان؟
- يا افندم، أنا باشرح للأولاد «الأثنيين» دا مذهب فلسفى ظهر فى أثينا قبل الميلاد بمئات السنين، وبقول إن دا كلامهم هما، مش كلامى أنا، يعنى لما أقول إن الفراعنة كانوا بيقولوا إن آمون إله الشمس، يبقى أنا باعبد آمون أو باعبد الشمس، إزاي يعنى الكلام دا يتفهم كدا، لو قلت إن كفار قريش بيقولوا عن النبى عليه الصلاة والسلام ساحر وكاذب ومجنون يبقى أنا باشتم النبى والعياذ بالله.
- طب بلاش دى، الكلام عن الشيعة والبهائيين، مش دا تحريض على الفتنة الطائفية؟
- يا افندم دى موضوعات بندرسها للطلبة عشان يفكروا، هو التفكير جريمة، لو كدا يبقى أنا فعلاً ارتكبت الجريمة دى، فعلاً لازم اتحاسب لأنى خليت الأولاد يفكروا.
- طب بلاش دا كله يادكتور، حضرتك خدت إذن أو تصريح عشان تجمع كل الشباب دول وتعمل ندوة؟
- مكتبة الإسكندرية مكتبة عامة، ومجرد موافقتها يعتبر تصريح.

قالها المحامى.

— لا يامتر، لازم تحصل على موافقة أمنية، ولما واجهنا الموظف المختص بالمكتبة قال إن الدكتور كعابيش قال له كل شئ جاهز، وفهم هو من الكلمة دى انك معاك تصريح من الأمن.

— إزاي يعنى؟

— هو قال كدا فى أقواله: «دا دكتور فى الجامعة ووالده الله يرحمه كان وزير الصحة ومن رجال الحزب الوطنى يعنى أكيد كله تمام والأمن موافق».

— هو أنا عشان أعمل ندوة ثقافية أو علمية لازم أحصل على موافقة أمنية؟
— طبعاً.

قالها وكيل النيابة ساخراً من جهل كعابيش.

— أطلب من النيابة إخلاء سبيل موكلى بضمان وظيفته أو محل إقامته.

— يخلى سبيل المتهم من سراى النيابة بكفالة قدرها خمسون ألف جنية، وتحول أوراق القضية إلى محكمة أمن الدولة العليا.

ونظر إلى كعابيش قائلاً:

- مع السلامة يادكتور، وخلي بالك من نفسك.
- بمجرد خروجه من باب غرفة وكيل النيابة يتصل المحامى بمصطفى.
- ألوه أيوه يامصطفى باشا، أنا خرجت من النيابة ومعاه الدكتور، ألف مبروك.
- أنا واقف هنا قدام النيابة أهو، انت فين؟
يراهما مصطفى فيقبل الدكتور قائلاً :
- حمدا لله على السلامة يابطل، ثم يلتفت وينظر بفخر للمحامى.
- أنا متشكر يامتر، فعلاً مايحببها إلا رجالها.
ويطلب فرحة بالتليفون:
- ياجماعة ألف مبروك الدكتور خرج براءة الحمدلله هندفع الكفالة وجايين.
- الو... إزيك ياماما؟ أنا خرجت يا حبيبتي، هاييجى لك مصطفى بتاعنا روحى معاه البنك، واديله خمسة وخمسين ألف جنيه، الكفالة والأتعاب.
- حاضر يا حبيبى، فداك كل حاجة.

— ماما ثقى فى مصطفى وادى له الفلوس واعتمدى عليه
كأنه أنا بالظبط.

— حاضر يا عبدالحميد.

تخطف رحمة منها التليفون :

— حمدا لله على السلامة يا آبيه، كل الأسرة هنا خلود
وفرحة وعمرو وسماح.

— خليكم عندكم، هنكون عندكم بعد العصر، أوعى تخليهم
يمشوا يارحمة.

تلتقط خلود الموبايل :

— احنا مش هنمشى يادكتور، لازم نشوفك.

وتبكى فيبكى الجميع ، كان الكل فى انتظار الأسير
الذى تحرر من يد إدارة مكافحة الفكر، مع أنه مقبوض
عليه أثناء التفكير، فى حالة تلبس.

يفتح كعابيش الباب بمفتاحه، ويدخل فيحضن أمه
وأخته، ثم يأخذ مصطفى فى يده ويقول له أمام الجميع :

— شكراً يامصطفى.

تبحث عيناه عن خلود التى جرت عليه وسلمت
بحرارة، كانت تريد أن ترتدى فى أحضانه وتصرخ، ولكن
الحضور حالوا بينها وبين ما كانت تتمنى.

قال كعابيش :

- من بكرة لازم نبدأ من تانى.
 - خليها من بعد بكره يادكتور.
 - عاوزين نبدأ ندور على قاعة نعمل فيها الندوة القادمة.
 - المهم ندور على مطعم ناكل فيه لقمة لاحسن واقعين من الجوع.
- قالها مصطفى مازحاً.

دخلت سماح المطبخ مع رحمة لتحضير الطعام، وذهب مصطفى مع خلود لإحضار بعض الحلوى لتحضير احتفال عائلى بكعابيش.

- أنا ما كنتش عارفة جوانب كتير من شخصيتك يامصطفى، انت فعلا راجل عظيم.
- ليه دا كله؟ عشان باسوق كويس يعنى.

تضحك خلود:

- لا والله فعلاً لولاك كان زماننا محتاسين ومش عارفين نتصرف، وكان زمان الدكتور محبوس ظلم لحد دى الوقت.
- لأ أبدا كانت فرحة أختى هاتكلم المحامى، هى كمان عارفاه.
- وكمان إنكار الذات، دى صفة جميلة.

— انتم اللى أحسن ناس فى الدنيا، الحمد لله إنى لقيتكم فى الوقت المناسب، أنا حياتى كانت تافهة جداً قبل ما ابقى عضو فى الأسرة العظيمة دى.

— كلنا يامصطفى كنا محتاجين لبعض، كلنا لازم يكون لنا هدف نبيل نعيش عشانه، ونفضل نحاول نحققه طول حياتنا.

— أنا اتعلمت منك كثير، ومن الدكتور كعابيش، وأهم حاجة اتعلمتها إنى لازم أفكر.

رحب الجميع بقرار كعابيش بمواصلة إقامة الندوات وقال مصطفى :

— أيوه كدا، لازم نثبت لهم إننا رجاله وما بنخافش.

نظرت إليه خلود بإعجاب قائلة :

— عندك حق يادرش.

فابتسم.

ثورة فكرية

رُفضت جميع الطلبات التي قدمتها أسرة أفكار فلسفية للحصول على موافقة الأمن على إقامة الندوة الثانية بعد النجاح الكبير الذي حققته الندوة الأولى في مكتبة الإسكندرية، فاتحد الأعضاء وأعلنوا التمرد على كل الأماكن والأفكار القديمة، ووافقوا على مقترح خلود.

— كل اللي هحتاج له كاميرا فيديو، واللوكيشن عبارة عن غرفة المكتب دى، اللي احنا قاعدين فيها، واحنا فى نفس وضعنا دى الوقت، كل واحد فينا هيلزم نفس المكان اللي قاعد فيه دى الوقت.

— يعنى انتِ قصدك الدكتور كعابيش يبقى قاعد على مكتبه، واحنا على الكراسى والكنبة دى؟ احنا نسأل وهو يجاوب، وكل دا يكون مسجل فيديو.

— تمام، مش بس كدا، هنعمل قناة على اليوتيوب اسمها أسرة أفكار فلسفية وننشر عليها الندوة ونعمل (شير) للفيديو على صفحاتنا على الفيس بوك وعلى تويتر.

— أنا موافق.

قالها كعابيش، فوافق الجميع.

أخذ كل واحد منهم مكانه.

— هدوء، هنصور.

قالتها رحمة.

— ١ ، ٢ ، ٣ أكشن.

— أعزائى الطلبة، أعضاء أسرة أفكار فلسفية، ندعوكم إلى التفكير فى حاضرکم، وفى مستقبلکم، فكل شئ يتغير بالتفكير، والعمل بالفكر المستنير، كنا قد بدأنا ندواتنا فى مكتبة الإسكندرية ولكن خلود -المقرر العام للأسرة- رأت أن نسجل الندوات لنذيعها على الأعضاء عبر مواقع التواصل الاجتماعى ليشاهدها عدد أكبر، فالقاعات قد لا تسع إلا العشرات من الأعضاء، أما نحن فنطمح إلى الوصول لآلاف، بل الملايين.

صفق أعضاء الأسرة.

— والآن سنكمل ما بدأناه فى مكتبة الإسكندرية، ونتعرف على معانى المصطلحات الفلسفية.

أشار إلى خلود :

— اتفضلى ياخلود.

— ما هي «الكثرة» يادكتور؟

— الكثرة هي محل خلاف من عدة جهات :

الأولى : هل الموجود واحد، وما الكثرة البادية للعيان إلا أحوال وأعراض لجوهر واحد يعم ويشمل العالم كله، ولا شئ قبله ولا بعده كما يقول المؤمنون بوحدة الوجود، أم هناك قوة وراء العالم تباينه في جميع صفاته كما يقول المؤمنون بالله.

الثانية : هل الموجود الوحيد هو المادة كما يقول الماديون، أو هو الروح كما يقول المثاليون، أو هما معا كما يقول الربانيون؟

الثالثة : هل أصل الأشياء واحد وهو الهواء كما قال انكسمانيس، أو النار كما يدعى هرقليط، أو التراب والماء والنار والهواء كما قال العديد من قدماء الفلاسفة؟

أخذت رحمة تمر بالكاميرا على وجوه الحاضرين أثناء شرح كعابيش وتقطع على الكتب الفلسفية التي أمام كعابيش، وما إن انتهى كعابيش حتى قالت بصوت عال :
— إستوب.

— ليه بس ما احنا ماشيين كويس أهو يارحمة.

— اصبر يا أبيه، لازم نتأكد إنه بيسجل وإن الصوت واضح.

— عندك حق.

قالتها خلود.

فتحت رحمة الفيديو فشاهدوا معاً نتيجة التجربة، فرح الجميع بهذه النتيجة الرائعة، فقالت رحمة :

— أنا كدا عرفت هاخش كلية إيه، فنانة والله، هنرجع ونصور.

— نعيد يارحمة؟

— لأ يا أبيه، أول ما أشاور لك أدخل على اللي بعده على طول، ١، ٢، ٣ أكشن.

— ماهو المقصود من مصطلح «الكلبية»؟

— بص يا مصطفى، فى القرن الرابع قبل الميلاد كان فى اليونان فيلسوف يدعى انتستانس، وكان يدرس تلاميذه فى مكان اسمه الكلب السريع، فأطلق عليهم اسم الكلبيين، وقيل : أطلق عليهم هذا الاسم لأنهم كانوا ينبحون على فاعل الرذيلة كما ينبح الكلب الحارس.

ومن مذهبهم احتقار التقاليد والعقائد السائدة والرأى العام، وأنه لا خير ولا سعادة إلا فى الفضيلة.

سلطت رحمة الكاميرا على وجه مصطفى فعرف أنه هو الذى سيطرح السؤال :

- ما هو الكُمون وما هو «الكوجيتو»؟
- الكُمون يامصطفى بضم الكاف - يضحك مصطفى -
الكُمون هو الذى يقول : كل شئ فيه كل شئ ، ويرجع
هذا إلى وحدة الوجود. أما الكوجيتو إشارة إلى قول
ديكارت : أنا أفكر، اذن أنا موجود، وهو استدلال
على وجود النفس بفعل من أفعالها.
- تقوم رحمة بالتصوير بجديّة ولا تقبل أى حركة من
شأنها ظهور عملها بشكل غير لائق.
- استوب.
- ليه بقى كدا يارحمة؟
- أثناء ما الدكتور بيتكلم مصطفى ، عمال يبص لخلود.
- أنا؟! والله أبداً.
- تأخذ رحمة الكاميرا.
- طب تعالى بص ياللى بتحلف.
- احمر وجه مصطفى وهو ينظر لشاشة الكاميرا.
- أه، كنت عاوز أعرف أبداً سؤالى امتى؟
- مين عليه الدور؟
- أنا يافرحة.

قالتها سماح.

— تمام، استعدى، انا هابدأ بالسؤال على طول، ١، ٢،
٣ أكشن.

— ماهو «اللاشعور» يادكتور؟

— السلوك الشعورى أن تفعلى عن وعى وقصد، مثل أن
تنتقدى أو تقارنى وما إلى ذلك، أما السلوك اللاشعورى
فهو أن تفعلى من غير وعى ولا قصد مثال أن تدخنى
بحكم العادة (فضحك الجميع) أو تذى عدواً حين يذكر.

— ماهو «اللاهوت» وما هو «اللوغوس» وما المقصود «بما
بعد الطبيعة».

قالها عمرو ثم نظر إلى سماح وابتسم، فنظرت إليه
فرأى فى عينيها «باحبك وفخورة بيك» ولكن كعابيش قطع
هذا الاتصال الرومانسى بإجابة السؤال:

— اللاهوت هو الخالق، والناسوت هو المخلوق، وعلم
اللاهوت مرادف لعلم الكلام والربوبية.

— اللوغوس باليونانية يعنى العقل الكلى، أما مابعد الطبيعة
يطلق عليه الآن الميتافيزيقا، وعلم ما بعد الطبيعة عند
ابن سينا هو العلم الإلهى.

— ماهى «المادية» وما معنى «المصدق»؟

— المادية يافرحة مذهب من يقول : إن المادة هي الموجود الوحيد ، ويفسر كل شئ بالأسباب المادية ، وتقابل المادة المثالية التى تفسر كل شئ بأسبابه الروحية ، أما الماصدق أى الذى صدق أخذاً من الماصدق ، وهو الشاهد للصدق ، تنقسم ألفاظ الماصدق إلى كلية وجمعية ومفردة ، والكلية تطلق على كثير من الأفراد بلا حد مثل الإنسان ، والجمعية تطلق على الأفراد المحدودين مثل أساتذة جامعة القاهرة ، والمفردة مثل فرحة ومصطفى وخلود .

— ماهو المحتمل الأقرب؟

قالتها خلود فسلطت رحمة الكاميرا على وجهها فابتسمت محاولة السيطرة على ابتسامتها ولكنها لم تفلح فابتسم كعابيش قائلاً :

— قد يكون للشئ الذى تحتتمل وقوعه درجات متفاوتة قرباً وبعداً ، فإذا اضطررت إلى أحد الأطراف تعين عليك أن تختارى الأقرب إلى قصدك وغايتك مثلاً إذا دعتك الحاجة إلى السفر وكان الجو غير ملائم ، وترددت : هل تسافرين براً أو جواً فعليك أن تختارى الأقرب إلى السلامة .

— من هم «المشاؤون» وما معنى «المصادرة» و«المفارقة»؟

— بص يادرش ، المشاؤون هم تلاميذ أرسطو لأنه كان يعلمهم ماشياً ، أما معنى المصادرة فهى الدعوى من غير دليل أو تتخذ الدليل من غير الدعوى ، كما لو قلت :

هذا الكتاب المعروف بالتوراة بين الناس هو من عند الله، لأن كتاب التوراة ينص صراحة أنه من عند الله، أما بالنسبة لمعنى المفارقة فهي كلمة تطلق للدلالة على الآراء المختلفة للمعتقدات المألوفة، وعلى ذلك لا يعتقده صاحبه، ولكنه يدافع عنه أمام الناس ليعجبوا به.

— ماهى «المقولات»؟

— المقولات ياسماح، هى التى قام بها أرسطو عندما طور المقولات الفلسفية، فقد رصد عشر مقولات، واعتبرها هى الأحوال الرئيسية للوجود، ورفع للغاية من شأن أهميتها العلمية، فهى تمكن الإنسان من إحراز معرفة عميقة بالعالم المحيط به وهى : الجوهر كالإنسان والحجر، الكم ومنه العدد، الكيف كالحرارة والبرودة، الإضافة كنسبة الابن لأبيه، الوضع كالقيام والقعود، الأين وهو نسبة الجسم إلى المكان، المتى وهو نسبة الشئ إلى الزمان، الملك مثل لفلان مال، الفعل مثل كسرت القِدح، الانفعال مثل انكسر القِدح.

— ما المقصود من كلمة «المنهج»؟

— المنهج ياعمرو جاء تفسيره فى المعاجم الفلسفية على أنه طريقة محددة لبحث الموضوع المقصود، وأنه يرتبط ارتباطاً لاينفصم عن اتجاه الباحث وثقافته وفلسفته.

وما إن انتهى كعابيش من الرد على سؤال عمرو حتى دخلت والدته قائلة:

— استوب.

فضحك الجميع

— انت كمان ياماما؟! يعنى مش كفاية علينا رحمة؟!!

— ما انا المساعدة بتاعتها، خدوا بقى السندوتشات دى واشربوا العصير وبعدين كملوا زى ما انتوا عاوزين، ربنا يوفقكوا. ونظرت لرحمة:

— بصى ياسيادة المخرجة السينمائية، أوعى تبدئى التصوير الا لما يخلصوا السندوتشات كلها.

— حاضر ياماما، أديكم سمعتوا بنفسكوا، اتفضلوا خلصوا على السندوتشات دى كلها بسرعة عشان عندنا تصوير.

فأخذت سماح لها ولعمرو الذى مد يده ليأخذ منها السندوتش لكن عينيه فى عينيها، فابتسمت، بينما خلود تراقب الموقف بسعادة.

موبايل مصطفى يرن.

— أيوه يامتر.

يضع يده على المايك ويحدثهم:

- دا المحامى .
- هاته يادرش ، ألوه أيوه يامتر أنا كعابيش ، على خيرة الله ، قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا .
- خير يادكتور .
- ماتتخضيش ياخلود ، دا المحامى بي فكرنى بالجلسة بعد خمس أيام .
- تطل نظرة خوف من عينيه ، فتقول له :
- ماتخافش ، احنا كلنا معاك .
- على فكرة يادكتور احنا رجالة ، ومش ممكن نسيبك تتظلم كدا ، احنا كنا معاك خطوة بخطوة وعارفين قد إيه انت إنسان محترم وبتشتغل بدون أى مقابل وبتحب البلد دى قوى والله أنت اللى حبيتنا فيها .
- قالها مصطفى وخلود تراقب وتسمع ويزيد إعجابها به كل لحظة .
- بص يامطفى انت كنت عارف إن جواك إنسان كبير وعظيم وبتحاول تثبته فى المتاح قدامك ، لما المتاح كان غلط اتصرفت غلط ، لما بقى المتاح ليك صح ، بقيت صح .
- أنا اتعلمت من حضرتك حاجات كتير يادكتور .

- بالعكس، انا اللي اتعلمت منكم كثير، وهو ينظر لخلود وسماح، وكانت حياتى مالهاش أى قيمة قبل أسرة أفكار فلسفية، عشان كذا لازم أكمل المشوار للآخر.
- كلنا معاك يادكتور.

قالها مصطفى فرددها وراءه الجميع..... فضحكت رحمة.

- إيه دا انتوا هتفجروا نفسكم فى المكان ولا إيه؟! انسوا الكلام دا دى الوقت، لازم تكملوا السندوتشات لأن الإدارة أوامرها واضحة، مافيش تصوير إلا لما السندوتشات دى تخلص.
- قاطعتها خلود :

- طب إيه رأيكم أنشر الفيديو دا على الصفحة ونسميه الجزء الأول من ندوة أسرة أفكار فلسفية؟
- تمام، أنا موافق.

قالها كعابيش، فوافق الجميع.

- بدأت عقارب الساعة تزحف حتى وصلت الساعة مساءً، فأرادت خلود أن تستأذن لتترك كعابيش يستريح ويجلس مع أسرته، فرفضت رحمة التى أصرت على تسجيل الجزء الثانى من الندوة، وقالت :

- ماتحاوليش، أنا هاكمل شغلى يعنى هاكمل شغلى، مين اللي عليه الدور فى السؤال؟

- خلود هي اللي هتسأل.
- ماشى يادكتور، جاهزة ياخلود ١ ، ٢ ، ٣ أكشن.
- سلطت رحمة الكاميرا على وجه خلود، وأشارت لها بعد العد بيدها اليسرى كى تبدأ فى طرح السؤال.
- ما هو المقصود بالمصطلحات الآتية : «المورفولوجيا»، «ميتاسيكولوجيا»، «الميتافيزيقا»، «ميكانيكا»؟
- المورفولوجيا علم يبحث فى صور الأشياء أو أشكالها، وتطلق هذه الكلمة فى علم الحياة على دراسة الأنماط المميزة للأنواع الحيوانية والنباتية.
- ميتاسيكولوجيا فرع من علم النفس، يبحث الخصائص اللاشعورية.
- بينما يرد كعابيش على سؤال خلود تنتقل الكاميرا بين وجهى كعابيش وخلود ثم أعضاء الأسرة لتسجل ردود أفعالهم ومدى تجاوبهم مع الإجابات.
- أما الميتافيزيقا ياخلود فهى مصطلح يطلق على كل فكرة أو مبدأ أو حكم لايعتمد على الحس والتجربة، كالخوارق التى تصدر عن قوة ما وراء الطبيعة، أما ميكانيكا فهو علم قوانين الحركة.
- وجهت رحمة الكاميرا على وجه مصطفى فبدأ بطرح سؤاله :

— ماهو «النحو المنطقي» وماهى «النرجسية»؟

— النحو المنطقي هو فرع من علم ما بعد المنطق يهتم بدراسة العمليات الحسابية المؤولة والمشكلات التى تنشأ عن فحص العمليات الحسابية.

— أما النرجسية فهى نسبة إلى زهرة النرجس، وفى اليونان أسطورة تقول إن فتى من الفتيان كان معجباً بجماله، وفى ذات يوم رأى صورته فى الماء، فألقى بنفسه فيها ليعانقها، فغرق، ولكن الآلهة أخرجته من الماء، وحولته إلى زهرة النرجس، فأطلقت النرجسية على كل مغرور ليعرف أن مآله إلى الغرق، وتطلق النرجسية فى أيامنا على الشذوذ الذى يجعل الإنسان غارقاً فى عشق ذاته.

وما إن وجهت رحمة الكاميرا نحو سماح المتأهبة لطرح السؤال، حتى طرحته، وهى تنظر لعمرى الذى بدل مكانه ليجلس جوار الدكتور كعابيش، ويصير أمامها، كى يراها أمامه طول الوقت بشكل طبيعى غير لافت.

— ماهى «النفعية» يادكتور وماهى «النيرفانا» و«الهوهو»؟

— النفعية مذهب يقيس القيم بالمنفعة. ونحن على هذا المبدأ بشرط ألا تكون... المنفعة الخاصة على حساب الآخرين، بل يجب علينا ألا نفرق بين المنفعة الخاصة بهذا الشرط وبين المنفعة العامة، وليس هناك عاقل يشك فى أن خير الأقوال والأعمال ما نفع، علماً بأن

الأفضلية للمنفعة العامة عند التزاحم والتصادم، وعلى هذا الأساس وجب الجهاد بالروح والمال فى سبيل الدين والوطن.

أما النيرفانا فهى كلمة تطلق عند البوذيين على الخير الأعلى الذى يبلغه الإنسان برجوعه إلى المبدأ الأول، وإمحاء ذاته الفردية، وقد استعملها شوبنهاور فى إنكار إرادة الحياة إنكاراً تاماً.

أما المراد بالهوهو فهو التعبير عن أن الشئ هو عين ذاته، ويستحيل ألا يكون غير كذلك وإلا لانسد باب العلم، وتعذر الحكم على أى شئ.

وقد نقل عن ابن سينا القول بأن الهوهو تستعمل أيضاً فى الاتحاد بين اثنين بطريق أو بآخر.

وجاء دور عمرو فأخذ يقرأ السؤال ناظراً إلى الكاميرا.

— ماهو المقصود بمصطلح «الهيئة» وما معنى «الهيولى»؟

— الهيئة هى علم، وهى قسم من الرياضة، ويبحث أحوال أجزاء العالم فى أشكالها، وأوضاعها ومقاديرها، وأبعاد ما بينها، وحال حركات الأفلاك والكواكب.

— أما الهيولى فهى مرادفة للمادة والجسم القابل للصورة الجسمية والنوعية (أى تمام حقيقة الشئ وماهيته)، والعقل الهيولانى مرادف للعقل بالقوة الذى يشبه

الصفحة البيضاء الخالية من النقش، وبتعبير آخر هو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات.

ما إن أجاب كعابيش عن سؤال عمرو حتى طرحت فرحة سؤالها.

— ماهى «الواحدية» وماهى «وحدة الوجود»؟

— الواحدية يافرحة هى مذهب فلسفى يقول : إن مبدأ العالم ومصدره واحد، واختلف القائلون بهذا فيما بينهم، فقال الماديون : هو المادة، وقال المثاليون : بل هو قوة تدرك وتعلم، ولا تمت إلى المادة بسبب.

أما وحدة الوجود فمعناها أن الله والطبيعة، بشتى مظاهرها، شئ واحد ولا اثنينية، بل كل شئ منها هو الله سبحانه وتعالى عما يصفون، فالله حقيقة دائمة الاتحاد بشتى الموجودات، وتتجلى فى مختلف محتويات الكون، وتتخذ مظاهر متنوعة تبدو فى أشكال الطبيعة المتعددة من إنسان وحيوان ونبات وجماد.

— ستوب.

قالت رحمة.

— ليه يا حبيبتي ما احنا ماشيين كويس.

— الأسئلة المخصصة للجزء دا خلصت يادكتور.

- لأ يارحمة، فاضل سؤال عن مصطلح اليمين واليسار.
- أيوة ياخلود، بس احنا ما اتفقناش مين اللي هيقوله.
- طبعا خلود عشان ننهي بيها الندوة.
- حاضر يا أبيه، بس أنا كمان عندي سؤال، عاوزه أعرف معنى الیوجا، وياريت يبقي هو السؤال الأخير، اشمعنى أنا ماسألتش ولا سؤال.
- ماشى، اتفقنا ياستى.
- ياماما، هاتى الشاى قبل البريك الأخير.
- زمانه برد، أعمل لكم غيره حالاً.
- هاتيه من فضلك بارد بارد.
- يأخذ كعابيش رشفة من الشاى:
- لا مش بارد ولا حاجة، كدا تمام ياماما، تعبناك يا حبيبتى.
- تعبكم راحة، والله يابنى من ساعة ما القمرات دول ما دخلوا البيت جابوا معاهم روح حلوة وسعادة، ربنا يوفقكم.
- كله شرب الشاى؟ تمام، هنبداً ١، ٢، ٣ أكشن.
- ماهو المعنى المقصود من «اليسار» و«اليمين»؟
- اعتاد الناس فى هذه الأيام أن يطلقوا كلمة يمينى على

من يحافظ على الوضع القائم أيا كان لونه ، ويبقى ماكان على ماكان، وكلمة يسارى على من يقول بوجود التغيير والتجديد إلى ما هو أفضل وأكمل ، ويدافع باستماتة لتطبيق العدالة الاجتماعية ، فمثلاً المفروض إن من الأحزاب اليمينية حزب النور ومن الأحزاب اليسارية حزب التجمع .

— ماهى «اليوجا»؟

— اليوجا يارحمة هى فلسفة أو نزعة هندية تقوم على ممارسة ترويض النفس وتحريرها من الطاقات والغرائز الحسية والعقلية لكى تصل رويداً رويداً إلى الاتحاد بالروح الكونية .

— ستوب ، فركش .

قالتها رحمة فضحك الجميع .

أخذت خلود الفيديو وحملته على اليوتيوب ، وما إن تم التحميل حتى شاركته على حسابها على فيس بوك وعلى تويتر وعلى صفحة أسرة أفكار فلسفية ، وطلبت من أعضاء الأسرة أن يفعلوا ما فعلت فأخذ كل واحد منهم يستخدم الالاب توب الخاص به لينشر الفيديو على الصفحات الشخصية ويوصى به لأصدقائه ، وما إن مرت دقائق معدودة إلا وقد شاركه الكثيرون من أعضاء الأسرة فتابعه كعابيش بارتياح وسعادة قائلاً :

— الحمد لله .

المحكمة

دخل كعابيش القاعة ثابتاً قوياً بصحبة محاميه وفريقه ، فتوجه نحوه حاجب المحكمة ليقتهده نحو القفص ، فنظر لمحاميه الذى قال :

— ماتخافش يادكتور، دى إجراءات ولازم تتم، إن شاء الله هتروّح معنا آخر الجلسة.

بكت خلود عندما رأت أستاذها يُقتاد إلى القفص الحديدى كالمجرمين واللصوص. بدأ كعابيش ينظر من خلف القضبان ويتذكر ماحدث لسقراط الذى أعدم، وابن رشد الذى نكل به وحرقت كتبه فصبر واحتسب، وقال لنفسه : من أنا لأكون خيراً منهم؟!!

— محكمة.

قالها الحاجب، فوقف كل الحضور، ودخل القاضى والمستشارون وجلسوا فى أماكنهم واحتل وكيل النيابة موقعه فبدأت المحاكمة.

— نضال عبدالحق المحامى حاضر مع المتهم.
وقدم صورة التوكيل فتسلمها القاضى وأخذ يملى على
كاتب الجلسة :

— الأستاذ نضال عبدالحق المحامى حاضر مع المتهم بتوكيل
رقم ٢٤٣٦ لعام ٢٠١٦ مشيراً لوكيل النيابة قائلاً :
— النيابة تتفضل.

— سيدى الرئيس إن العلم شعلة إما أن تضىء الطريق
للمجتمع وإما أن تشعل النار فيه ، فتقضى على استقراره
وأمنه ، إن المتهم المائل أمامكم حرض الشباب على قلب
نظام الحكم ، وإشعال الفتنة الطائفية ، وقام بازدياء
الأديان ، وحصل على تمويل خارجى من دولة أجنبية
— تحديداً النرويج - ليهدم استقرار الوطن باستخدام
الشباب المتحمس الذى يثق فيه كأستاذ ومعلم ، ولكنه
استغل هذه الثقة لتحقيق منافع خاصة على حساب
مستقبل هؤلاء الشباب المغرر بهم.
فقاطعه المحامى قائلاً :

— سيدى الرئيس هذه التهم سياسية ومرسلة ، ولم تقدم
النيابة دليلاً واحداً على صحتها وهى جميعاً ملفقة ،
وأربأ بالنيابة العامة أن تكون طرفاً فى خصومة سياسية

منعقدة دائماً بين الحكومة وأى شخص يدعو إلى الفكر
والتنوير ويحلم بغد أفضل يشارك فيه الشباب.

فرد وكيل النيابة غاضباً :

— النيابة ترفض اتهام الدفاع لها وترجو من المحكمة
إلزام الدفاع بآداب المحاكمة.

ثم صمت بضع ثوان، ثم قال مرتبكاً:

— مرفق لسيادتكم فى ملف القضية صورتان من تحويلات
بنكية من أوربا، بالتحديد من النرويج، بمبلغ أربعة
آلاف دولار، أى مايعادل خمسين ألف جنيه، قد تلقاها
المتهم من جهات مشبوهة لتمويل نشاطه الإجرامى
لزعزعة الاستقرار فى مصر.

— ياافندم، احنا مقدمين لسيادتك صورة من العقد المبرم
بين الدكتور عبدالحميد محمد كعابيش ودار النشر
النرويجية، والذى حصل بمقتضاه على هذه المبالغ لقاء
ترجمة رواية الكاتب النرويجى جوستاين جاردنر إلى اللغة
العربية، ومعنا هنا فى القاعة الأستاذ فاروق عبدالسلام
وكيل دار النشر فى القاهرة، ويطلب الشهادة.

— نادى على الشاهد.

— السيد فاروق عبدالسلام.

— أفندم.

— قل والله العظيم أقول الحق.

— والله العظيم أقول الحق.

— إيه معلوماتك عن الواقعة؟

— دكتور عبدالحميد محمد كعابيش آخر واحد فى مصر ممكن يكون هنا، ورا القضبان، دا عالم جليل ومفكر عظيم، دا يا افندم أسطورة، لازم كلنا نفخر بيه، بيكتب ويقرا أربع لغات بطلاقة، وفى أوروبا بيقدروه جداً وطلبوه هو بالذات لترجمة الرواية لأنها بتدور حول تاريخ الفلسفة، وهو بالإضافة لأنه مترجم متمكن جداً هو رئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة.

— عندك أقوال أخرى؟

— الدكتور كعابيش برئ، والله العظيم يا افندم برئ، وكل شئ تم قدامى وأنا شاهد عليه، إحنا اديننا له الألفين دولار الأولى غيرها على ٩ جنيه ب١٨٠٠٠ والألفين الثانيتين ب١٢ جنيه ب ٢٤ ألف، ولأنه إنسان عنده مبادئ وضمير قرر يرجع لنا المبلغ، لأن الترجمة الأولى عجبته، ونصحنا بالتعاقد مع المترجم الأول وتحمل عبء ارتفاع الدولار خلال التلات شهور من جيبه خسر ١٨ ألف جنيه يا افندم عشان يلتزم معنا.

— إزاي حصل كدا، ممكن توضح؟

قالها القاضى.

— لما استلم الدفعة الأولى كان الدولار ب٩ جنيه والدفعة الثانية كان الدولار ب١٢ جنيه، بعد ثلاث شهور كان الدولار ب١٥ جنيه فتحمل هو كل الخسارة ودفعها من جيبه.

— يعنى هو رجع لكم الفلوس؟

— أيوه يا افندم، وخسر ١٨٠٠٠ جنيه لأنه إنسان محترم وملتزم.

— طب اتفضل.

قالها القاضى ثم وجه كلامه لكعابيش.

— ياعبد الحميد.

— أفندم.

— ماهى أقوالك فيما تنسبه إليك النيابة؟

— أنا برئ يا افندم، كل اللي حصل إنى لقيت عمرى بيجرى، وسنى بيكبر، بقى عندى ٤٧ سنة، وما اتجوزتش، وما بقاش عندى أولاد، واتعلمت كتير قوى، عمرى كله ضاع وأنا قاعد على مكتبى، باكتب

وأقرا، لكن سألت نفسى سؤال - لازم كلنا نسأله
لنفسنا: - إيه فائدة العلم دا لو ما ساعدش الناس فى
حياتهم، وخلاهم يفكروا يعيشوا أحسن، إيه فائدة
العلم والحياة عمالة تغلى، الدولار عمال يزيد والناس
مش عارفين يفكروا يحلوا المشكلة إزاي، كل السلع فى
مصر غليت بطريقة جنونية وما فيش حد بي فكر يحل
المشكلة إزاي، لأنهم ما تعودوش على التفكير، وقابلت
خمس شباب زى الورد (وهو ينظر من خلف القضبان
إلى خلود ومصطفى وعمرو وسماح وفرحة، وهم ينظرون
إليه بفخر واعتزاز) حبيتهم قوى، علمونى وفهمونى إن
الحياة فى التواصل مع المجتمع، اتعلمت من خلود
القوة والمواجهة، واتعلمت من فرحة الإصرار والعزيمة،
واتعلمت من سماح إنى لازم اتغير مادام الناس اللى
باحبهم عاوزينى اتغير، واتعلمت من عمرو إنى أعرف
إزاي اختار فى الوقت المناسب اللى يناسبنى فى حياتى
الجاية، واتعلمت من مصطفى إن أى إنسان عاوز يتغير،
هيتغير، لو كل الدنيا وقفت ضده، لو كل الظروف ما
سمحتلوش بالتغير، هو يقدر يقاوم ويقدر يتغير مادام
حوليه ناس بتحبهه وبتساعده، ياسيادة القاضى قبل
ما تحكم علىّ، لازم تعرف جريمتى، أنا خدت من
الخمسة دول حماسهم، واديتهم كل اللى اتعلمته، وقررنا
إن بلدنا لازم تبقى أجمل بلد فى الدنيا، لوعاوزين

تسجنونى عشان باحب بلدى اسجنونى ، لو عاوزين
تعدمونى عشان عاوز شباب بلدى يفكروا ويعرفوا إزاي
يخلوها أجمل بلد فى الدنيا، اعدمونى.

فاشتعلت القاعة بالهتاف والتصفيق ، وجرت خلود إلى
كعابيش فتبعها باقى الفريق ، قابضين على يده ، داعمين له .

— الرجاء التزام المقاعد من فضلكم .

قالها حاجب المحكمة ، فعاد الجميع كلُّ فى مكانه .

— حكمت المحكمة حضورياً ببراءة الدكتور عبدالحميد
محمد كعابيش من كل التهم المنسوبة إليه .

تعالت الصيحات .

— الحمد لله .

وصفق الحضور مردين :

— الله أكبر يحيا العدل .

فطلب القاضى الهدوء فى القاعة ، فصمت الجميع وأخذ
يقرأ فى حيثيات الحكم :

— إن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وحصانتهم إن لم تكن فى
القانون فهى فى القلوب ، فلايجوز اتهام العلماء والزج
بهم فى مهاترات وتهم دون دليل ، فإن ذلك من شأنه أن
يسئ لنا جميعاً كشعب لايقدر علماءه ، والمحكمة تتقدم

بالاعتذار نيابة عن شعب مصر كله للدكتور عبدالحميد محمد كعابيش، وتهيب بالسلطة التنفيذية ألا تكيّل الاتهامات السياسية دون دليل، وألا تفتعل وقائع، وألا تتربص بالعلماء أهل الخبرة لمجرد أنهم يختلفون في الرأي وتقرب الجهلاء أهل الثقة.... رفعت الجلسة.

تمت

السيرة الذاتية

عماد سالم

- شاعر وكاتب مسرحى وروائى مصرى ، ولد فى السادس من ديسمبر ١٩٦٩ فى قرية العلاقمة - مركز ههيا - محافظة الشرقية .
- درس بكلية الحقوق جامعة القاهرة .
- عمل فى مجال الطباعة والنشر وأسس مؤسسة يسطرون للنشر وتولى مجلس إدارتها ٢٠١٢ وحتى الآن .
- ساهم فى الحركة الثقافية المصرية فأسس جماعة النيل الأدبية ٢٠٠٨ .
- عضو اتحاد كتاب مصر .
- عضو جمعية الأدباء .
- عضو المنتدى الثقافى المصرى .

★ أهم الإصدارات

الروايات

١. ليزا .
٢. أبو خشبة .
٣. كعابيش .
٤. يهودى فى شارع العجر (أديفا) .

الشعر

١. تلغراف .
٢. غيطان الليل (أغانى مصرية) .
٣. الحب فى ميدان التحرير .
٤. أسرار مرید .
٥. مركب أفكار .

المسرح

١. مسرحية : إنسان ملاك .
٢. مسرحية : عودة الأميرة .
٣. مسرحية : فرحة الغلبان .
٤. مسرحية : أحلام عبدالرازى .
٥. مسرحية : جوز حبيبتي .
٦. مسرحية : عالم غريب .
٧. مسرحية : رقصة يناير.
٨. مسرحية : ليالى .
٩. مسرحية : فستان فرح .
١٠. مسرحية : مجانين فى خطر
١١. مسرحية : ناشط سياسى .
١٢. مسرحية : الرجل الأحمر .

الكتب

١. آخر محطة للوطن (مقالات نشرت فى أهم الصحف المصرية والعربية : الشروق، اليوم السابع، الفجر، الوفد، الديار، السياسة الكويتية، وغيرها)

وله تحت الطبع :

١ . فى ظلال الأدب .

صدرت حول مؤلفاته العديد من الدراسات منها :

١ . (ليزا) عماد سالم .. قراءة فى تاريخ الحركة الإسلامية .. و العودة إلى (واقعية القاع)..

د / حسام عقل : رئيس ملتقى السرد العربى .

٢ . (ليزا) عماد سالم .. الشخصية المصرية قبل الطوفان ..

د عبدالرحيم درويش :

أستاذ الدراما ، ورئيس قسم الإعلام بجامعة دمياط والوادى الجديد .

٣ . مسرح عماد سالم وعالمه والموشى بالأرق ...

الكاتب والناقد المسرحى د / أمين بكير .